

البَلْاغَةُ الْأَصْطَلِ الْأَجْيَةُ

محمد داف

دكتور

عبد الله عبده العزيز قلقيلية

إر الفکر العربی



البَلَاقْتُونِي الأَصْطَلَاحِيَّة

دكتور

عبد العزيز قلقيلية

دار الفكر العربي



Bibliotheca Alexandrina

0624279





البلاعنة الإلخاتلية جيدة

دكتور

عبد الله عرب العزيز فاقيلة

أستاذ النقد الأدبي والبلاغة

جامعة طنطا

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

شارع جواد حسني / القاهرة

ص ٣٢٥٥٢٢ - ت ١٣٠



الطبعة الأولى - ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية - ١٤١١ / ١٩٩١ م

الطبعة الثالثة - ١٤١٢ / ١٩٩٢ م



وَهُدُوا إِلَى الْطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْمُحْمَدِ ﴿١٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الإصدارات

إلى بيت الملائكة مبني ومعنى



د/أ علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه وتابعين لهم بياحسان إلى يوم الدين وبعد

نهذه هي الطبعة الثالثة لكتاب «البلاغة الامسطلاحية»، تصدر بعد عام من صدور الطبعة الثانية.

ولقد صحيحت في هذه الطبعة ما ندّ في الطبعة الثانية من أخطاء مطبعية قليلة، فلهم أجهد الإنسان نفسه في المتابعة والمراجعة يفاجأ بعد صدور الكتاب بوجود أخطاء تسخر من حرصنا وتؤكّد بشريتنا.

* * *

ويحول الله وطريقه تأتي هذه الطبعة وهي أقرب إلى الكمال من سابقتها بفضل مازندة أخي صديقي حضرة العالم النابه الاستاذ رزق هيبة وهو من تدرين له مجلة روزاليوسف ومطبوعات دار الفكر العربي بالكمال النسبي ، أما الكمال المطلق ففوق طاقة البشر .

* * *

شكراً للسيد المهندس عاطف محمد الخضرى مدير دار الفكر العربى على إخراجه الممتاز لما يصدره من كتب.

والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين،

عبد العزيز قلقيله

القاهرة ٢٦/١٤١٢

٥/٩/١٩٩١ م

قال الجاحظ :

« وَكَلَامٌ كَثِيرٌ جَرِيَ عَلَى الْأَسْنَةِ النَّاسِ وَلَهُ مَضْرُرٌ شَدِيدَةٌ وَشَرِّهُ مَرَّةٌ ، فَمَنْ أَخْرَى ذَلِكَ لَمْ يَدْعُ الْأَوَّلَ لِلآخرَ شَيْئًا » .

فَلَوْ أَنْ عُلَمَاءَ كُلِّ عَصْرٍ مَذْجَرُتْ هَذِهِ الْكَلْمَةِ فِي أَسْمَاعِهِمْ تَرَكُوا الْإِسْتِبَاطَ لِمَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْهِمْ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ لَرَأَيْتِ الْعِلْمَ مُخْتَلًّا » .^(١)

أو قال :

« لَيْسَ مَا يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ كَلْمَةً أَخْرَى لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَلَا أَخْرَى لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلآخرَ شَيْئًا » .^(٢)

(١) بُنيَةُ الإِيْضَاحِ لِلتَّخِيَّصِ الْمُفْتَاحِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ تَأْلِيفُ عَبْدِ الْمُتَّعَالِ الصَّعِيدِيِّ جِهَةُ ١ مِنْ ٢٤ طِّبْعُ ١٣٦٢هـ / ١٩٤٢م الْقَاهِرَةِ .

(٢) رِسَالَةُ الْوَكَلَاءِ شِمْنَ « رِسَالَاتُ الْجَاحِظِ » ٤ / ١٠٢ طِّبْعُ (١) مَكَتبَةِ الْفَانِيِّ بِمِصْرِ ١٩٧٩ تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَادِيَنَ .

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلة والسلام على أشرف المسلمين
سيدنا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبخترا : فقد صدرت الطبعة الأولى لكتاب « البلاغة الاصطلاحية » عن دار الفكر
العربي بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

والحمد لله على حسن استقبال الناس له :

لقد رأيت بعيني حفاظتهم به ، وسمعت بأذني ثناعهم عليه ، ولم يست عن قرب حماسمهم له ،
وشرفتني لجنة النقد والبلاغة في جامعة الملك سعود بجعله مرجعاً للمقرر ٣٢١ [بلاغة]
البيان والبديع ، والمقرر ٣٢٢ [بلاغة] علم المعاني .

وكتبت قد علمت أنه موجود بكثرة في أيدي طلاب جامعة الكويت حتى قيل : إنه مقرر
عليهم ، ولم أستبعد ذلك : فقد كان الكتاب على بعد خطوات منهم في مؤسسة دار الكتاب
الحديث شارع فهد السالم ، وكانت المسئولة عن توزيعه خارج مصر . وكم أسفت لأن طبعته
الأولى حفلت بكثير من الأخطاء المطبعية وتعرضت أكثر من مرة لفوت كلمة أو جملة ، ثم إن
بنطها صغير وورقها خفيف وحبرها يامن في بعض الكلمات والأسطر ، ولم تأخذ العنانيون
فيها أماكنها اللائقة بها مما حرمتها الواضح والتائق .

* * *

أرجو - وقد أشرفت على هذه الطبعة ولم أشرف على سابقتها - أن تبرا من عيوبها ،
منها بأني قد صحت الأخطاء المطبعية وتدارك الفوت ، ونقحت بعض العبارات ،
وأضفت بعض الآراء كجعل الجملة الاسمية مؤكدة ولو لم يكن معها مؤكد آخر ، وكجعل
القصص من أنواع التوكيد .

عن الإضافات كذلك ببيان أسوار كل من السجع ، والتزام مالا يلزم ، والمشاكلة ، ورد
الصدر على العجز . أجل « رد الصدر على العجز » كما ينبغي أن يسمى ، وليس [رد العجز
على الصدر] كما سماه البلاغيون القدماء والمحدثون في محاضراتهم وكتابهم .
إلى اللقاء - إن شاء الله تعالى - في مقدمة الطبعة الثالثة . وأخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين .

عبد العزيز قلقيله

{ ١٤١١/٢/١٥
القاهرة }
١٩٩٠/٩/٥

تقدير

البلاغة علم وفن . نظرية وتطبيق . تقنية بلاغية وكلام بلغ . ومن هنا تجب التفرقة بين المعرفة البلاغية من جهة : وتوظيف هذه المعرفة في إبداع الأدب ونقده من جهة .

ـ إن كانت المعرفة تائى أولاً دانماً ، فإننى أرى أن نبدأ بالبلاغة علمًا ونظرية وتقنية ، ول يكن ذلك غاية في ذاته مؤقتاً ، أجل مؤقتاً : فبعد البلاغة غاية تائى البلاغة وسيلة ، وسيتم ذلك فورياً وتلقائياً هكذا : علم فعمل ، والأمل أن يكون عملاً جيداً : لصدوره حينئذ عن بینة ، هي الإحاطة الشاملة الكاملة بالقواعد البلاغية ، وهي قواعد فنية غير ملزمة ، أتعصى منها هو (ينبغي) و(يحسن) ونحوهما .

ـ يقول حازم القرطاجنى : « وكلماتنا ليس واجباً على الشاعر لزومه ، بل مؤثر حيث يمكن ذلك » (١) .

ـ وفي باب الفصل والوصل من كتاب عروس الأدراخ يقول السبكي : « حيث قلنا في هذا الباب : يجب الوصل ، أو قلنا : يجب الفصل ، نريد به الوجوب بحسب البلاغة ، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال ، ولا نعني الوجوب بحسب اللغة » (٢) .

ـ فليطمئن السادة محترفو الخوف من دراسة البلاغة دراسة أكاديمية مجردة . - في أول الأمر ، ولفتره محددة . - عن آية غاية خارجية ، لأن ما نقوله هنا لقراءتنا ، وهناك لطلابنا ، لا يعنون أن يكون بنوراً نبذراً لتهت أكلها كل حين باذن ربها ، أى متى توافرت الموهبة ، نعم الموهبة .

ـ فلا ننتظر من كل من تعلم البلاغة أن ينشئ كلاماً بليناً ، إذ تعلم البلاغة وحده لا يكفي في تأليف كلام بلغ ، ولكنه بكل تأكيد يكفي في فهم الكلام البلغ ، وفي تفسيره وتنويعه .

ـ وفي المعنى نفسه يقول هوراس : « لست أبداً ما يستطيع التحصل أن يشعر من غير نفحة وافرة من الموهبة الفطرية ، أو الموهبة الفطرية من غير التحصل ، إن أحدهما ليلح في طلب الآخر ، ويعاذه على صداقت دائم » (٣) .

(١) منهج البلاغة، وسراج الأديباء من ٨٣ .

(٢) ج ٢ من ١٥ .

(٣) فن الشعر من ٩٢ ترجمة لويس عرض .

ولنأخذ التكنولوجيا الحديثة مثلاً موضحاً ، إذ يلزم من يريد الانتفاع بها أن يكون قادرًا على تشغيلها ، وهو لن يكون قادرًا على تشغيلها مالم يفهمها فهماً جيداً ، ويحسبه ذلك أولًا ، وفي مرحلة أخرى ، أو في مراحل تالية ، وبالجهد المريض بالعلم والمهبة يقدر على صنعها ، أما قبل ذلك أو بدون ذلك فلا .

* * *

بلى أن أوضح ما قصدت إليه من تسمية هذا الكتاب بالبلاغة الاصطلاحية . وباختصار شديد أقول : إنني قصدت بهذه التسمية ، البلاغة الخالصة من شوائب العلوم الأخرى كالأصول والفقه والمنطق والفلسفة والنحو والصرف والعروض والقافية وعلم الكلام وعلم اللغة ؛ فكل واحد من هذه العلوم مسأله ومشاكله و مجاله .

ولقد كان هذا هو السبب في أنني لم أقف فيه عند مبحث الحقيقة ؛ لأن الحقيقة مهما كان نوعها لا تخرج عن كونها نقطة انطلاق إلى البلاغة ، وأدق من ذلك أن نقول : إن الخروج عليها هو البلاغة .

ولو أنتي وقفت في البلاغة الاصطلاحية عند حفائق العلوم الأخرى لكررت ما فعله السكاكي المتوفى سنة ٥٢٦هـ في كتاب يصدر سنة ١٤٠٧هـ . وأبادر فاقرر أن عمل السكاكي في مفتاح العلوم ليس عيباً أبداً ، بل إنه مزينة أية مزينة ، لكن الدراسة الحديثة للمقررات المختلفة والمتخصصة - وهي حولية أو فصلية - لا تساعد عليه ، بل لا تسمع به .

وتغيرياً على التأكيد السابق أقول :

إنني لم أهتم في هذا الكتاب إلا بالمعنى الاصطلاحي للموضوع الذي أدرسه ، أما معناه اللغوي ، فلم أكن ألم به إلا إذا كان المعنى الاصطلاحي يساويه أو يسامته .

وحتى في هاتين الحالتين لم أكن أطيل الوقوف عند الدلالة اللغوية للمصطلح البلاغي ، توفيراً لوقت أمضى فيه معه على طريق البلاغة لأشرحه وأوضحه ، ولأنظر : هل هو مسلم به أو مختلف عليه ، ثابت أو متطور ، واحد أو متعدد ، فهذا - من وجهة نظرى - أجدى على علني من أن أزحمه بالمعنى المعجمى لكل مصطلح .

* * *

ومنهجي في هذه البراسة منهج تقليدي مزدوج :

أما أنه تقليدي ، فلأنني سرت فيه على منهج القدماء :

نبذة مختصرة عن البلاغة : علومها وبعض أعلامها .

الفصاحة والبلاغة .

البيان - المعانى - البديع .

وأما أنه مزدوج ، فلأنه كلٌ وجزئيٌ معاً .

كلى ، لجعل العلوم أساس التقسيم .

وجزئي ، لأن موضوعات كل علم - وهي أجزاء المكونة له - قد عولج كل جزء منها
معالجة خاصة به داخل علمه .

أما بحثه :

فقد نقل الشيخ بدر الدين الزركشى عن بعض المشايخ أنه كان يقول : « العلوم ثلاثة :
علم نضج وما احترق وهو علم الأصول وال نحو ، وعلم لا نضج ولا احترق ، وهو علم البيان
والتفسير ، وعلم نضج واحترق وهو الفقه والحديث »^(١) .

ولما كان البيان فيما نقله الزركشى مقصوداً به علوم البلاغة الثلاثة ، فإنى أقدر أن كلام
الشيخ عن هذه العلوم ما زال قائماً ، وأن ما قلته فى هذا الكتاب ليس أكثر من عشرة
صفيرة وضعتها فى نارها ، إسهاماً متواضعاً متنى فى إنضاجها .

والحمد لله أولاً وأخراً .

عبد العزيز قلقيله

الرياض ٢٢/١٤٠٤ - ١٩٨٣ م

(١) شرح عقد الجمان فى علم المعانى والبيان للسيطرى من ٢ .



البِلَادُ عَلَوْهَا وَبِهِنَ الْعَالَمُهَا

ما ينسب إلى رسول الله ﷺ قوله : « المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه » ، وقد نظم الشاعر الحكيم هذا المعنى في نصف بيت هو :

لسان الفتى نصف ونصف فقاده

وإذا كان لسان المرء أحد شقيه ؛ فإن لغة الأمة كذلك أحد شقيها ، ولعله من هنا جاء اهتمام الأمم بلغاتها تقويناً ودراستها ، حتى إذا ثبتت أركانها واستقرت أصولها ، أذاعتها وعلمتها ، وشجعت على إجادتها وإتقانها ؛ إيماناً منها بأن اللغة هي الجانب المعنى في الإنسان شعراً وفكرةً .

* * *

وقد بعث الله في العرب رسولاً منهم وأنزل عليه القرآن الكريم كتاب العربية الأول ، وصياغ الأمان لها ضد عوامل التأكيل المسلط على التراث والناس .

* * *

ويرحلت الشتاء والصيف أولاً ، ثم بالفتح الإسلامي ثانياً ، انتشرت اللغة العربية شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، ودخل الناس في دين الله أنواراً ، واختلط الفاتحون العرب بالسكان الأصليين للبلاد المفتوحة ، فجرت كلمات أعمجية على ألسنتهم مثلاً غزت العربية ألسنة العجم .

وكان من نتيجة ذلك أن وقع بعض الاعوجاج في ألسنة بعض العرب فخاف الحرمساء على اللغة من أن تقسى ملكة العربية ويضطرب لسان أهلها ، وقد كان هذا الخوف ظاهرة صحية ؛ فمته كان الانطلاق نحو التأليف في علم اللغة ، وتوجهت عناية العلماء أول ما توجهت إلى ما يحفظ هذه اللغة من جهة الإعراب والبناء ، وهو ما عرف بعد بالنحو ، وإلى ما يحفظها من جهة تصريفها وبنيتها ، وهو ما عرف بعد بالصرف ، ثم إلى ما يحفظها من جهة مادتها وهو ما عرف بعد بمعنى اللغة .

* * *

ولذا كان فقه العربية وفهم فلسفتها وإدراك أهدافها ومعرفة صورها والإحاطة بدقائقها
الفنية

نقول : إذا كان هذا كله وغيره سهلاً ويسيراً على علماء اللغة المبحرين فيها ، والواقفين على أسرارها ، فإنه يصعب قليلاً أو كثيراً على غيرهم ، ولو كانوا مبتدئين في علوم أخرى كالرياضيات والفلسفة والمنطق ، بل لو كانت حرفتهم الكتابة ، وهي الصناعة التي تتمثل الجانب العملي للمعرفة النظرية ولا سيما في الناحية اللغوية .

ما هو ذا أبو يعقوب يوسف الكندي وهو عربي يقصد أبي العباس (١) ليقول له : إنني لا جد في كلام العرب حشوا ، ويسأله أبو العباس عن الموضع الذي وجد فيه ذلك الحشو ، فيقول له : أجدهم يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون ، إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم .

الألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، ويجبهه أبو العباس بقوله : المعانى مختلفة ، فالاول إخبار عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن إنكار منكر (٢) .

ولقد كان هذا الرد من أبي العباس هو الأساس الذى أقام عليه علماء البلاغة فيما بعد ما سمعه « أضرب الخبر » .

* * *

واما هو ذا أبو عبيدة معمر بن المشى فى حضرة الفضل بن الربيع وزير المؤمن قد استدناه حتى أجلسه إليه على فرشه ، ويدخل رجل فى زي الكتاب له هيبة فيجلسه الفضل إلى جانب أبي عبيدة ، ويعرفه به قائلاً : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه ل تستفيد من علمه ، فيدعى الرجل للفضل ، ويقرظه لفظه هذا ، ثم يلتفت إلى أبي عبيدة قائلاً : إنك كنت إليك مشتاقاً ، وقد سالت عن مسألة ، أفتاذن لي بأن أعرفك إياها ؟ قال أبو عبيدة : هات ، فقال الرجل : قال الله عز وجل : « طلعها . كأنه رؤوس الشياطين » وإنما يقع الوعد بالإياد بما عرف منه ، وهذا لم يعرف .

(١) هو شاعر أو مبشر ، فقد كانا متعاصرين ومتتقنين في الكلية ، والكندي هو يعقوب بن إسحق من نسل الأشعث بن قيس رضي الله عنه ، كان عظيم المنزلة عند المؤمن وابنه أحمد ، وله تأليف كثيرة في جميع العلم ما بين كتاب ورسالة .

الائل الإعجاز لعبد القاهر مطبعة الشیخ محمد رشید رضا من ٢٤٢ .

فقال أبو عبيدة : إنما كلام الله العزى على قدر كلامهم ، أما سمعت قول أمير القيس :

أيقتلنى والمشفى مضاجعى ومسنونة ذرق كأنى بآغوال

لهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعزوا به ^(١) . فاستحسن
الفضل ذلك واستحسنت الرجل .

يقول أبو عبيدة : وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه ،
وما يحتاج إليه من علمه . فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميت المجاز ، وسألت
عن الرجل السائل ، فقيل لي : هو من كتاب الوزير وجلسائه هو إبراهيم بن إسماعيل
الكاتب .

كان ذلك سنة ثمان وثمانين ومائة . أى قبل وفاة أبي عبيدة بثمان عشرة سنة ^(٢) .

* * *

وبعد أبي عبيدة جاء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أحد شيوخ المعتزلة وأئمته وشيخ
الأدباء والمؤلفين المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، وله في كتابه (البيان والتبيين) مباحث كثيرة عن
الفصاحة والبلاغة ، وفضل حسن البيان ، وبيان ما حسن من السجع والبديع .

وقد أجهد الدكتور محمد على سلطانى نفسه - شكر الله له - حتى جمع من « البيان
والتبیین » ومن « الحیوان » أربعة وعشرين وجهًا نسبها كلها إلى فنون البلاغة الثلاثة ،
و الواقع أن بعض هذه الوجوه لا كلها هو الذي تصح نسبة إلى علوم البلاغة الثلاثة ؛ ثم إن
الجاحظ لم يكن أول من سمي هذه الأوجه بأسماها كما قرر الدكتور سلطانى بحق ^(٣) ..

ويسلمونا الجاحظ إلى الخليفة العباسى الشاعر العالم عبد الله بن المعتز المتوفى سنة
٢٩٦هـ . كان بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبو تمام وغيرهم يأتون فى شعرهم بضروب من
البديع ، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه ثمانية عشر نوعاً ضمنها كتابه المعروف باسم
« البديع » ; وقد قال فيه تقريراً له : « وما جمع قبلى فنون البلاغة أحد ، ولا سبقنى إليه
(١) انظر فى تفسير الآية ، وفى التعليق للتشبيه فيها الكامل للميرج ج ٢ من ٧٩ نشر مكتبة المعارف فى
بيروت د. ت .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ج ١٩ من ١٥٨٤ ١٥٩٦ طبعة دار المأمون - القاهرة .

(٣) انظر « مع البلاغة العربية فى تاريخها » ، القسم الأول . الطبعة الأولى . دمشق سنة ١٩٧٩ م
من ٥٣ - ٩٠ .

مؤلف ، ومن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر على ما اخترناه فليفعل ، ومن رأى إضافة شئ من المحسن إليه فله اختياره .

* * *

وقد كانت هذه دعوة من ابن المعز استجابة لها ولبامها معاصره قدامة ابن جعفر المتفقى سنة ٣٢٧ هـ ، وقد جمع فى كتابه « نقد الشعر » عشرين نوعاً من أنواع البديع ، توارد مع ابن المعز على سبعة منها ، وسلم له ثلاثة عشر ، تضاف إلى الثمانية عشر التى جمعها ابن المعز ، فتكون جملة ما جمعاه واحداً وثلاثين نوعاً هي كل ما جمع إلى ذلك الوقت .

* * *

ويعد قدامة نجد أبا هلال العسكري المتفقى سنة ٣٩٥ هـ ؛ وهو صاحب (كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر) .

ونجد فيه من البلاغة : الباب الأول .

الفصل الأول : فى الإبانة عن موضوع البلاغة فى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها ؛ والتقول فى الفصاحة وما يتشعب منه .

الفصل الثاني : فى الإبانة عن حد البلاغة .

الفصل الثالث : فى تقسيم ما جاء عن الحكماء والعلماء فى حدود البلاغة .

الباب الخامس : فى ذكر الإيجاز والإطناب .

الباب السادس : فى التشبيه .

الباب الثامن : فى ذكر السجع والازدواج .

الباب التاسع : فى شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلاً تبدأ بصفحة ٢٦٦ وتنتهي فى ص ٤٢ ، وهذه نماذج من عناوين الفصول فى هذا الباب الطويل :

الفصل الأول : فى الاستعارة والمجاز .

الفصل الثاني : فى المطابقة .

الفصل الثالث : فى التجensis .

الفصل الرابع : فى المقابلة .

الفصل الخامس : في صحة التقسيم .

الفصل الثامن : في الإرداد والتوابع .

الفصل التاسع : في المائة .

الفصل الثاني عشر : في الكناية والتعريض .

الفصل الرابع عشر : في التنبيه .

الفصل الخامس عشر : في الترميم .

الفصل السادس عشر : في التوشيح .

الفصل الثامن عشر : في رد الأعجاز على الصدور .

الفصل العشرون : في الالتفات .

الفصل الحادى والعشرون : في الاعتراض .

الفصل الثالث والعشرون : في تجاهل العارف ، ومزج الشك باليقين .

الفصل الثامن والعشرون : في المذهب الكلامي .

* * *

ونلاحظ أن أبي هلال قد درس الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض والتذليل والاعتراض في الباب المخصص للبديع ، وهي ليست منه ، ولا عجب فقد كان البديع إلى ذلك الوقت ؛ يعني مباحث البلاغة على جهة التغليب ، وبهذا التوسيع في إطلاق اسم البديع ، ووصلت أنواعه في كتاب العمدة لأبن رشيق القيرواتي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ إلى تسعين نوعاً .

وفي العمدة كما في البديع لابن المعتن ، وكما في الصناعتين لأبي هلال أبواب للبلاغة والبيان والإيجاز والمجاز والتمثيل والتشبيه ، والاستعارة والإشارة وغير ذلك من فنون البلاغة ومباحث علومها ، وقد ظلت هذه المباحث مختلطة وغير مميزة حتى عند عبد القاهر الجرجانى الملقب بشيخ البلاغة المتوفى سنة ٤٧١ هـ .

نقول ذلك على الرغم من أنه أول من ذهب مسائلها وأرسى قواعدها وربتها في كتابيه « أسرار البلاغة » و« دلائل الإعجاز » وهما الكتابان اللذان درسهما واستوعبهما جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، يلم斯 ذلك بوضوح من يقرأ كتابه القيم : (الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

وَمَا يَهْمَنَا فِي مَسَارِنَا مَعَ الْبِلَاغَةِ هُوَ أَنْ نَقُرُّ أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ - فِيمَا نَطَمَ - هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَصَلَ فَصْلًا تَامًا بَيْنِ عِلْمِ الْمَعْانِي وَالْبَيَانِ ، بَلْ إِنَّهُ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ التَّسْمِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ نَهَايَةً لِـمَقْولِهِ فِي مُقْدِمَةِ الْكِشَافِ :

«إن أملا العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الآلباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلتها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ..»

فالفقير وإن بذل على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وإن بذ أهل الدنيا في
صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وإن كان
من الحسن البصري أو عظ ، والنحوى وإن كان أنجحى من سيبويه ، واللغوى وإن علك اللغات
بقوة لحيه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك
الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعانى وعلم البيان ،
وتمهل في ارتقاءهما أونة ، وتبعد فـ، التتقرب عنهمـا أزمنة » .

وإذا وجدنا في الكشاف بعض الفنون البدعية فإنها جاءت لسماً لا شرحاً ، ولا عجب فالفنون البدعية المكونة لعلم البديع لم تأخذ من اهتمام المتكلمين عن إعجاز القرآن الكريم وأسرار البلاغة فيه إلا أقل القليل ، وإنما بحثنا لذلك عن دليل ، فإننا نجد فيما نقله السيد الجرجاني عن الزمخشري نفسه من أنه لم يكن يعد البديع علمًا مستقلًا بل كان يراه ذيلاً لعلم المعانى والبيان^(١) ونجد في كتابه محمد بن علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٧٢٩ هـ قال : « إن نسبة صناعة البديع إلى صناعتي المعانى والبيان نسبة صناعة النّقش إلى صناعة النساجة ، إلا أنه يمكن إفراد صناعة النّقش مالما يمكن ذاتياً عن صناعة ما غير النّقش ، ولذلك قد يتغير الصانعون ولا يمكن إفراد صناعة البديع عن صناعتي العلمين : لأنهما صفة ذاتية للكلام » ويمضي فيقول : « لا يستحق التّكلم الموقع في كلامه صناعة البديع المدح بالإطلاق إلا بعد رعاية شرائط البلاغة ، كما أن البناء لا يستحق المدح بالإطلاق على بنائه إلا بعد رعاية دقائق صنعته كلها »^(٢) .

ولما كان الكشاف كتاباً في التفسير لا في البلاغة ، فقد كان طبيعياً أن تأتي الفنون البلاغية فيه - كما أنت فيما سبقه وما لحقه - على حسب مجيئها في سور القرآن الكريم ومن خلال آياته ، ولا ننتظر - وهذا هو واقعها في القرآن الكريم وفي تفاسيره - أن تكون مرتبة الترتيب الذي نراه في كتب البلاغة منذ السفاكم .

(١) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي خبيف من ٢٢٢ ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.

(٢) الإشارات والتبيهات في علم البلاغة من ٢٥٧-٢٥٨٤ بتحقيق الدكتور عبد القادر حسين سنة ١٩٨٢ م
دار نهضة مصر للطباعة والتشریف.

فهذا هو عمل السكاكي المتوفى سنة ١٢٦ هـ ، وتلك هي مائرته ، أجل . مائرته ، فقد ألف كتابه (مفتاح العلوم) وجعله ثلاثة أقسام . بسط في القسم الثالث منه علوم البلاغة بما سمع له أن يقول عن نفسه « إنه قضى بتوفيق الله منها الوطر »^(١) .

وقد جعل كل ما يتعلق بمطابقة الكلام لقتضي الحال (علم المعانى) ، وكل ما يخص إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه (علم البيان) ، أما ما يتعلق بتحسين الكلام وتزيينه بعد رعاية المطابقة ، ووضوح الدلالة فقد جعله (علم البديع) .

ولم يأت بعد السكاكي من أضاف إلى مباحث البلاغة إضافة تذكر . كل من جاء بعده فيظله استظل ، ومن بستانه قطف ؛ كان قصارى جهدهم أن تناولوا كتابه بالاختصار تارة وبالشرح أخرى .

وأهم مختصراته تلخيص الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ وقد حملته القواعد الموجودة في القسم الثالث من المفتاح بعد أن دعمها بما كان ينقصها في موطنه الأصلي من الأمثلة والشواهد .

وقد شرق هذا التلخيص وغرب ، وشرحه عدد كبير من علماء البلاغة ، ولعل القزويني قد خاف على تلخيصه من شرح غيره له ، فشرحه بنفسه في كتابه (الإيضاح) يقول في مقدمته : « أما بعد ؛ فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالإيضاح ، وجعلته على ترتيب مختصرى الذى سميته تلخيص المفتاح ، ويسقطت فيه القول ليكون كالشرح له ، فلوضحت موضعه المشكلة ، وفصلت معانيه الجملة ، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمة الله في كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله . وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ولم أجده لغيري ، فجاء بحمد الله جامعاً لاشتات هذا العلم » .

* * *

(١) المفتاح، مقدمة المؤلف ص ٦ ط (١) ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣ م دار الكتب العلمية، بيروت.

وقد تأكّد بعد القرزيين ما حدث بعد السكاكي من توقف جهود علماء البلاغة عن الابتكار والتجديد ، وجمودهم على ما تركه أسلافهم لهم ، وظل الحال كذلك إلى أن جاءت النهضة الحديثة ، والنهضة الحديثة بلاغة حديثة والحديث عنها مجال آخر .

أما الآن فمع :

أوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة :

وهذه هي :

- ١ - أن الناظر في هذه العلوم والمحصل للكتها يعرف إعجاز القرآن الكريم معرفة يقينية ، فيكون مؤمناً عن بينة .
- ٢ - أن المتمكن من أصولها وأحكامها يلمس بنفسه دقائق العربية وأسرارها ويدرك مراتب الكمال ومزايا صوره شرعاً ونثراً ، وبعبارة أخرى يصير ناقداً واعياً .
- ٣ - أن الدارس لها الخبير بضوابطها وقوانينها إذا أراد أن يقول شرعاً أو نثراً في أي غرض يستطيع أن يجد من أمره رشدًا فيصيّب الهدف ويدرك القصد ، ويتأتى بما يطابق الحال من الألفاظ والتراتيب ويهتدى إلى المستجاد من الكلام ، والختار من القول ، لأن معه مصباحه الذي يستضيئ به ، ويسير على هديه ، وبعبارة أخرى يصير أدبياً مبدعاً (١) .

(١) كتاب « الصناعتين لأبي هلال المسكري » من ٢ - ٣ الطبعة الأولى ١٣٧١ - ١٩٥٢ م تحقيق على الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم .

الفصاحة والبلاغة

الفصاحة

للفصاحة لغة أكثر من معنى ، وتلتقي هذه المعاني في دلالتها على الظهور والبيان ،
يقال: أفحى فلان عما في نفسه إذا أعرب عنه ، وأنصح الصبي في منطقة وقصّ فيه إذا
فهم عنه عندما يشرع في التكلم ، وأفحى الأعجمي وقصّ إذا انطلق لسانه بالعربية لا
تشويه أكتنه ، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « وأخي هارون هو أفحى مني
لسانا ». أى أظهر وأبين مني قوله ، ويقول أحدهما للأخر ، أفحى إن كنت صادقاً أى بين
وأظهر ، والمثل المشهود يقول : « أفحى الصبي الذي عينين » أى ظهر ، كما يقال : هذا يوم
مفعح ، أى جلى لا غيم فيه .

أما الفصاحة في اصطلاح البلاغيين ، فإن معناها يختلف باختلاف موصوفها ،
وموصوفها يمكن أن يكون الكلمة ، ويمكن أن يكون الكلام ، ويمكن أن يكون المتكلم .

يقال : هذه كلمة فصيحة ، إشارة إلى كلمة معينة كلفظة أسد ، ويقال هذا كلام فصيح ،
إشارة إلى مركب معين كقولنا : الشمس طالعة ، والسماء صافية ، ثم يقال : هذا متكلم
فصيح ، إشارة إلى شخص معين .

فصاحة الكلمة

وهي تتحقق بخلوها من :

- (١) تناقض الحروف .
- (٢) مخالفة الوضع .
- (٣) الغرابة .

ووجه حصر فصاحة الكلمة في السلامة من هذه العيوب ، هو أن كل كلمة لها مادة هي
حروفها ، وصورة هي صيغتها ، ودلالة هي معناها .

فيعيبها إما في مادتها وهو التناقض ، وإما في صيغتها وهو مخالفة الوضع ، وإنما في
دلالتها على معناها وهو الغرابة .

ويسالمتها من هذه العيوب تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من كل خلل ؟
وهذا بيان بكل عيب على حدة .

١ - تناقر الحروف : وهو أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان . والتناقر نوعان :

(أ) تناقر شديد : مثل (اللث) للموضع الخشن ، و (الهعخ) لنبات ترعاه الإبل ،
سئل أعرابى عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهعخ .
هاتان الكلمتان (اللث والهعخ) غير صحيحتين : لما فيهما من تناقر الحروف تناقرأ
شديداً يشعر به كل ناطق بهما ، وهذا التناقر خلل واقع في مادتيهما .

(ب) تناقر خفيف : مثل لفظ (النفخ) وهو الماء العذب في قول الشاعر :

وأحمق من يكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نفخ مبرد
ومثل (مستشرزات) بمعنى مرتفعات في قول أمير القيس واصفاً شعر صاحبته
بالارتفاع ، وبأنه أنواع ، في بعضه معقوض أى ملوى ، وببعضه مثنى أى مقتول ، وببعضه
مرسل أى غير ملوى وغير مقتول قال :

أثيـثـ كـفـنـوـ النـخـلـةـ المـتـعـكـلـ
وـفـرـعـ يـزـينـ المـنـ أـسـوـدـ فـاحـمـ
غـدـائـرـهـ مـسـتـشـرـزـاتـ إـلـىـ العـلـاـ
تـضـلـ العـقـاصـ فـيـ مـثـنـىـ وـمـرـسـلـ
وـالـتـنـاـقـرـ فـيـ هـاتـيـنـ الـكـلـمـتـيـنـ (ـنـفـخـ وـمـسـتـشـرـزـاتـ)ـ أـخـفـ مـنـ التـنـاـقـرـ فـيـ الـكـلـمـتـيـنـ
الـسـابـقـتـيـنـ (ـالـلـثـ وـالـهـعـخـ)ـ .

دليل خفة التناقر فيهما مجئيهما في الشعر .

* * *

وقد اختلف في سبب التناقر ، فقيل : هو قرب مخارج الحروف . وقيل : بعدها ، بمعنى
أن تكون الحروف متقاربة في المخرج ، أو متباعدة فيه ، فكلمة (الهعخ) متنافرة لتقارب
حروفها في المخرج ، فالباء والعين والفاء خارجة كلها عن مخرج واحد هو الحلق ، وكلمة
(مستشرزات) متنافرة لتقارب حروفها في المخرج كذلك ، إذ حروفها ماعدا الميم خارجة من
مخرج واحد هو اللسان .

أما كلمة (ملع) بمعنى أسرخ ، فهي أيضاً متنافرة الحروف لكن لعكس السبب السابق أى لتباعد حروفها في المخرج ، فالميم من الشفتين ، والعين من أقصى الحلق .

وقد رد هذا السبب المزبور : لأنه غير مطرد ، فنحن لا نجد تنافراً في كلمتي (الجيش والشجي) مع تقارب الجيم والشين في المخرج وهو اللسان كما لا نجد تنافراً في كلمتي (علم وملع) مع تباعد العين والميم أو الميم والباء في المخرج : فالميم من الشفتين ، والعين والباء من الحلق .

على أننا لو جعلنا التباعد في المخرج أو التقارب فيه سبباً للتناقر المخل بالفصاحة لا يقتضي ذلك وقوع غير الفصيح في القرآن ، فقد جاءت مادة (علم) في غير موضع منه مع تباعد العين والميم ؛ كما ورد فيه قوله تعالى : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم » مع تقارب الهمزة والعين والباء في المخرج ، وورود غير الفصيح في القرآن المعدود في أعلى طبقات الفصاحة ، مما لا يقول به عاقل .

وإذاً فقرب المخرج أو بعدها ليس سبباً كافياً للتناقر لعدم اطراده ، والمعول عليه في ذلك هو النون السليم ، فما عاده ثقيلاً متعسر النطق فهو متنافر ، وما عاده خفيفاً سهل النطق فهو فصيح غير متنافر ، أى بصرف النظر عن تقارب مخارج حروفه أو تبعادها .

٣- مخالفة الورثة :

وهي أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضح ، سواء خالفت القياس أم وافقته .

مثال ذلك كلمة « ضئنا » يعني : بخلوا في قول الشاعر :

مهلاً أعادل قد جربت من خلقى أنى أجساد لاقواه وإن ضئنا
كلمة (ضئنا) غير فصيحة ؛ لأنها مخالفة لما ورد عن الواضح ، والقياس الصرفي ،
ومثلها كلمة (الأجل) في قول الشاعر :

الحمد لله على الأجل أنت مليك الناس ربنا فاقبل

* * *

ومثال ما خالف الثابت عن الواضح وافق القياس ، الفعل (يأبى) يكسر الباء مضارع (أبى) ، فهو غير فصيح ؛ لأن مخالف لما ثبت عن الواضح ؛ إذ الثابت عنه (يأبى) بفتح الباء لا يكسرها علماً بأن الكسر هو المخالف للقياس الصرفي ؛ لأن (فعل) بفتح العين لا يأتي مضارعه على (يفعل) بفتح العين إلا إذا كانت عين ماضيه أولمه حرف حلق ، كسؤال ، ومنع يمنع ، وليس أبى يأبى من هذا القبيل .

* * *

ومثال ما وافق الثابت عن الواضح وخالق القياس قولهم : عورت عين فلان ، واستحوذ عليه الشيطان ، فإن القياس فيهما أن يقال : عارت عينه واستحوذ ، بقلب الواو الفاء لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فتصحيف الواو حينئذ مخالف للقياس ، لكنه فصيح ؛ لأنه ورد هكذا عن الواضح .

٣ - الغرابة :

هي أن تكون الكلمة حوشية وحشية أو غير ظاهرة الدلالة على معناها فيحتاج في نفهمها :

(ا) إما إلى أن يبحث عنه في الكتب اللغوية المطرولة كما روى عن عيسى بن عمرو النحوي أنه سقط عن حمار له فاجتمع الناس حوله فقال :

« ما لكم تكاكتم على كتككم على ذى جنة ؟ افرنعوا »

أى مالكم تجمعتم على كتجمعكم على مجنون ؟ تتحوا عنى .

ومثال كلام عيسى قولهم (الحقلا) للسىء الخلق (الابتراك) بمعنى الكذب .

(ب) وإما أن يلتمس لها وجہ بعيد كما في قول العجاج :

أيام أبدت واضحاً مثلاً أغر براماً وطروا أدعجا

ومنقلة وحاجباً مزججاً وفاهمـاً ومرسنا مسرجاـ

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله : (مسرجاـ) .

وقد اختلف في تخرّيجه :

فقيل : هو من قولهم للسيف : سريجية ؛ نسبة إلى قين اسمه سريح .
يقصد الشاعر أن أنف محبوبته في الاستواء والدقة كالسيف السريجي .
وقيل : من السراج .

يريد أنه في البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه أى حسن ، وسرج الله
وجهه أى بهجة وحسن .

وذهب الدكتور طباعة إلى أن التمثيل بكلمة (مسرجاً) في بيت العجاج أدخل في باب
(المشترك) الذي يحتمل أكثر من معنى منه في باب (الغريب) ودلالة على ذلك بقوله : « لأن
كل معنى من المعانى التي قالوها للفظ (مسرج) يصح المعنى به ، ولا يوصف اللفظ بالغرابة
إلا لخفاء معناه لا لعدده معانيه ». انتهى كلام الدكتور طباعة في كتابه معجم البلاغة
العربية . ج ٢ ط ٢ ص ٦٥ وأنا معه فيما قاله .

فصاحة الكلام

فصاحتها هي أن يبرأ من العيوب الثلاثة الآتية وهي :

١ - تناقر الكلمات مجتمعة .

٢ - ضعف التأليف .

٣ - التعقيد بنوعيه اللغظى والمعنى .

روجى حصر براعة الكلام من العيوب في هذه الأمور الثلاثة هو أن كل كلام له مادة هي
أجزاءه أى كلماته ، وأنه صورة هي هيئة تأليفه من هذه الكلمات ، وأنه دلالة على معناه .
فعيوب إما في مادته وهو التناقر ، أو في صورته وهو ضعف التأليف أو في دلالته على
المعنى وهو التعقيد .

* * *

ولننبع إلى أن براعة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه - وهي كلماته
المفردة - من العيوب الثلاثة المتقدمة في فصاحة الكلمة .

والآن مع كل عيب على حدة :

١- تنافر الكلمات :

نحو أن تكون الكلمات مجتمعة ثقيلة على اللسان يتعرّض النطق بها وإن كانت كل كلمة على حدة لا تُثقل فيها ، وهو كتنافر الكلمة نوعان : تنافر شديد ، وتنافر خفيف .

(أ) فالتنافر الشديد . مثل :

وقد يُثقل حرب بمكان قفو وليس قرب قبر حرب قبر
والشاهد فيه المصراع الثاني ، فإن كلمات متناففة أشد التنافر حتى إن اللسان لا يكاد يلفظ بها مجتمعة .

أبوا وتنافر الخفيف : كقول أبي تمام في المدح :

كريم متى أمدحه أمدحه والودي معنى وإذا ما لته لته وحدى
والشاهد فيه قوله : « أمدحه أمدحه » .

فإن في اجتماع هاتين الكلمتين تناولاً في النطق بهما ، يشعر به صاحب النون السليم .
وما قيل من أن الجمع بين الحاء والهاء إنما هو سبب الثقل مردود بقوله تعالى: « فسبحه
ليلًا طويلاً » .

٢- لخفف التالية :

وهو أن يكون في التركيب العام للكلام خروج على قوانين النحو التي ارتضتها جمهور النحاة ، كالإضمار قبل ذكر الرجع في قولنا : « قتل أسره الأسير » فإن الضمير في « أسره » راجع إلى الأسير ، وهو (الأسير) متاخر لفظاً ورتبة .

ومثله قول الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما جوزى سنممار (١)

(١) سنممار اسم رجل بنى للنعمان بن أمير القيس قسراً عظيماً بالكتفه سماه « الخورق » وما أكمل بناءه وزخرفته ألقاه النعمان من أعلاه ، لثلا يبني قسراً مثلاً لغيره ، فمات لوقته ، وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر ، وفي هذا يقول شاعر آخر :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا جزاء سنممار وما كان ذا ذنب

وكاً لإضمار قبل الذكر في الإخلال بقساوة الكلام ، الإتيان بالضمير متصلةً بعد (إلا) ،
ونصب المضارع بدون ناسب مذكور في الكلام :

فالأول مثل :

وما علينا إذا ما كنت جارتنا إلا يجاورنا إلاك ديار
الأصل : إلا إياك .

والثاني مثل :

قببع من الإنسان ينسى عيوبه ويدرك عيوباً في أخيه قد اخترى
٣- التحقيق :

وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى لخلال واقع في نظمه وتركيبه بحيث لا يكون
ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم أو تأخير ، أو فصل أو حذف أو نحو ذلك
مما يتربّى عليه صعوبة فهم المعنى المراد .

وهو على ضربين : شديد وخفيف .

فالشديد : كما في قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال
هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبسو أمه حى أبوه يقاربه
يريد أن يقول : ليس مثل المدح في الناس حى يقاربه في القصائل إلا مملكاً أبو أم
ذلك الملك أبو المدح ، أى لا يحاكيه أحد إلا ابن أخيه وهو هشام .

ففيه فاصل كبير بين البدل وهو (حى) والبدل منه وهو (مثله) ، وفيه تقديم المستثنى
وهو « مملكاً » على المستثنى منه وهو « حى » ، وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهو « أبو أمه
أبوه » بأجنبي هو « حى » ، وبين الصفة والموصوف وهو « حى يقاربه » بأجنبي هو « أبوه ».
وكل هذه الأمور كانت سبباً في تعقيد اللفظ حتى خفي المعنى واستقلق على الفهم .

ومثل البيت السابق في شدة تعقيده قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كان قفراً رسومها قلما

يصف الشاعر داراً بالية ، وأصل الكلام : فأصبحت بعد بهجتها قفراً كان قلماً خط رسومها .

ففيه من الفصل والتقديم والتأخير ما جعله مثلاً للتعقيد اللغظى فى أقبح صوره .

أبا التحقيقِ الْغَرْبَلِيُّ الْخَفِيفُ : فشاهدَهُ قُولُ المُنْبِيِّ :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل
يصف قوماً بحسن الشمائل . جفخت أى افتخرت ، وأصل التركيب هكذا : جفخت بهم
شيم دلائل على الحسب الأغر وهم لا يجفخون بها .

وقد فصل الشاعر بين الفعل والمفاعل وهما « جفخت شيم » بأجنبى هو جملة « وهم
لا يجفخون بها » الواقعه حالاً ، وفصل بين الصفة والموصوف وهما « شيم دلائل » بالجار
وال مجرور الموصوف وهما « على الحسب الأغر » .

ومثله قول الفرزدق من قصيدة فى وصف الذئب :

تعال فإن عاهدتني لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
يريد : نكن يا ذئب مثل من يصطحبان ، ففصل بين الموصول والصلة ، وهما « من
يصطحبان » بأجنبى هو قوله « يا ذئب » : يقصد اللفظ بعض تعقيد .

أبا التحقيقِ الْمَهْنُوِّ :

وهو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد لخلل فى انتقال الذهن من المعنى
الأول المفهوم من اللفظ لغة ، إلى المعنى الثانى المقصود ، بحيث يكون إدراك المعنى الثانى
من الأول بعيداً عن الفهم يحتاج إلى تكلف ، بسبب استعمال اللفظ فى معنى مخالف للمعنى
الأول ، كقول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربيوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا
الشاهد فى هذا البيت قول الشاعر « لتجمدا » فإنه لم يوفق فى أداء المعنى الذى أراده
من هذا اللفظ على وجه صحيح ، ذلك أنه أراد أن يكنى بما قصدته بكلتايتين ، أصاب فى
إحداهما ، وأخطأ فى الأخرى .

وتوضيح ذلك هو أنه كنى بسکب الدموع عما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد ، وهذا صواب : لسرعة فهم الحزن من سكب الدموع ، ثم كنى عما يوجبه اجتماع شمله بأدبه من السرور والابتهاج .

نقول : كنى عن ذلك بجمود عينيه ، وهذا خطأ : فجمود العينين إنما هو جفافهما من الدموع عند الدافع إليه ، أى أن جمودهما إنما هو بخلهما بالدموع وقت الحاجة إليه ، لا ما أراده من السرور .

يؤيد ذلك قول الشاعر :

الا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
أى بخيلة بالدموع .

ومنه قول النساء ترش أخاهما صخراً :

أعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى ١١٩

والعرب تقول : « سنة جماد » أى بخيلة بالطر ، « وناقة جماد » أى لا تدرينا ، ومن هنا لا يصح أن يقال في مقام الدعاء لشخص بالسرور : « لا زالت عينك جامدة » ، على معنى : لا أبكي الله عينك ؛ إذ هو دعاء عليه بالحزن ، وليس دعاء له بالسرور .
والخلاصة أن المعنى الذي أراده ابن الأحند وهو السرور لا يفهم من الجمود ؛ إذ لا يدل اللفظ عليه لا لغة ولا عرفاً ، ومن هنا جاء التعقيد المعنى .

فصاحة المتكلم

فصاحة المتكلم ملكرة يقترب بها صاحبها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح . قلتنا « ملكرة » ولم نقل « صفة » : إشعاراً بأن الفصاحة من الحالات المستقرة في نفس الفصيح ، حتى إن المغير عن مقصوده بلفظ فصيح لا يعد فصيحاً إلا إذا كانت القراءة التي اقترب بها على التعبير ملزمة له ، وواسحة فيه .

وقلتنا « يقترب » ولم نقل « يعبر » ليشمل التعريف الفصاحة بالقراءة والفصاحة بالفعل .

وقلتنا « بلفظ فصيح » : ليعم المفرد والمركب .

ويكتسب ملكرة الفصاحة عن طريق التعرض بالأثار الأدبية شرعاً ونثراً ، قراءة وحنظلاً وفهمها .

ويعباره أخرى : تنوقاً ومحايشة .

البلاغة

كلمة « بلاغة » لغة تعنى الوصول والانتهاء : يقال : بلغ الشخص بلاغة ، إذا وصل بكلامه إلى ما يريد له من إمتاع أو إقناع .

وهي في الاصطلاح البلاغي تختلف باختلاف موصوفها ، وموصوفها إما الكلام وإما المتكلم ، يقال : هذا كلام بلغى ؛ وهذا متكلم بلغى . ولا توصف بها الكلمة ؛ فلا يقال : هذه الكلمة بلغة ، لأن الكلمة المفردة لا تكون معنى كاملاً يمكن تبليغه فلا توصف بالبلاغة .

بلاغة الكلام

بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلة بقصاحتة وقصاحة أجزائه .

الحال : هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر في كلامه شيئاً خاصاً زائداً على أصل المعنى .

ومقتضى الحال : هو ذلك الأمر الزائد الذي اعتبره المتكلم في كلامه لاقتضاء الحال إياه .

ومقتضى الحال قد يسمى الاعتبار المناسب ، كما قد يسمى الشخصوية .

أما : **المطابقة الكلام مقتضى الحال** : فهي اشتغاله على ذلك الشئ الزائد . مثال ذلك أن يقال لمن ينكر انتصار العرب على إسرائيل عام ١٩٧٣ « إن العرب قد انتصروا على إسرائيل سنة ١٩٧٣ ». .

فإنكار المخاطب لهذا الانتصار « حال » . لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يعتبر في كلامه شيئاً خاصاً زائداً على أصل المعنى هو « التأكيد » ؛ محاولاً لهذا الإنكار ، فهذا التأكيد كما نرى أمر زائد على المعنى الأصلي الذي هو ثبوت النصر للعرب .

والصورة التي وردت للتأكيد في الكلام هي « مقتضى الحال » إذ أن الحال اقتضتها ودعت إليها .

أما اشتغال الكلام على هذه الصورة ، فهو مطابقته لمقتضى الحال .

والعبارة بعد ذلك كله أو بذلك كله بلية؛ لأنها مطابقة لقتضى الحال، أى مشتملة على ما تقتضيه الحال من التأكيد.

وكالإنكار أيضاً المدح، فهو حال يدعى المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإطناب، لأن مقام المدح يقتضي إطالة القول، والإفاضة فيه، قضاه لحق المدح.

وكذلك ذكاء المخاطب حال يحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة الإيجاز، لأن مقام الذكاء يقتضي الاختصار في القول واستعمال العبارات ذات المعانى الدقيقة، وكل من صورتى الإطناب والإيجاز مقتضى الحال. واشتمال الكلام على هذه الصورة أى مجينة على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة لقتضى الحال.

بلاهة المتكلم

هي ملكة راسخة في نفس صاحبها يتمكن بها من تأليف كلام بلية في أى معنى يريد؛ وصاحب هذه الملكة بلية وإن لم ينطق، أى بلية بالقوة، فإذا نطق أو كتب كان بليناً بالفعل، ولا يكون بليناً من يقدر على صوغ الكلام البلية في غير آنون آخر.

والأمر في اكتساب ملكة البلاغة كالأمر في اكتساب ملكة الفصاحة كلاهما رهن بشرب الكلام البلية لدرجة التشبع به، ولقد كان إبراهيم المازني يقرأ ويقرأ حتى إذا امتلأ فاض وفاض، كان رحمة الله يشبه نفسه بعربي رش الشوارع بالمياه، ويرى أنه خزان ضخم يمتهن ليفرغ، ويفرغ ليملئ، ولذمه هو يتكلم قال: أحس الفراغ في رأسي، فأسرع إلى الكتب، أتّهم ما فيها وأحسو بها دماغي؛ هذا الذي خلقه الله لي خلقة عربات الرش كما قلت، حتى إذا شعرت بالكتلة؛ وضيقني الامتناع، رفت يدي عن آواه هذا الفداء، وقمت متباولاً متبايناً مشفقاً من التخمة، فلا ينجيني إلا أن أفتح الثوب، وأسح، وهكذا بواليك^(١).

* * *

ما تقدم في الكلام على الفصاحة والبلاغة عرفنا ما يعرض للكلام من عيوب، وما ينتابه من خلل، وينبغي - لتكون الدراسة إيجابية - أن نعرف كيف تتقى هذه العيوب، ونتحاشى ذلك الخلل.

(١) قبس الريح. تأليف إبراهيم عبد القادر المازني، ص ٢، المطبعة العصرية بمصر، سنة ١٩٢٧ م.

١- التناقض :

ملأك معرفته النحو السليم ؛ فهو الذي يقول إن لفظ « مستترزات » متناقض للحروف وهو الذي يدرك ما بين الكلمات من تناقض أو تضاد ، والنحو نوعان : فطري ومكتسب .

٢- المخالفة :

يمكن الاحتراز عنها بالوقوف على ما نقل عن الواضع ، و بمعرفة قواعد علم الصرف ، لأن العلم الذي يبحث في صيغ الكلمات وطرق استعمالها ، فمن ألم بقواعد عرف أن نحو (الأجل) مخالف لون (الأجل) إذ من قواعده أن المثنين إذا اجتمعوا في كلمة واحدة ، وكانا ثانياًهما متحركاً ، ولم يكن زائداً لفرض وجوب إدغامهما .

٣- الغرابة :

يمكن اجتنابها بالاطلاع على متن اللغة ، وبكثره القراءة ، فمن تتبع معاجم اللغة ، ووقف على معانى المفردات المستعملة ، علم أن ما عدما مما يقتضى إلى تنقية أو تحرير غير سالم من الغرابة .

٤- ضعف التاليف والتحقيق اللغوطي :

يمكن تقييمها بمعرفة قواعد النحو ، فهو العلم الذي يبحث طرق استعمال الكلمات على الوجه الصحيح في تركيب الجمل . فمن تمرس بهذا العلم ووقف على أصوله ومسائله استطاع أن يصوغ الكلام على نحو قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد .

٥- التحقيق المعنوي :

يعرف من دراسة علم البيان ، فمن وقف على هذا العلم وأحسن مسائله ، عرف كيف يترقى التعقيد في معانى الكلام .

٦- الخطأ في تأدية المعنى المراد :

أى في تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، وذلك يعرف من مزاولة علم المعانى ، فمن درس هذا العلم وعمقه ، عرف كيف يتتجنب الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وكيف يورد الكلام وفق مقتضيات الأحوال .

* * *

أما الوجوه التي تضفي على اللفظ أبهاء والرواء فتعرف من علم البديع ، لأن العلم الموكول إليه تجميل الكلام وتحسينه .

والثلاثة الأخيرة هي المسماة بعلوم البلاغة .

وي بعض المؤلفين يسمى الثلاثة « علم البيان » ، لأن البيان هو الكلام الفصيح المعرف بما في الضمير .

* * *

قال الجاحظ : « البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى » .

وقال ابن المعتز : « البيان ترجمان القلب ، وصيقل العقول » .

ومنهم من يسمى « البيان » و « المعانى » علم البلاغة ، لأنهما يبحثان في صلب المعنى المراد ، وفي حسن عرضه ، فتأثيرهما في الكلام ذاتي لا عرضي .

* * *

ويعضمهم يسمى الجميع « علم البديع » لما في مباحثه - بعد هذا الاتساع - من الروعة والإبداع ^(١) .

* * *

(١) الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح تأليف الخطيب الفزويني ص ١٢-١ طبعة محمد صبيح الثانية ، وتهذيب السعد لسعد الدين التفتازاني تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨ م ص ٦ - ٢٦ مقدمة الحق و ص ١ - ١٩ مقدمة المؤلف ، والنهاج الواضح لحامد عوني ص ٥ - ٧٢ الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م القاهرة ، وبقية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي ص ٣ - ٢٤ الطبعة الثانية ١٣٦٢هـ / ١٩٤٢م القاهرة .

[REDACTED]

[REDACTED]

- ١ -

علم البيان



علم البيان هو العلم الذي يقدرنا على التعبير عن المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه : فالبقاء والكرم والشجاعة والجمال ، يمكن التعبير عن كل منها بأكثر من تعبير واحد ، وعلم البيان هو الذي يجعلنا نستطيع ذلك .

ومباحث علم البيان هي التشبيه والمجاز والكتابية .

التشبيه

هو إلهاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بادأة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة .

وهو عند عبد القاهر : « أن تثبت لهذا معنى من معانى ذاك أو حكماً من أحكامه ، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد ، وللحجة حكم التور في أنك ت berhasil بها بين الحق والباطل ، كما يحصل بالتور بين الأشياء » (١) .

ولما ذكر الأستاذ الدكتور بيوي طبابة هذا التعريف لعبد القاهر ، علق عليه بقوله : « وهذا التعريف يبين وظيفة التشبيه وعمله أكثر مما يدل على حقيقته وحده » (٢) .

وحيثاً حنوه الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي فقال : « ومن الملاحظ أن هذا التعريف يبين وظيفة التشبيه وعمله أكثر مما يدل على حقيقته وحده » (٣) .

والحق أن كلام عبد القاهر تعريف جيد للتشبيه : أجل . إنه لم ينص فيه على الأداة ، لكن الأداة ركن من أركان التشبيه ، وليس طرفاً فيه ، وهي لهذا تذكر أو تقدر ، وتقديرها أفضلي من ذكرها ببلاغة .

* * *

وقد نظر البلاغيون في تعريف التشبيه إلى المعنى اللغوي لكلمة (شب) وهو (مثل) تقول : فلان شب فلان أو مثله ، وشبهته به أى مثلته به ، فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي للتشبيه قريب من قريب (٤) .

(١) أسرار البلاغة من ٧٨ - ٧٩ تحقيق د . ريتور . استانبول ١٩٥٤ م .

(٢) علم البيان من ٤٢ طبعة الأنجلو المصرية ١٢٨٦ - ١٩٦٧ م .

(٣) فن الاستعارة من ١٩٤ طبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧١ م .

(٤) انظر الم/XMLSchema في أساس البلاغة من ٢٢٨ بتحقيق عبد الرحيم محمود ١٣٧٢ - ١٩٥٣ م .

وأمثلة التشبيه أكثر من أن تحصى .

يقول المبرد « والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد » (١) .

وقد ذكر أن المرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرمها قال الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها

من السحابة لا ريث ولا عجل

كما ذكر أن العرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والبرة والبيضة ، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء (٢) .

وفي مكان آخر يقول « التشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس ، وقد وقع على الأسنان الناس من التشبيه المستحسن عندهم - وعن أصل أخذه - أن شبها عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية ، والأنف بحد السيف ، والقم بالخاتم ، والشعر بالعنقين ، والعنق بابريق فضة ، والساقي بالجمار ، فهذا كلام جار على الأسنان ، وقد قال سراقة بن مالك بن جشم ، فرأيت رسول الله عليه السلام وساقاه بادياتان في غزنه كأنهما جمارتان ، فرأيته فوقع في مقتب من خيل الأنصار ، ففرعنونى بالرماح وقالوا : أين تزيد ؟ .

وقال كعب بن مالك الأنصاري : وكان رسول الله عليه السلام إذا سرّ تلنج وجهه فصار كأنه البدر (٣) .

(١) الكامل ج ٢ من ٧٩ نشر مكتبة المعرف . بيروت د . ت .

(٢) الكامل ج ٢ ص ٥٥ .

(٣) الكامل ج ٢ من ١٠٣ - ١٠٤ . والفرز : ركاب من جلد يضع فيه الراكب رجله تقول : انفرز الرجل وغرز رجله في الركاب إذا ركب ، أما المقتب فهو الجماعة من أي شيء تقول : قربوا نحو العدو وتقربوا أي تجمعوا وصاروا مقتبا .

(أساس البلاغة من ٣٢٢ ، من ٣٧٨ وانظر في الجزء الثاني من الكامل الباب ٤٧ من ٤٠ - ١١٧) .

أركان التشبيه وطرفاه

أركان التشبيه أربعة هي : المشبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه .

أما طرفاه فهما المشبه والمشبه به . مما طرفان ، وهم ركنان ، أما الأداة ووجه الشبه فركنان فقط .

والفرق بين الركن والطرف في التشبيه : أن الركن يمكن وجود التشبيه بدونه ، بل إن حذفه أفضل من ذكره ، أما الطرف فلا يمكن وجود التشبيه بدونه ، ولتوسيع ذلك نقول : كما لا يمكن تصوّر الميزان ذي الكفتين بدون الكفتين ، لا يمكن تصوّر التشبيه بدون الطرفين .

والطرفان قد يكونان :

حسينين مبصرين : مثل « كائnen الياقوت والمرجان » .

وقد يكونان :

حسينين مسمعين : مثل : صوت فلان كنفير العرب ، أو كفرع الطبلول .

وقد يكونان :

حسينين مذوقين : مثل : عصير البرتقال كالعسل .

وقد يكونان :

حسينين مشمومين : مثل : نكهة حفيدي كالمسك .

وقد يكونان :

حسينين ملحوسين : مثل : لها بشر كالحرير .

وقد يكون الطرفان عقليين : أي لا يدرك واحد منها بالحس ، كتشبيه العلم بالحياة ، والجهل بالموت ، والجمال بالسحر .

أو مختلفين والمشبه عقلى والمشبه به حسى ، وهذا هو الأصل في التشبيه :

مثل أن تشبه عدل الحكم بالظل ، وظلمه بالحرر ، والموت بالسبع والسيرة الطيبة
بالعطر .

ومن ذلك قولهم : القناعة كنز لا يفنى . وقولهم : الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في
اللسان .

وقد يكونان مختلفين والمشبه حسن والمشبه به عقلٌ :
أي عكس السابق وهو فرع له :

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني : انصرفت عن دار الصاحب قبيل العيد ،
شجاعتي رسوله بعطر الفطر وصمه رقة فيها هذان البيتان :

يا لها القاضي الذي نفسي له صمع قرب عهد لثنائه مشتاقه
اهديت عطراً مثل طيب ثناه نكائناً اهدي لـه اخلاقه
وكتقول الصاحب قول أبي نواس في وصف الضر :
هتقلىت في الدن حتى هسى نفس رقة دينى
وقول ابن بايك :

وارض كاخلاق الکريم قطعتها

وقد كحل الليل السمماك فابصرنا

وقول ابن طباطبایا :

دب ليسل كانه أملی فيـ ك وقد رحت هنـك بالعـرمان
وقوله :

صحـو وغـيم وضـيـاء وظـلـم مثل سـرـود شـابـه هـارـض فـم
وقوله :

كان انتـضـاء البـدر من تـحـت غـيـمة نـجـاء من الـبـاسـاء بـعـد وـقـوع
وفي هذه القطعة للقاضي التترخى تشبيهات كثيرة من هذا الضرب :

أو فراق ما كان في يدك
ن وتابى حديثه الأسماع
سفن لاح بينهن ابتداع
يقطع الخصم والطالم انقطاع^(١)

وبليل قطعته كمدود
موحش كالثقل تقدى به العبر
وكأن النجوم بين دجاجة
مشرقات كأنهن حجاج

أداة التشبيه

أداة التشبيه هي أية لفظة تشعر بالأشابة والممااثة .

هي ذلك حرف الكاف :

هي أم الباب لبساطتها وخفتها على اللسان والسمع ، ومن هنا كثر عقد التشبيه بها ،
تقول :

المعلم كالاب ، والمعلمة كالأم ، والصديق كالأخ ، والصديقة كالاخت .

ويقول المغرى :

أنت كالشمس في الضياء وإن جاوزت كيسوان في علو المكان
ومن قصيدة (المقتولة) لأبي نواس :
إلى مسامع معدن في إناء
ومدت راحة كالماء منها
ومن ذلك الحرف « كاف » .

قال الله تعالى : « وإن نقنا الجبل فوقهم كانه ظلة » .

وقال أمرؤ القيس :

فيالك من ليل كان نجومه
بكل مفار الفتل شدت بيذبل
وقال :

مسابيع رهبان شب لقفال
نظرت إليها والنجوم كأنها

(١) أسرار البلاغة من ٢٠٧ - ٢١٦ .

وقالت النساء .

وَإِنْ صَخْرًا لِتَأْتِمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَانَهُ عَلِمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وفي الحرف (كان) يقول ابن جني : « اعلم أن أصل هذا الكلام : زيد كعمرو ، ثم أراؤنا توكيد الخبر فزأروا فيه (إن) فقالوا : إن زيداً كعمرو ، ثم إنهم بالغوا في توكيد التشبيه فقدموا حرفه أول الكلام ؛ عناء به ، وإعلاماً أن عقد الكلام عليه ، فلما تقدمت الكاف وهي جارة لم يجز أن تبادر (إن) : لأنها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل ؛ فوجب لذلك فتحها فقالوا : كأن زيداً عمرو » (١) .

* * *

ومن أنواع التشبيه كل اسم أو فعل يدل على التشبيه أو يبني به كمثال وشبه ومحاك ومشابه ومضارع .

وكمثال وشبه وحاكي وضارع وحسب وظن وحال ورأى ووجد وعلم ، قال ولد القاضي عياض وأصفاً تتنى الزرع بفعل الرياح :

يمكى وقد ولت أمام الرياح
شقائق النعمان فيها جراح

انظر إلى الزرع وخاماته
كتيبة خضراء مهزومة

وقال بشار :

ماروت ينفتح في سحرا
ـ ثيابها ذهباً وعطرها

وكأن تحت لسانها
وتفال ما جمعت علىـ

ومن قصيدة البحترى فى وصف بركة المتكل :

ليلًا حسبت سماء وركبت فيها
ريش الطواويس تحكى وويحكى بها

إذا النجوم تراءات فى جوانبها
محفوفة برياضن لا تزال ترى

(١) الخصائص ج ١ من ٣١٧ .

وينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى :

(أ) **المرسل** : وهو ما ذكرت فيه الأداة مثل محمد حاتم .

(ب) **المؤكّد** : وهو ما حذفت منه الأداة مثل محمد حاتم في الكرم .

والمؤكّد أبلغ من المرسل ، ففيه لتفصل أدلة التشبيه بين المشبه والمشبه به ، ذهاباً إلى أنهما شيء واحد أو ادعاء لذلك على سبيل المبالغة .

وجه الشبه : وجه الشبه هو المعنى المشترك بين الطرفين كالرقة في تشبيه الفتاة بالزهرة ، والجمال في تشبيهها بالبدر ، والرشاقة في تشبيهها بالفراش .

أقتسام التشبيه باعتبار وجه الشبه

(١)

التشبيه غير التمثيلي والتشبيه التمثيلي

ينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى هذين القسمين ، فقد يكون وجه الشبه مغرياً مثل:

خالد أسد شجاعة ، والأخ الأكبر أب رعاية ، والاخت الكبرى أم حناناً .

وقد يكون متعدداً ، لكنه لا يكون صورة مركبة من هذا التعدد ، كقولنا : الفتاة زهرة رقة وشذى ونضاراة .

وكل قول أبي بكر الخالدي :

وهي ساعمن لا
وقوام او اعتدلا
ونسيم لود لا
سرنا بالقرب زالا

يا شبيه البدر حسنا
وشبيه الفصنلينا
أنت مثل الورد لونا
زارنا حتى إذا ما

ولإذا كان وجه الشبه في التشبيه واحداً أو متعدداً لا يكون بتعدد صورة وهيئة ، نتتج لنا ما يعرف بлагيّاً بالتشبيه غير التمثيلي ، كالأمثلة السابقة .

أما إذا كان وجه الشيء صورة مركبة من أجزاء، وهيئه حاصلة من أشياء، فإن التشبيه حينئذ يسمى بالتشبيه التمثيلي.

وأمثلة التشبيه التمثيلي كثيرة . من ذلك قول شوقي :

أسرى بك الله ليأذ ملائكة
لما خطرت به التقوا بسيدهم

وقول ابن المعتز:

اصبر على كيد الحسو
كالنار تأكل نفسها
دفن إن صبرك قاتله
إن لم تجد ماتأكله

وقول أنس فراس :

والماء يفصل بين روض الـ
كبساطوشى جردت
ـ زهر فى الشطرين تصلـ
ـ أيدي القيون عليه تصلـ

وقول يشار :

كأن مثار النعم فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاؤ، كواكه

وقول المتن:

يهز الجيش حنالك جانبين كما نففت حنا حبها العقاب

وقول السري الرفقاء :

وكان الهلال نون لجين غرقت في محيفة زرقاء

وقول صالح بن عبد القدس :

وأن من أدبته في المصبا
حتى تراه مورقا ناھرا
كالعود يسقى الماء في غرسه
بعد الذي ائصرت من يسسه

وقول الله تعالى في صفة المنافقين :

﴿مُثِلُّهُمْ كَمُثُلُ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاعُتْ مَا حَوْلَهُ ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي مَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ .

وقوله تعالى في صفة الكافرين : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كُسْرَابٌ بِقِيمَةِ يَحْسَبُهُ لِمَانِ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ .

وقوله جل شأنه في صفة اليهود : ﴿مُثُلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمُثُلُ سَمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .

وقوله سبحانه فيمن اخْنَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَى أَهْلِ الْأَرْضِ : ﴿مُثُلُ الَّذِينَ اخْنَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَى أَهْلِ الْأَرْضِ مِثْلُ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذُتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أُوْهِنَّ الْبَيْتَ لَبِيتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

(۲)

التشبيه التحقيقي والتشبيه التخييلي وتشبيه التضاد

وهو التقسيم الثاني للتشبيه باعتبار وجه الشبه

فالتحقيقي :

هو ما كان وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة ، كتشبيه وجه الفتاة بالشمس ، عرها بالليل .

وجه الشبه بين الطرفين إنما هو الإشراق ، والسوداد على التوالي ، وهو موجودان في رفرين حقيقة .

والتجاهلي :

لو ما يكون وجه الشبه قائمًا بأحد الطرفين تحيقًا ، وبالأخر تخيلًا نقول : سيرة فلان ؛ الطيب ، وأخلاقه كأريح المسك .

فالشذا تحقيقى فى المسك والطيب ، وتخيلى فى الأخلاق والسيرة .

* * *

وكالتقى التخيلي تشبىه التضاد .

ويسمى التشبىه تشبىه تضاد إذا كان وجه الشبه فى أحد الطرفين ادعائياً ، وفي الآخر حقيقياً .

نقول للجبان : أنت عنترة ، ، وبالبخيل : أنت حاتم ، وللعيلى : أنت سحبان وأمثال ، وللغربى : أنت إياس ، وللدمية : أنت قمر .

وما رأينا وتصرفاً بمقتضاه هو أننا أنزلنا التضاد بين الطرفين منزلة التناسب ، وأشركنا المشبه به فيه على سبيل التعليل أو التهكم (١) .

(٣)

التشبىه المفصل والتشبىه المجمل

وهو التقسيم الثالث للتشبىه من حيث وجه الشبه .

فالمفصل : هو ما ذكر فيه وجه الشبه مثل : محمد حاتم كرماً .

وكل قول ابن الرومى :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرَ فِي الْحَسَنِ
— نَ وَفِي بَعْدِ الْمَنَالِ —
جُدْ فَقْدَ تَنْفَجِرُ الصَّفَرَ
— رَةَ بِالْمَاءِ الْزَلَالِ —

والجمل : هو ما حذف منه وجه الشبه مثل محمد كحاتم .

قالوا : ولا يضاد الإجمال أن يوصف المشبه أو المشبه به أو مما معه بوصف يشعر بوجه الشبه .

فالأول : كقول الرسول ﷺ : « أصحاب كالنجوم بأبيهم اقتديتم » .

وجه الشبه فى الحديث هو الهدایة ، و « بأبيهم اقتديتم » مشعر به ، بل نص عليه .

(١) انظر مفتاح العلوم من ٢٦٨ الطبعة الأولى ١٣٥٦ م - ١٩٣٧ م القاهرة .

والثاني كقول من وصف بنى المطلب للحجاج لما سأله عنهم وعن أيهم أمجد؟ « هم كالحلقة المفرغة لا بدري أمن طرقها ». .

فـ « لا يدري أين طرفاها » وصف للمشيء يه وهو مشعر بوجه الشيء الذي هو التناص .

يقول القزويني معلقاً على هذا المثال ، ومرجحاً نسبت إلى الأنمارية : « أى لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً ، وبعضهم أفضل منه ، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرقاً وبعضها وسطاً ، هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بني المطلب ، ونسبة الشيخ جار الله العلامة إلى الأنمارية ، قيل هي فاطمة بنت الخر شب ، سئلت عن بناتها : أيهم أفضل ؟ فقالت : عمارة ، لا بل فلان ، لا بل فلان ثم قالت : نكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرقها » . ونحوه قول زياد الأعمجم :

وَإِنَا وَمَا تَلَقَّ لَنَا إِنْ هَجَوْنَا لَكَ أَبْحَرْ مِهْمَا تَلَقَّ فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
وَكَذَا قُولُ النَّابِةِ :

فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهان كوكب^(١)

والثالث وهو وصف كل من المشبه والمشبه به بوصف مشعر بوجه الشبه ، قوله أبي تمام يمدح :

صدقت عنه ولم تصدف مواهبه
كالغيث إن جئته وافاك ريقه

فقد وصف الشاعر المشبه وهو المدحوب بأنه يتفضل عليه حاضراً وغائباً مقبلاً ومعرضاً ،
ورصف المشبه به وهو الغيث بأنه يساقط عليك طلبة أو لم تطلبه .

والرسان مشرعان بوجه الشبه ، وهو الأفاضة الجامعة بين الطرفين .

(١) بغية الإيضاح . عبد المتعال الصعيدي جـ ٣ من ٥٣ - ٥٤ سنة ١٣٦٤ م - ١٩٤٤م القاهرة .

هذا ما قرره علماء البلاغة وعلى رأسهم القزويني^(١).

والرأى عندي أن الوصف المشعر بوجه الشبه سواء كان وصفاً للمشبه أو للمتشبه به أو لهما معاً ، هذا الوصف في رأيي مخرج للتشبيه من (المجمل) ومدخل له في (المفصل)؛ فلا فرق بين الإشعار بوجه الشبه وذكر وجه الشبه صراحة ، والأمثلة المذكورة كلها قد دلت الصفة فيها على وجه الشبه ، بل إن هذه الصفة في بعض الأمثلة كانت هي وجه الشبه .

ولذا كنا نرفض كلامهم وهم يقسمون الوصف إلى وصف خاص بالمشبه ، وإلى وصف خاص بالمشبه به ، فلئن أن نرفضه في حالة شمول الوصف للمتشبه والمتشبه به .

ومهما يكن من أمر فإن التشبيه المجمل أبلغ من التشبيه المفصل؛ لأن السكوت عن وجه الشبه يشعر بأن المشبه مشترك مع المشبه به في كثير من صفاته ، بل يعطي الإيحاء بادعاء أنه هو .

أما التصريح بوجه الشبه ، فإنه نص على أن المشبه لا يشترك مع المشبه به إلا فيما ذكرناه .

ولا فرق من وجهاً نظرياً - كما أسلفت - بين التصريح بوجه الشبه والإيماء إليه أو ما سموه الإشعار به .

صور التشبيه

للتشبيه أربع صور هي :

- ١ - الطرفان والركنان مثل : محمد كالأسد في الشجاعة .
- ٢ - الطرفان وركن واحد هو الأداة مثل : محمد كالأسد .
- ٣ - الطرفان وركن واحد هو وجه الشبه مثل : محمد أسد شجاعة .
- ٤ - الطرفان فقط مثل : محمد أسد ، ومن أمثلته في القرآن الكريم : «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأن زواجه أمهاتهم» . وقوله تعالى : «وجعلنا الليل لباساً» .

(١) انظر بقية الإيضاح ج ٢ ص ٥٣ - ٥٤ .

ومن أمثلته كذلك قول أبي فراس الحمداني :

إذا نلت منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

مراقب التشبيه

للتشبيه ثلاثة مراتب هي :

المرتبة الدنيا وهي الصورة رقم (١) .

المرتبة الوسطى ، وتكون من الصورتين (٢) ، (٣) .

المرتبة العليا ، وهي الصورة رقم (٤) ويسميتها البلاغيون (التشبيه البليغ) والتشبيه البليغ أعلى درجات التشبيه في البلاغة الاصطلاحية .

أما في الكلام البليغ ، فقد يأتي غيره قبله ، وهذا متوقف على القيمة الفنية للأداء الأدبي جملة ، فمن يشفع التشبيه البليغ للكلام الرديء ، كما أن يحط التشبيه غير البليغ من شأن الكلام الجيد ، قال تعالى في محمد ﷺ وأصحابه « ومثلهم في الإنجيل كذرع أخرج شطأه فازده » ، وقال جل شأنه : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

و سنصادف فيما يأتي تشبيهات بلفت الذرة من الفنية ، ولم يقصر بها عنها وجود أداة فيها أو وجه شبه ، أو أداة ووجه شبه معاً ، كما سيصادفنا تشبيهات بليغة وهي من الركاكتة والرتابة بحيث لا يؤيه بها ، بل لا يلتقط إليها ، وتأمل قول الشاعر :

العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سار

فستجد نفسك وكأنك في « دلائل الخيرات » (١) .

(١) دلائل الخيرات منظومة كان المكتسبون بالإنشاد في الموالد وغيرها من المناسبات الدينية ينشدونها مجتمعين رهم سائرون في الطرقات ؛ قصداً إلى تذكر الناس المناسبة وتعبيرأ عن فرحتهم بها . وكانت تبدأ هكذا :

مولاي صل وسلام دائمآ أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

ومن التشبيه البليغ إضافة المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر :

والرياح تعبث بالفصوص وقد جرى

ذهب الأهيل على لجين الماء

فالأخيل مشبه بالذهب ، والماء مشبه باللجين

ومنه أن يكون المشبه به حالاً من المشبه مثل : خاض خالد المعركة أسدًا .. ومثل :

بدت قمراً وما لـت خطط بـان وفاحت عـنـرا وـرـنـتـ غـزاـلاـ (١)

ومنه المصدر المبين لنوع فعله بطريق الإضافة . تقول :

نهض الموظف بأعباء وظيفته نهوض الرجال . كما تقول : مكر مكر الثعلب . وسر براغة التشبيه البليغ ما فيه من إيجاز ومبالفة .

التشبيه المقلوب

هناك مقوله بلاغية مسلمة هي : إن وجه الشبه يجب أن يكون أظهر وأشهر في المشبه به عنه في المشبه ، وذلك كي يصح إلحاقي المشبه بالمشبه به في هذا الوجه .

قال المعري :

ظلمناك في تشبيه صديقك بالمسك

وقد اعده التشبيه نقسان ما يمكن

من هنا جاء ما نراه من عكس بعض الشعراء الوضع في التشبيه يجعل المشبه مشبهأً به ، والمشبه به مشبههاً ، إيهاماً بأن المشبه أقوى وأكمل في وجه الشبه من المشبه به .

وقد سمي جمهور البلاغيين هذا النمط من التشبيه بالتشبيه المقلوب ، ومتى له بقول محمد بن وهب يمدح المؤمن :

(١) الخريط : الفصل التاسع يقولون : « كم وراء هذه الحيطان من قدوة كالحيطان » وانتظر أساس البلاغة ص ١٢٢ .

وبدأ الصباح كأن غرت وجه الخليفة حين يمتهن

ويقول الآخر :

بيضاء لاحت في ثياب سواد

والبدو في أفق السماء كغادة

ويقول البحترى في وصف سحابة :

تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

كأن سنهاها بالعشى لصيقها

ويقوله في وصف بركة المتكمل :

يد الخليفة لما سال واديهما

كأنها حين لجت في تدفقها

ومن لطيف التشبيه المألوف ما نراه عند مصطفى صائق الرافعى تحت عنوان « حيلة مرأتها » قال :

سالت معجزة الهوى فأنالها
بالحسن منفرداً أجل جلالها
لهوى النواذير أو يدل دلالها
والارض قد هرست لذاك فزالتها
وتلفت للبدر فاستحي لها
مرأتها يجدوا هناك مثالها

حسناه خالقها اتم جمالها
لما حباها الله جل جلاله
طلبوا لها شبهها يخصن ضياءها
اما السما فجلت عليهم بدرها
لكنها نظرت فأخجلت الظبا
هم يطلبون مثالها فليروقها

ولأن الأديب في التشبيه المألوف يجعل الفرع أصلأ ، والأصل فرعاً سماه ابن جنس « غلبة الفروع على الأصول » وترجمه بقوله :

« إنه فضل من فضول العربية طريف ، نجده في معانى العرب ، كما نجده في معانى الأعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة » (١) .

أما ابن الأثير ، فقد سماه (الطرد والمعنى) وجعل منه قول البحترى :

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٠٨

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَئٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا
وَلِتَشْبِيهِ نَصَابِيْنَ مِنْ تَنْثِيَهَا

وقول ابن المعتر في تشبيه الهلال :

وَلَاحَ ضُوءٌ قَمِيرٌ كَادَ يُفْضِحُنَا مِثْلُ الْقَلَامَةِ قَدْ قَدَتْ مِنَ الظَّفَرِ (١)

والتشبيه المقلوب هو « التشبيه المعكوس » عند العلوى صاحب الطراز قال : « إن هذا النوع يرد على العكس والتدور ، وبباب التشبيه الواسع هو الاطراد ، وإنما لقب بالمعكوس ، لما كان جارياً على خلاف العادة والإلف في مجرى التشبيه » (٢) .

وأخيراً فإن ثمة احترازاً يجب الأخذ به ، وهو أن التشبيه المقلوب لا يرد ولا يحسن إلا فيما كان وجه الشبه في المشبه به أظهر وأشهر ، فبهذا يعرف القلب ، وتظهر صورة الانعكاس .

التَّشْبِيهُ الْجَمْنَى

إذا جاء المشبه في صورة غريبة تدعو إلى إنكاره ورفضه ، احتاج - في قبيله وبين إمكانه - إلى أن نقيسه بنظير له مسلم به ، وإذا تم ذلك تلميحاً لا تصريحاً ، وقفنا على ما يسمى في الاصطلاح البلاغي بالتشبيه الضمني .

قال المتتبى :

وَإِنْ تَفَقَّدَ الْأَنْمَاءِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَلَمَّا دَمَ الْغَزَالُ

زعم الشاعر أن سيف الدولة قد فاق الأنماط الذي هو واحد منهم وصار جنساً آخر .

ولما لم يكن ذلك مسلماً له لا عقلاً ولا عادة ، احتاج إلى أن يقويه ، فالحقيقة بما لا نزاع فيه وهو المسك : فإنه قد خرج عن أصله ، وصار جنساً آخر حقيقة ، وقد وصل أبو الطيب بمنطق البلاغة ، أو ببلاغة المنطق إلى أن ما ادعاه لمدحه أمر ممكن .

(١) المثل السادس ج ١ من ١٥٨.

(٢) الطراز ج ١ من ٢٠٩.

ومثل بيت المتنبي هذا البيت :

وإن تكن تغلب الفلباء عنصرها

فإن في الخمر معنى ليس في العنبر

قال : إذا كانت محبوبتي من قبيلة تغلب التي لا تغلب ، فإن لها عن رقتها وأنوثتها ، ومن
حبها لـ ما يجعلها مختلفة عن أهلها ، ويرهن على صحة كلامه بما ينشأ للخمر التي أصلها
العنبر من خواص ليس في العنبر .

وكالبيتين السابقتين قول ابن الرومي :

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يرى النور في القضيب الرطيب

وقول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الفن فـ السـيل حـرب لـ المـكان العـالـى

* * *

ولا يقتصر التشبيه الضمنى على بيان إمكان المشبه ، بل يشمل كل تشبيه يتحرك في
أعماق النص الأدبي ولا يعود على سطحه .

وإذا كان الأديب فيما مضى قد قصده إقامة للحجـة ، فإـنه هنا قد سـلكـه رغـبةـ في
الطرـافـةـ والـجـدةـ .

وصف ابن نباتـةـ فـرسـهـ الأـغـرـ المـحـلـ فـقاـلـ :

وـتـطـلـعـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ الـثـرـيـاـ
وـيـطـلـوـيـ خـلـفـ الـأـقـلـاـكـ طـيـاـ
تشـبـيـثـ بـالـقـوـائـمـ وـالـمـحـيـاـ
وـأـدـهـمـ يـسـتمـدـ الـلـيـلـ مـنـهـ
سـرـىـ خـلـفـ الصـبـاحـ يـطـيـرـ مـشـيـاـ
فـلـمـاـ خـافـ وـشـكـ الـفـوـتـ مـنـهـ

لـماـ أـرـادـ الشـاعـرـ وـصـفـ فـرسـهـ بـشـدـةـ السـوـادـ قـالـ : «ـ يـسـتمـدـ الـلـيـلـ مـنـهـ ».ـ

هـكـذـاـ بـقـلـبـ التـشـبـيـهـ ،ـ فـالـأـصـلـ تـشـبـيـهـ الـفـرـسـ بـالـلـيـلـ ،ـ وـلـكـنـهـ بـالـغـ فـعـكـسـ ،ـ أـىـ جـعـلـ المشـبـهـ
مشـبـهاـ بـهـ ،ـ وـالـمـشـبـهـ بـهـ مشـبـهاـ ؟ـ ثـمـ بـالـغـ مـرـةـ أـخـرـىـ فـجـعـلـ الـلـيـلـ يـسـتمـدـ سـوـادـهـ مـنـ الـفـرـسـ ،ـ

وقد جاء التشبيه لذلك مطويًا يحتاج في نمجه إلى وقفة ، والشطرة الثانية متضمنة تشبيه جبهة الفرس بالثريا تشبيهًا ضعيفاً ، وإذا كان الشاعر قد قصرها على غرة الفرس ، فإنه قد حكى قصة الغرة والتحجيل معاً بعد ذلك ، وهي قصة طريفة حقاً :

تحدي فرسه الصباح ، وخاف الصباح سبق الفرس له ، فتشبّث بقوامه ومحياه : وهذا سبب بياضها .

ومثل هذا في المعنى ولو أنه تشبيه صريح قوله :

فكانما لطم الصباح جبينه فاقتصر منه وخاض في أحشاءه

الصراخ مستمر بين الفرس والصبح ، لكنه أخذ صورة أخرى :

الصباح يلطم الفرس ، فيثور الفرس ، ويغوص في أحشاء الصباح .

والصورة هنا أكثر إيجازاً وتركيباً و مباشرة من الصورة السابقة ، ويمكن القول لهذا بأن ابن نباتة قد تفوق على نفسه .

والتشبيه الضعنى موجود في أدبنا الحديث بكثرة ، وقد يأتي في صورة حوار فيكتسبه الحوار طرافه وحيوية وحركة .

من ذلك هذا الشعر ليشارى الخوري بعنوان (هند وأمها) :

فسبحان من جمع النيرين
أتأنسى وقبلانى قبلتين
حبانى من شمره خصلتين
وألقى على مبسمى نجمتين
وكحلانى منه فى المقلاتين
لا حجب نفسى عن كل عين
وهم ليغمى لـ كـ الـ لـ يـ لـ
إلى الصدر يا أم مد اليدين
وشاهدت فى الصدر رماتين
على قدمى ساجدا سجدتين
فقدم لـ تـ يـ نـ كـ الـ وـ رـ دـ تـ يـ

أنت هند تشكو إلى أمها
 فقالت لها إن هذا الفحوى
وغير ذلك ما رأى الدهى
وما خاف يا أم بـ لـ ضـ منـي
وذوبـ منـ لـ وـ نـ سـ اـ ئـ لـ لاـ
وـ جـ هـ تـ لـ إلىـ الروـ وـ عـ الصـ باـ
فـ نـادـ اـ نـ الروـ وـ يـ روـ سـ تـ
فـ خـ بـ اـ ئـ وـ جـ وـ يـ وـ لـ كـ نـ
وـ يـ دـ هـ شـ تـ حـ يـ فـ تـ حـ عـ يـ
وـ مـازـ الـ بـ يـ الفـ حـ تـ اـ نـ حـ
وـ كـ انـ عـ لـ يـ رـ اـ سـ وـ رـ دـ تـ اـ

بأذنِي أوراقِه كلمتين
فحملني ويهيء موجتيَن
فريق وكم من فتى بين بين
فبالله يا أم ماذا تريَن
وماسَتْ من العجب في بردتَنِي
وذقتُ الذي ذقتَه مرتين^(١)

وخفت من الفحصن إذ تعتمت
فروحت إلى البحار للايتِرَاد
هو البحار يا أم كم من فتى
فها أنا أشكو إليك الجميع
فقالت وقد فتحتَ أمها
عرفتهُم واحداً واحداً

يقول المرحوم أنور المعاوى في تعليقه على الأبيات السابقة :

وهو (بشارة الخوري) يستخدم الضحى والليل والروض والفحصن والبحر ، يستخدمها
كمجالات خلقيَّة لصورة المرسومة .

ومن الملاحظ أنه لم يلْجأ - كما هو الحال عند المدرسة الكلاسيكية - إلى التعبير المباشر
في التشبيه ، لم يلْجأ إلى طريقة التجسيم التقليدي ليشبه بياض الوجه بنور الضحى :
وسواد الشعر بظلام الليل ، وبريق الأسنان بضوء النجم إلى آخر السلسلة من تلك القائمة
الرقيقة والمكررة «^(٢) » .

أنواع التشبُّه

من المسلم به أن المستفيد من التشبيه إنما هو المشبه حتى لو تذكر في صورة المشبه به
كما في التشبيه المقلوب ، وهذا هو المعقول ، فالتشبيه بمثابة القياس في إلحاقي شيء بشيء ،
أو حمل شيء على شيء ، ولما كان المشبه هو المنزل منزلة المقياس عادت فائدة التشبيه عليه
واختصست به .

وأغراض التشبيه كثيرة منها :

١- بيان حال المشبه :

وذلك إذا كنا نجهل حالة قبل إلحاقه بالمشبه به . نقول : (الفتاة قمر) فنعلم
ـ بالتشبيه - أنها جميلة ، ولو لا التشبيه ما علمنا ذلك ، فالتشبيه هو الذي بين حال الفتاة :
ـ لأنَّه أظهرها لنا في صورة قمر أَيْ جميلة .

(١) عن ديوان « الهوى والشباب » للأخطل الصغير « بشارة الخوري » .

(٢) كلمات في الأدب من ٦٨ .

ويقول النابغة مادحًا النعمان بن المنذر :

فإنك شمس الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد هنون كمن كتب
فتعلم حال النعمان وحال الملوك المعاصرين له ، أو حال النعمان مع الملوك المعاصرين له،
وأنه كان إذا طلع عليهم أخفهم وطمس معالمهم .

ويلزم - لنجاح التشبيه في تحقيق هذا الغرض - أن يكون المشبه به مشهراً بوجه
التشبيه؛ لأن الбаاعث على التشبيه إنما هو تعريف المخاطب بحالة المشبه المجهولة له ، فلو لم
تكن حالة المشبه به معروفة لديه من قبل ، لزم تعريف المجهول بالمجهول ، وكنا كمن يسكن
الطليب في ماعون متقوب .

٣- بِيَاقْ مُقْدَار حَالِ الْمُشَبَّهِ .

مثل : الفتاة جميلة كالقمر . هنا نعرف حال المشبه قبل عقد التشبيه ، وأنه جميل . لكن
إلى أي حد هو جميل ؟ لا ندرى ، وب يأتي التشبيه فيفيد أن الفتاة غاية في الجمال .
ويبلغة المحكمين نقول : إن التشبيه قد أعطى للمشبه درجة عالية بيّنت مقدار جماله .

ويقول الشاعر :

إذا قامت حاجتها تشتت
كان حظامها من خيزران
أفادت (تشتت) الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به وهو اللينونة لكن بقى أن نعرف
مقدار هذه اللينونة ودرجتها ، وقد أسعفنا التشبيه بذلك .

وكالبيت السابق هذا البيت :

فيها اثنستان وأربعون حلوبة سوداء كخافية الغراب الأسود (١)

٤- بِيَاقْ إِمْكَانِ الْمُشَبَّهِ :

ونتحليل في توضيح هذا الغرض على ما سبق في التشبيه الضمني ، ومن أمثلته فرق ما
هناك قول المتibi :

من يهن يسهل الهوان عليه مالجروح بميت أيام

(١) الخافية : ريش في الطائر يختفى إذا ضم جناحيه ، والأسود : شديد السوء .

وقول أبي فراس :

سيذكرني قىمى إذا جد جدم في الليلةظلماء يفتقد البدر
وقول البحترى :

دان إلى أيدي العفاة وشاسع عن كل ذى في الندى وضرير
كالبدر أفرط في العلو وضوء للعصبة السارين جد قرير
٤ - تقرير حال المشبه وتمكينها في نفس متلقى الأدب ساماً كان أو قارناً :

ويظهر ذلك بوضوح حين نشبه أمراً معنوياً بأمر حسى مثل أن نشبه من لا يجني ثمرة من عمله بمن يكتب على الماء أو في الهواء ، وكأن نشبه التعليم في الصغر بالنقش على الحجر ، ومن ذلك قول الشاعر :

إن القلوب إذا تناقر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يصعب
إذ نجد فيه من تقرير المعنى وتثبيته في النفس مالا نجده فيما لو شبها تناقر القلوب -
وهو أمر معنوى - بأمر معنوى آخر ، كأن نقول :

إن تناقر القلوب كتناقر العقول أو كالخصام بين أولى الأرحام ؛ فمن المقطوع به أن الجزم بالأمور الحسية أقوى من الجزم بالأمور المعنوية ، إذ المدرك بالحس أقوى من المدرك بالذهن ، ويتقاوت المحسوسات في درجة وضوحها على حسب التفرد أو التعدد في الحواس المدركة بها : فالمدرك بحساستين أقوى وأوضح من المدرك بحساسته واحدة ، والمدرك بثلاث حواس أقوى وأوضح من المدرك بحساستين ، وهكذا ، وعلى هذا جاء قول أبي نواس :

لا فاسقنى خمراً وقل لي هي الخمر

ولا تسقنى سراً إذا امكنت الجهر

قالوا : قصد - إمعاناً منه في التلذذ بالخمر - إلى أن يحسها بنونه وشمها ولمسه وبصره ، وأخيراً بسمعه .

٥ - تزيين المشبه وتحسينه ، لتقنع به العقول ، ولتعتنقه القلوب ، أو على الأقل ترضى عنه وتبنته .

ويتحقق ذلك إذا شبها شيئاً لا نرتاح إليه ، ولا نستشعر القبول له بشئ محبوب لنا

ومرضى عنه منا ، إننا في هذه الحالة ستلحق ماليس بحسن ولا محبوب بما استقر في
النفوس حسنة وحبه .

والمحصلة أن مستقبل الأدب سيتلقى المشبه بالترحاب الذي هو دأبه مع المشبه به : لما هو مركوز في الطياع من أن المتماثلين حكمهما واحد .

قال الشاعر :

سوداء واضحة الجبى ن كمثلة الظبي الغير

فالوجه الأسود مما لا يستحسن عادة وبخاصة في النساء ، ولأجل الترغيب فيه شبهه بشئ مستحسن ومحبوب هو مقالة الطلب الحسن الشكل .

وقال الشاعر :

ت Farageek Shabab Fi Lwamid

وَمَا حَسْنَ لِلَّيْلِ لَيْسَ فِيهِ نُجُومٌ

شبه الشاعر - تشبيهاً خمنياً - الشعر الأبيض بين الشعر الأسود بالنجوم تناقض في الليل البهيم ، والغرض من التشبيه إنما هو تزيين الشيب في العيون وتقريبه من العقول والقلوب .

ونحن نوظف التشبيه في هذا الفرض حين نشبه صوت مفن ناشئٍ بصوت مفن مشهور ،
ونحن تشبه أمنا من خطبتها هي لنا يأخذتنا الحلوة .

ومن هذا الغرض قول أبي الحسن الأنباري في مصلوب:

ومنه - إلى حد ما - هذا البيت:

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَاحٍ خَلَقْنَاهُنَّا وَكُلَّنَا يَشْتَهِي شَمَ الْرِّيَاحِنَ

٦- تقييح المشبه بالحالة المشبه به تقييح وهرkerd :

ونحو: خامنون أن المشبه به سيعدى المشبه بدمامته وكرافيته، فتتفقز منه النفس ويمجه سبق تقريره وهو مرکوز في الطياع من أن المتماثل، حكمها واحد

ويمثل لهذا الفرض بهذا البيت الذى اشتمل على تشبيه شى واحد بشينين اثنين :
فإذا أشار محدثاً فكانه
قرد يقهق أو عجوز تلطم
 ويقول الشاعر مقبحاً زوجته :
وتفتح - لـ كانت - فـما لو رأيته
تومته بـ بـاـبا من الشـر يـفـتـحـ
 وبهذا البيت مع التحفظ فيه بما سبق في نظيره :
ان النـسـاء شـيـاطـين خـلـقـن لـنـا
نـعـود بالـلـه من شـر الشـيـاطـين

* * *

تلك كانت أغراض التشبيه ، وما زاد على ذلك مما قالوا : إن الفرض من التشبيه فيه
 يعود على المشبه به وهو التشبيه المقلوب خطأً واضحًا : لأن مرسل الأدب ومستقبله كلهم لم
 يتب عن بالهم أن المشبه به في الحقيقة إنما هو المشبه ، حدل به عن مكانه إلى مكان
 المشبه به تجوزاً وصورة ، لا حقيقة ؛ خدمة له ، وببالغة في جعله أجمل وأكمل ، لا من المشبه
 به ، بل في ذاته وبنفسه ، وفي ذلك اعتراف ضمئي بتفوق المشبه به الحقيقي على المشبه في
 وجه الشبه ، وبيان المستفيد من التشبيه إنما هو المشبه دائمًا ، أي مهما تقلبت الأوضاع به
 واختلفت طرائق التعبير عنه .

* * *

فشئ آخر هو أن بعض البلاغيين قد جعلوا من أغراض التشبيه استطراف المشبه أى
 جعله طریقاً بایبرازه في صورة ممتنعة الحصول في الخارج أو نادرة الحصول في الذهن .
 وضرروا للأول مثلاً ، تشبيه فهم سرت فيه النار ببحر من المسك موجه الذهب . وهو
 تشبيه سخيف ولو أنه صحيح .

أما الثاني ، فقد مثلوا له بقول عدى بن الرقاب واصفًا قرن الغزال :

تقـرـجـى أـغـنـى كـانـ إـبـرـة روـقـه
قـلمـ أـصـاـبـ منـ الدـوـاـة مـداـداـها
 ويقول آخر يصف أزهار البنفسج على سيقانها :

وـلا زـوـرـدـيـة تـزـهـىـ بـزـرـقـتها
بـيـنـ الـرـيـاضـ عـلـىـ حـضـرـ الـبـرـاقـيـتـ
كـانـها ذـقـ ذـامـاتـ هـسـفـنـ بـهـا
أـوـأـلـ النـارـ فـيـ أـطـرـافـ كـبـرـيـتـ

ويقول الله تعالى مشبهاً الهلال بسباطة البلغ اليابسة المتقوسة :
﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالمرجون القديم﴾ .

والحق أن الطرافة الموجودة في هذه التشبيهات وأمثالها ليست غرضاً من أغراض التشبيه ، بل هي وصف له ، وهو وصف يطول أي تشبيه في أي غرض ، وذلك إذا كان طريناً حقاً .

الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز وصفان يتعاقبان على الكلمة والجملة .

فالمستعمل منها طبق معناه في المعجم يسمى حقيقة لغوية .

والمستعمل منها خلاف معناه في المعجم يسمى مجازاً لغوياً .

ولابد في المجاز اللغوي من وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعى أي بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، وهذه العلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غير المشابهة ، فإن كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة تصريحية أو مكتنية في المفرد ، وتمثيلية في المركب ،

أوإن كانت العلاقة غير المشابهة فالمجاز مجاز مرسل وعلاقاته متفرعة .

وأيضاً لابد في المجاز اللغوي من وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى . وهذه القريئة قد تكون لفظية ، وقد تكون عقلية تفهم من السياق العام للكلام أو من ملابساته الخارجية .

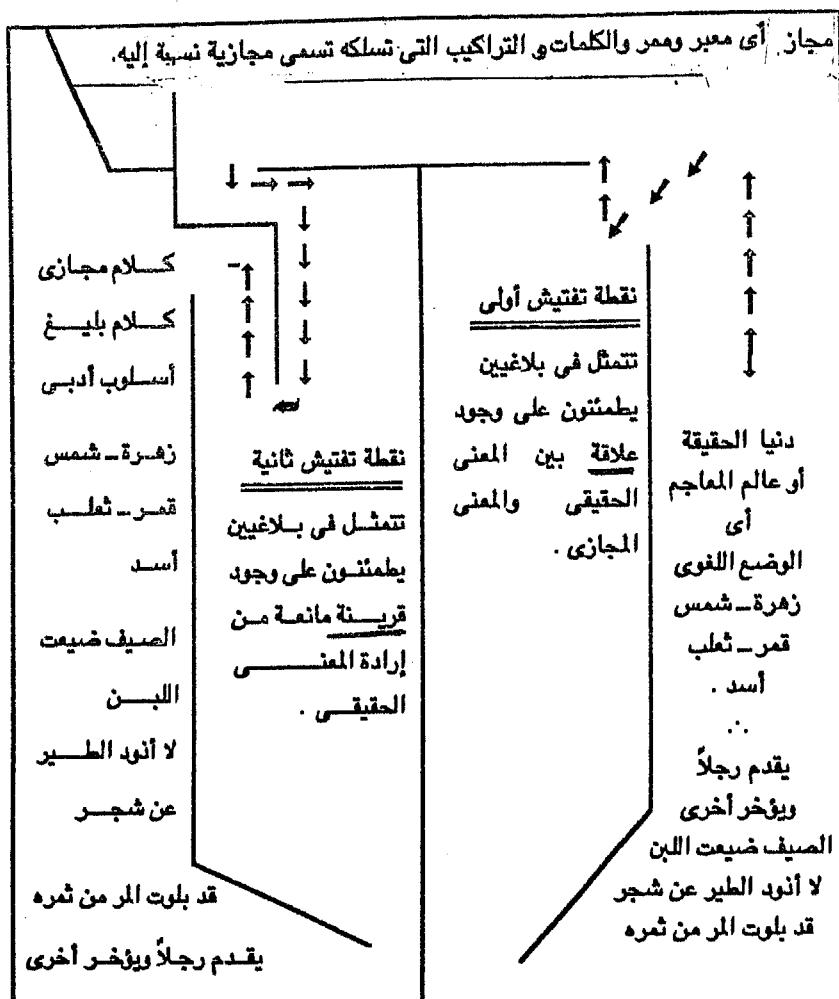
هذا كان المجاز اللغوى أي الذى يجرى في اللغة ، ويمكن تعريفه بأنه استعمال الكلمة أو الجملة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

والمجاز اللغوي قسميه هو المجاز العقلى وهو إسناد الفعل أو ما في معناه من المشتقات إلى ما ليس حقه أن يسند إليه لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي .

والسبب في تسميته بالمجاز العقلى أنه يتم في الإسناد لا في اللغة ، ولما كان الإسناد يدرك بالعقل لا الوضع سمي مجازاً عقلياً .

أما المجاز اللغوى فالمعمول عليه في إدراكه إنما هو العلم بالوضع اللغوى ، والوقوف على الدلالات الحقيقية لكلمات الجمل .

مجاز أي معبر ومحرر والكلمات والتركيب التي تسلكه تسمى مجازية نسبيه إليه.



الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية ضرب من المجاز اللغوى .

وهي كلمة أو جملة لم نستعملها فى معناها资料ى ، بل فى معنى مجاذى لعلاقة هي المشابهة بين المعنى资料ى والمجاذى ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى資料ى .

تقول : قابلنى صديقى خالد ومعه زهرة من زهارات المجتمع .

فـ (زهرة) استعارة تصريحية . وأصل الكلام تشبيه بليغ هو (خطيبة خالد زهرة) ، طورناه فحذفنا منه طرفه الأول وهو المشبه (خطيبة خالد) وصرحتنا فى مكانه بالمشبه به وهو (زهرة) ، ثم شفعتاه بما يدل على قصدنا منه أى بالقرينة المانعة من إرادة المعنى資料ى (الزهرة) وهذه القريئة هي (من زهارات المجتمع) .

وليس بالزام أن تكون القريئة لفظية كما فى المثال السابق ، بل قد تكون عقلية تفهم من سياق الكلام أو من دلائل الأحوال .

كلمة (البدر) في النشيد المدنى :

(طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)

استعارة تصريحية قرينته عقلية أو كما يقول البلاغيون حالية .

* * *

والاستعارة التمثيلية ضرب من الاستعارة التصريحية : ففيها نصرح بالمشبه به المذكور فى مكان المشبه ، ولا فرق بين الاستعاراتتين : (التصريحية والتمثيلية) إلا أن واحدة منها تجرى فى المفرد والأخرى تجرى فى المركب .

تقول للقائد العائد متتصراً : (عاد السيف إلى جوايه) .

وتقول للطالب الذى أجهد نفسه فى المذاكرة قبيل الامتحان حتى اعتل ولم يتمتحن :

« إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهراً أبقى » .

وتنتهي المحاضرة : لانتها ، وقتها وابتداه وقت غيرها فتقول :

« وأدرك شهر زاد الصباح فسكت عن الكلام !! ام »

وقدِيماً قال المتنبي لعائب شعره :

ومن يك ذا فم مر مريض **يمد** مرأ به الماء الزلازل
ولما كانت الاستعارة التمثيلية تجري أكثر ما تجري في الأمثال وبالامثال ، لزم التنبه
على أن لكل مثل مورداً ومضربياً .

فمورد المثل هو أصله التاريخي أو الخرافي .

الأول مثل : « قطعت جهيزه قول كل خطيب » .

والثاني مثل : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » .

أما مضرب المثل فهو ما نستعمله نحن فيه ونسوقه له .

وتطبيقاً على ما سبق نسوق هذا المثل : « أحسفاً وسوه كيلة » !! مورده وهو أصله
التاريخي أن رجلاً اشتري من آخر تمراً ، ولما عاد به إلى بيته أله حشاً وناقص الكيل ،
فقال ما قال متعجبًاً غاضبًاً وربما معاتبًاً .

ونوظف نحن مثله فنتمثل به أي نضربيه لكل من يُظلم من وجهين سواء كان الظلم ماديًّا أو
معنويًّا ، سواء كان المظلوم رجلاً أو امرأة .

والعملية البلاغية تتلخص في أننا شبهاً حالة المظلوم من وجهين بحالة الرجل الذي
اشترى تمراً فوجده حشناً ناقص الكيل ، ووجه الشبه بين الطرفين هو هيبة التأثير الشديد
بالظلم المزبور ، ثم حذفنا التركيب الدال على المشبه وصرحنا في مكانه بالتركيب الدال
على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية ، والقرينة حالية .

ولا تكون قرينة التمثيلية إلا حالية .

ما رأينا؟

لأن الأمثال لا تُغير ، وبعبارة أخرى لأن نواتها مصونة لا تمس ، ولا نملك إزاحتها إلا أن
نقولها كما وصلت إلىنا دون زيادة أو نقص ، بل دون أننى تغيير أو تحويل في النص .

وسر بلاغة الاستعارة التصريحية في المفرد وفي المركب شدة الإيجاز وشدة المبالغة ، مع
ما في التمثيلية من حيوية التعبير بتوظيف التاريخ ، وببث شئ من التراث في الأدب
الحديث .

الاستعارة المكنية أو الاستعارة بالمعنى

تسميتان لمعنى واحد .

وهي أن تمحف الشبه به بعد أن تستبق شيئاً من لوازمه تكتى عنه به ثم تستند إلى المشبه المذكور في الكلام .

تقول : نستيقظ في الصباح على زئير الأب ، ف تكون قد شبّهت الأب بالأسد ثم حنفت المشبه به وهو الأسد ، لكن بعد أن أخذت الزئير وهو من خواصه فكتبت عنه به ثم أسلنته إلى المشبه وهو الأب .

وقال أبو نؤيب الهدلي :

ولَا مُنْيَةٌ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا الْفِيتُ كُلُّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْقَعُ

معنى البيت : إذا جاء الأجل تعطلت الحيل ، والصورة البينية استعارة مكنية ، فقد شبّه الشاعر المنية بالحيوان المفترس ، ثم حذف المشبه به وهو الحيوان المفترس ، لكن بعد أن استبقي وسيلة في الفتك وهي الأظفار التي أثبتتها للمشبّه المنصوص عليه في البيت وهو المنية .

وقالت حمدونة الأندلسية تصف وادياً :

نَزَلَنَا دُوْحٌ فَحَنَّا عَلَيْنَا حَنُوا الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ

في الشطرة الأولى شبّهت حمدونة الأشجار بالأمهات ، ثم حذفت المشبه به وهو الأمهات ، لكن بعد أن رمزت إليهن وكثّت عنهن بأبريز خواصهن وهو الحنو ؛ ثم نسبت هذا الحنو إلى المشبه وهو الدوح .

أما (حنو المرضعات على الفطيم) فصورة بيانية أخرى هي التشبيه البليغ .

وقال زهير بن أبي سلمى :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلَه

وعري أَفْرَاسَ الْمَصَبَا وَرَوَاحَلَه

يُخبر زهير أنه ثاب إلى رشده وأقلع عن حبه لسلمى .

وقد شبه الصبا - وهو مرحلة من مراحل العمر تغلب عليها الرعنون والطيش - بجهة من جهات المسير ، ثم حذف الجهة لكن بعد أن كتب عنها بما تستلزم من أفراس ورواحل ، ثم أثبتت هذا اللازم للشبه وهو الصبا .

وقال تعالى على لسان زكريا :

«رب إني وهن العظم مني واشتغل الرأس شيئا» .

شبه زكريا رأسه بالحطب ، ثم حذف المشبه به وهو الحطب ، بعد أن كتب عنه بأهم لوازمه وهو الاشتعال الذي أسنده إلى المشبه وهو الرأس .

قرينة المكنية استعارة تخيلية

تحقق القرينة في الاستعارة المكنية بإثبات لازم المشبه به المحنوف من الكلام للمشبه المذكور في الكلام .

وإثبات الزئير للأب في مثالنا .

وإثبات الأظفار للعنية في بيت أبي ذؤيب .

وإثبات الجنو للروح في بيت حمدونة .

وإثبات الأفراس والرواحل للصبا في بيت زهير .

وإثبات الاشتعال للرأس في الآية الكريمة .

وهذا الإثبات يسميه البلاعرون (الاستعارة التخيلية) .

والبلاعرون محقون في هذه التسمية .

أما أنه استعارة ، فلأن اللازم وهو الأمر المختص بالمشبه به المحنوف ، قد استعير للشبه المذكور ، ودخل في حوزته حتى كأنه له جبلة وخطة .

ولما كان الأمر على خلاف ذلك حقيقة ، كان إسناده إلى المشبه من قبيل التخييل ، ووصف الاستعارة - لهذا - بأنها تخيلية .

وواقع الحال في الاستعارة التخيلية يؤكد ما قلناه ويعمقه ؛ ذلك أن طرفيها مستعملان فيما وضعاه حقيقة :

فالب والزئير في المثال الأول .

والمنية والأظفار في المثال الثاني .

والروح والحنف في المثال الثالث .

والصبا ، والأفراس والواحد في المثال الرابع .

والرأس بالاشتعال في المثال الخامس .

كلها مستعملة استعمالاً حقيقةً ، أما المجازى ، فهو إثبات بعضها لبعض ، إنه بكل تأكيد إثبات الشيئ لما ليس له حقيقة ، هو أقرب إلى المجاز العقلى إذن .

وبناءً على ما سبق تكون قرينة الاستعارة المكنية استعارة تخيلية دائمًا ، ويوسعنا أن نقول : إنهم متألزمان ، فالمتخيلية لا توجد بدون المكنية ، لا تكون قرينة المكنية إلا تخيلية .

* * *

وسر بلادفة الاستعارة المكنية ما فيها من تشخيص وهبة حياة ، ذلك أن كمية الخيال فيها أكبر من كميته في الاستعارة التصريحية ، من حيث إن المكنية صورة خيالية أصلية ملحقة بها صورة خيالية فرعية هي قرينتها التخيلية .

ويمكن القول لهذا بأن الخيال في الاستعارة المكنية مركب ، أما في الاستعارة التصريحية فبسقط هذه واحدة .

والآخر أن الاستعارة المكنية فيها الكنية عن المشبه به المحنف بما استبقيناه منه دلالة عليه ؛ وهذا يعني أنه قد اجتمع لنا في صورة بيبانية واحدة هي الاستعارة المكنية مجاز وكنية معاً .

وإذا كان جمهور البلاغيين يقدرون أن الانتقال في المجاز من اللازم إلى الملزم ، وفي الكنية من الملزم إلى اللازم ، فإن الأمرين هنا يمكنان قد اجتمعا ، واجتمعهما مع اختلافهما طبيعة وطريقة يكسب النسج الأدبي المكون منها جمالاً وقوة ، لأنهما يمكنان فيه كاللحمة والسدى ، أو كسلوك الطريق الواحد مرتين ذهاباً وجائحة .

إذا كانت الاستعارة المكنية تدل على اقتدار الأديب ، وعلى روعة إبداعه ، فإن على متنقى الأدب أن يكون يقظاً وهو يستقبلها : ليقدر على مواكبة الأديب ، وعلى التحليق معه في أجوائه العبة بأريح الفنية .

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية

تتقسم الاستعارة - باعتبار المشبه به - إلى أصلية وتبعدية .

وتكون الاستعارة أصلية إذا جرت في اسم جامد يصدق على كثرين حقيقة كأسد وشلبه ، أو تأويلاً كحاتم وعترة .

ويستوى أن يكون الاسم الذي جرت فيه الاستعارة اسم ذات كما سبق أو اسم معنى كالحياة والموت .

تقول : يحضر المحاضرات معناأسد أو حاتم ، ولأسانتتنا علينا فضل إحيائنا .

* * *

وقد صدر البلاغيون في تسمية هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية عن أن الأصل في الأشياء يعني الكثير الغالب منها : ومن المسلم به أن الاستعارة الأصلية أكثر من الاستعارة التبعية .

أو عن الأصل الذي يذكر في مقابله الفرع ، وهذا حق ، فالاستعارة التبعية فرع عن الأصلية وتبع لها ، وسيأتي تفصيل ذلك .

* * *

أما الاستعارة التبعية فهي ما جرت في اسم مشتق أو في فعل أو في حرف .

مثلها في اسم مشتق وهو اسم فاعل : عملك ناطق بفضلك .

فـ (ناطق) استعارة تصريحية في المشتق .

شبها (دلالة العمل على الفضل) بـ (دلالة النطق عليه) .

واستعرنا الثاني للأول . ثم اشتقتنا من النطق بمعنى الدلالة (ناطق) بمعنى (DAL) .

ومثالها في اسم مشتق وهو أنفع تفضيل قول الشاعر :

وأنفع نطق بشكر برك مفصحاً فلسان حالى بالشكایة انطق
شبه الشاعر (دلالة الحال) بـ (النطق) واستعارة النطق لدلالة الحال ثم اشتق من النطق
بمعنى الدلالة (أنطق) بمعنى (أدل) استعارة تصريحية تبعية في المشتق .

* * *

ومثالها في اسم مشتق وهو اسم مكان قول الله تعالى : « يا ولنا من بعثنا من مرقدنا »
فالمفرد هنا هو القبر لا موضع رقاد النائم ، شبه الدفن بالرقاد ؛ واستعير الرقاد للدفن ، ثم
اشتق من الرقاد بمعنى الدفن (مرقد) بمعنى (مدفن) أي مكان الدفن وهو القبر ،
استعارة تصريحية تبعية في المشتق .

* * *

والاستعارة التبعية في الفعل تختلف فيما بينها ، لأنها إما أن تكون في مادة الفعل
الدالة على معناه ، وإما أن تكون في صيغته الدالة على زمانه .

مثالها في مادة الفعل قول الله تعالى : « يحيى الأرض بعد موتها » .

فالإحياء بمعنى بث الروح في الجسد لا يناسب الأرض ، لكن يناسبها اهتزازها
بالأشجار والزهور والثمار ، شبه - جل شأنه - إخراج النبات من الأرض بالإحياء ،
 واستعارة الإحياء لإخراج النبات ، ثم اشتق من الإحياء بمعنى إخراج النبات (يحيى)
بمعنى (يخرج النبات) استعارة تصريحية تبعية في مادة الفعل .

ومثالها في صيغة الفعل قول الله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » .

أمر الله لم يأت بدليل « فلا تستعجلوه » فلماذا قال الله تعالى (أتى) بصيغة الماضي
فلم يقل « يأتي أو سوف يأتي » ؟

الجواب أن في الكلام استعارة تصريحية تبعية هي :

شبه الله الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي ، ووجه الشبه بينهما هو تحقق
لتوقعهما ، وأن ما سيأتي في التأكيد من وقوعه كأنه أتى فعلا ، ثم استعارة الإتيان في
الماضي للإتيان في المستقبل ، واشتق من الإتيان في الماضي بمعنى الإتيان في المستقبل
(أتى) بمعنى (يأتي) .

وكما استعملت صيغة الماضي للمضارع : استعملت صيغة المضارع للماضي قال تعالى على لسان إبراهيم مخاطباً ولده إسماعيل عليهما السلام : « يا بني إنِّي أرى في المنام أنِّي أذبحك ». .

فرؤية إبراهيم قد حصلت له قبل أن يخبر بها ولده ، وكان المنتظر أن يقول ، (إنِّي رأيت) لكنه استبدل (أرَى) بـ (رأيت) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية هكذا : شبه الرؤية في الماضي بالرؤبة في الحاضر ، إشارة إلى أن ما رأه - وهو بالنسبة للأب أمر صعب - لا يزال ماثلاً له كأنه لم يفارقه ، ثم استعار الرؤبة في الحاضر للرؤية في الماضي ؛ واشتق من الرؤبة الحاضرة بمعنى الرؤبة الماضية (أرَى) بمعنى (رأيت) .

أما الاستعارة التبعية في الحرف :

فمن أمثلتها قول الله تعالى : « فالتقطه أَلْ فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ». .
وبيانها أن لام العلة في الآية مستعملة استعملاً مجازياً ، لأن ما بعدها ، وإن كان متربتاً على ما قبلها ، ليس العلة الباعثة عليه ، فما فرعون لم يتقطعوا موسى ليكون لهم عدواً وحزناً ، بل ليكون مصدر أنس وسعادة لهم. وتسلسلاً لهذه المفارقات شبه الله السعادة والأنس بالعداوة والحزن بجامع التضاد بين الطرفين تملحاً وتهكمًا ، أو بجامع الترتيب على الالتفات في الطرفين ، مطلق ترتيب شيء على شيء وقد سرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتيب السعادة والأنس على الالتفات بترتيب العداوة والحزن عليه ، ثم استعار اللام الدالة - حقيقة - على ترتيب الأنس والسعادة على الالتفات .
ذلك : استعارها لتدل - جازأً هذه المرة - على ترتيب الحزن والعداوة عليه ، استعارة تصريحية تبعية في الحرف .

* * *

وكان الآية السابقة قول الله تعالى : « لاصلبنكم في جنوح النخل » ، فالحرف (لن) موهسّب للتبيّن الظرف بالظروف الحقيقيّين ، وهذا يعني أنه مستعمل في الآية استعملاً مجازياً ، لأن ما بعده لا يصلح ظرفاً لما قبله على الحقيقة ، لكن لما كانت الجنوح ، متمكنة من الصلوبيّن تمكّن الظرف من المظروف ، شبّه الجنوح بالظرف الحقيقيّ في هذا التمكّن ثم استعير لها الحرف (فـ) .

استعارة تصريحية تبعية في الحرف

وقد سميت الاستعارة التي تجري في المشتق أو في الفعل أو في الحرف استعارة تبعية ، لأن الأديب لم يمارسها ابتداء ، ولم يقصد إليها رأساً ، بل مارسها انتهاء ، وكان وصواه إليها من خلال استعارة أخرى سبقتها هي الاستعارة التصريحية الأصلية .

وأوضح ذلك أكثر فنقول :

الاستعارة التبعية إن كانت في المشتق أو في الفعل ، يتم التشبيه في المصدر أولاً ، ثم ينقل المصدر إلى غير معناه الحقيقي ثانياً ، وبعد ذلك يشتق منه ما تمت الاستعارة فيه من وصف أو فعل ؛ وبهذا تكون الاستعارة فيما تابعة للاستعارة في المصدر .

وإن كانت الاستعارة التبعية في الحرف ، فإن البلاغيين قد اختلفوا في تحليلها وتعليقها على الوجه الآتي :

(١) منهم من يجعل التشبيه في المجرور بالحرف أصلاً ، وفي معنى الحرف فرعاً ، وهو ما يسمونه التشبيه بالسرaya ، ثم ينقل الحرف إلى المعنى المراد .

ففي المثال (محمد في نعمة) نقول :

شبّهوا النعمة على محمد بدار فيها محمد ، وقد جر التشبيه الأصلي إلى تشبيه فرعى - أو كما يقولون سرى إليه - هو تشبيه الحرف (على) بالحرف (في) .

ثم استعاروا الحرف (في) للحرف (على) وبدلأ من أن يقولوا (محمد منعم عليه) قالوا : (محمد في نعمة) .

وبناءً على هذا الرأي تكون الاستعارة التبعية في الحرف تابعة لتشبيه هو تشبيه السرaya ، وليس تابعة لاستعارة أصلية .

(٢) ومنهم من يجعل التشبيه الأصلي في متعلق معنى الحرف لافي المجرور بالحرف ، ويحلل آية « فالنقطة آل فرعون » هكذا :

شبّه الله تعالى مطلق ترتيب علة غائية كالمحبة والسرور على الالتفاظ ، بمطلق ترتيب علة واقعية كالعداوة والحزن على الالتفاظ بجامع ترتيب شيء على شيء ، وقد سرى التشبيه من هذين الكلينين إلى جزئياتهما

وأنطلاقاً من التشبيه الحاصل ، السراية استعيرت اللام الموضوعة لجزء من أجزاء المشبه به هو ترتيب العداوة والحزن المتعلقين بموسى على التقاطه، لجزء من أجزاء المشبه هو ترتيب المحبة والسرور المتعلقين بموسى على التقاطه، استعارة تصريحية تبعية في الحرف، والاستعارة التبعية هنا مازالت - كما كانت في الرأى السابق - تابعة لتشبيه السراية وليس تابعة لاستعارة أصلية .

(٣) وفريق ثالث يجعل التشبيه في متعلق معنى الحرف كسابقه ، ولكنه يزيد على سابقه باستعارة المشبه به الكلى للمشبه الكلى ، ثم يستغل التشبيه في الأجزاء عن طريق السراية، فينقل الحرف المستعار من كل المشبه به إلى كل المشبه ، ففي آية الالتفاظ لا أكثر من أن يقال بعد تقدير التشبيه في الكليين :

ثم استعير اسم المشبه به الكلى للمشبه الكلى .

وبهذا تكون الاستعارة في الحرف هذه المرة تابعة لاستعارة الأصلية في كل المشبه به وهي الاستعارة التي سبقت تشبيه السراية في الجزئيات^(١) .

* * *

والرأى عندي أن الاستعارة التبعية ولاسيما الاستعارة في الحرف ، لا تستحق كل هذا الدوران واللف .

فالحس الأدبي لتلقى الأدب يدرك وحده ، وبعيداً عن هذه الأكاديمية المقددة ، ما أراد مبدع الأدب أن يقوله بدقائقه وإطانته ، بل بدوافعه التي هدت إليه وجذبتـه .

أما مرسل الأدب فلا شك في أنه لم يتكلم أولاً بال المصدر ولا بمتصلق معنى الحرف ولم يقصد إلى استعارة شيء منها أصلاً ليبني عليه استعارة شيء آخر تبعاً ، وإنما لم يحس بما قاله البلاغيون من سريان التشبيه من الكليات إلى الجزئيات إلى آخر ما هناك من تقديرات وتحليلات ، لا تمت إلى البلاغة الاصطلاحية ولا إلى البلاغة بمعنى الكلام البلاغي بآية هصلة .

* * *

ومهما يكن من أمر الاستعارة التبعية تفسيراً وشرحـاً ، فقد لاحظت أنها - من حيث وجودها أو عدمها - أطوطع للبلاغ في الاستعارة التصريحية الجارية في المفرد منها في الاستعارة المكنية : وهذا معقول .

(١) الإيضاح ج ٥ ص ١٠٨ - ١١٠ شرح وتعليق خفاجي ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ، والمنهاج الواضح لحامد عونى ج ١ ص ٢٦٠ ط ٢٠٣٧ م / ١٩٥١ م القاهرة .

فهي تأتي بالتصرف في المشبه به المصرح به في الكلام في الاستعارة التصريحية وهو محنوف في الاستعارة المكنية .

وفي حدود اطلاعى لم أجد من القدماء من أثار هذه المسألة ، ومن المحدثين : رأى المرسليان على الجارم ومصطفى أمين أن التبعية تأتي في المكنية كما تأتي في التصريحية قالا في الهامش رقم (١) ص ٨٤ من « البلاغة الواضحة » :

« وتقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية ، ومثال الاستعارة المكنية التبعية (أعجبتني إرادة الضارب به الباغي) .

فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضريباً شديداً ، ثم حذف ورمن إليه بشيء من لوازمه ، وهو الإرادة على طريق الاستعارة المكنية التبعية » (١) .

* * *

ونلاحظ أن ما مثل به المؤلفان الفاضلان للإستعارة المكنية التبعية لم يزد على مثال واحد ، وقد جاء على هامش الموضوع لا في صلبه ، ومع هذا فهو - كما نرى - يادى الاصطناع والتلف ، ونضيف أن السكاكي نفسه غير مرتاح إلى الاستعارة التبعية في التصريحية .

فهو بعد أن يوردها ويمثل لها ، يقترح إلغاؤها وتحويل أمثلتها إلى الاستعارة المكنية ويزيد فيخرجها على أنها استعارات مكنية : وهذا هو نص كلامه في ختام ما جعل عنوانه : (القسم السادس في الاستعارة التبعية) : « وأعلم أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال وما يتصل بها على نسبتها إلى الفاعل كقولك (نقطت الحال) ، أو إلى المفعول الأول كقول ابن المعتز : (قتل البخل وأحياناً السماحا) أو إلى الثاني المنصوب كقول الآخر : (نقر لهم لهذميات) ، أو إلى المجرور كقوله علت كلمته : (فبشرهم بعذاب أليم) ، أو إلى الجميع ك قوله :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة
إذا سرى النوم في الأجنان إيقاظاً

(١) الطبعة السابعة . دار المعارف بمصر ١٢٨٣هـ / ١٩٦٤ .

هذا ما أمكن من تلخیه ، كلام الأصحاب في هذا الفصل .

لو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكتابية ، بـأـنـ قـلـبـواـ فـجـعـلـوـاـ فـيـ قـوـلـهـمـ :ـ نـطـقـتـ الـحـالـ بـكـذـاـ ،ـ الـحـالـ الـتـىـ ذـكـرـهـ عـنـهـمـ قـرـيـنـةـ الـاسـتـعـارـةـ بـالـتـصـرـيـحـ ،ـ اـسـتـعـارـةـ بـالـكتـابـيـةـ عـنـ الـمـتـكـلـ بـوـسـاطـةـ الـمـبـالـغـةـ فـيـ التـشـبـيـهـ عـلـىـ مـقـضـيـ المـقـامـ ،ـ وـجـعـلـوـاـ نـسـبـةـ الـنـطـقـ إـلـيـهـ قـرـيـنـةـ الـاسـتـعـارـةـ ،ـ كـمـ تـرـاهـمـ فـيـ قـوـلـهـ (ـ وـإـذـ الـمـنـيـةـ أـنـشـبـتـ أـظـفـارـهـ)ـ يـجـعـلـوـنـ الـمـنـيـةـ اـسـتـعـارـةـ بـالـكتـابـيـةـ عـنـ السـبـعـ وـيـجـعـلـوـنـ الـأـظـفـارـ لـهـاـ قـرـيـنـةـ الـاسـتـعـارـةـ .ـ

وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكتابية عن حـىـ أـبـطـلـ حـيـاتـهـ سـيـفـ أوـ غـيرـ سـيـفـ فـالـتـحـقـقـ بـالـعـدـمـ ،ـ وـجـعـلـوـاـ نـسـبـةـ الـقـتـلـ إـلـيـهـ قـرـيـنـةـ ،ـ وـلـوـ جـعـلـوـاـ أـيـضـاـ الـلـهـزـمـيـاتـ اـسـتـعـارـةـ بـالـكتـابـيـةـ عـنـ الـمـطـعـومـاتـ الـلـطـيفـةـ الشـهـيـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الـتـهـكـمـ وـجـعـلـوـاـ نـسـبـةـ لـفـظـ الـقـرـىـ إـلـيـهـاـ قـرـيـنـةـ الـاسـتـعـارـةـ ،ـ لـكـانـ أـقـرـبـ إـلـىـ الضـبـطـ فـتـبـيرـهـ .ـ

وفي مكان آخر قال : « وإذ قد عرفنا الحقيقة في المفرد وفي الجملة ، وعرفنا تتوزع المجاز إلى استعارة مصري بها ومحكمها عنها ، وعرفنا ما يتصل بذلك من التحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية ، ومن الأصلية والتبعية على رأي الأصحاب دون رأينا » (١) .

فإذا كان السكاكي أبو البلاغة الاصطلاحية لا يريد أن ينقل كلامها بما جعله غيره استعارة تبعية ، وجعل أمثلتها كلها من المكتبة ، فما بالنا نشق على أنفسنا وعلى بلاغتنا بتمحل التبعية في المكتبة أو من المكتبة ، وهي غير متصرورة فيها ولا منها نظرياً مثلاً هي غير واردة فيها ولا منها عملياً !

ولقد وقف الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني موقفاً وسطاً بين السكاكي ومن كان السكاكي يسميهم الأصحاب قال : « أعلم أن بعض أمثلة الاستعارة التبعية يمكن اعتبارها استعارة بالكتابية ، ومثل ذلك بواحد من أمثلة السكاكي هو : (نطقت الحال بـكـذـاـ) (٢) .

وموقف اليازجي هو موقف الجارم ومحيطفي أمين في هذه القضية ، فهما بعد أن مثلتا للتبعية بمثاليين وحللاهما على أنهما من الاستعارة التبعية ، عادا فحللاهما على أنهما من الاستعارة المكتبة - مثلاً فعل السكاكي - وخلصا إلى أن كل استعارة تبعية يصح أن يكون في قرينتها استعارة مكتبة ، غير أنه لا يجوز إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كليتهما (٣) .

وعلل هذا أن يكون الحل الأمثل لهذه المسألة علمياً وعملياً .

(١) مفتاح العلوم ص ١٨١، ١٩٦.

(٢) مجموع الأدب في مفنون العرب من ١١٨ ط ١٢ بيريت سنة ١٩٤٨ م .

(٣) البلاغة الواضحة من ٨٤ .

الاستعارات : المرشحة والمجرطة والمطلقة

نسم الاستعارة باعتبار ذكر الملام لأحد طرفيها أو إثنين منها إلى هذه الأقسام الثلاثة :

لذة وشجة : هي التي ناتى فيها مع القرينة بما يلام المشبه به .

كقولك : قابلنى صديقى ومعه زهرة من زهارات المجتمع تملأ الأفق شذاً فـ (تملأ الأفق
شذاً) يلام المشبه به وهو الزهرة .

وكقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلال بالهدى فما ريحهم تجارتهم ». استعار سبحانه تعالى الاشتراء للاختيار ، وفاته بالربح والتجارة الذين هم من متعلقات الاشتراء .
وكلّيّ الشاعر :

يُنَازِّهُنِي رَدَائِي عَبْدُ عَمْرُو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لِلشَّطَرِ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي وَدُونِكْ فَاهْتَجَرْتُ مِنْهُ بِشَطَرِ
اسْتِعْارِ الرِّداءِ السَّيْفِ ، ثُمَّ وَصَفَ الرِّداءَ بِمَا يَلَامُهُ مِنَ الْاعْتِجاَرِ الَّذِي هُوَ لِفَ الرَّأْسِ
بِرِداءٍ وَنَحْوِهِ .

والمجرطة : هي التي ناتى فيها مع القرينة بما يلام المشبه كقولك :

قابلنى صديقى ومعه زهرة من زهارات المجتمع تتحدد الإنجليزية بطلاقته فـ (تتحدد
الإنجليزية بطلاقته) يلام المشبه وهو الفتاة ولا يلام المشبه به وهو الزهرة . وكلّيّ كثير
عنزة :

فَمَوْرِ الدِّرَاءِ إِذَا قَبَسَ ضَاحِكًا غَلَقْتُ لِفَسِمِكَتِهِ رِقَابَ الْمَالِ (۱)
اسْتِعْارِ الرِّداءِ الْمَعْرُوفِ : لَأَنَّهُ يَصْوِنُ عَرْضَ صَاحِبِهِ كَمَا يَصْوِنُ الرِّداءَ مَا يَلْقَى عَلَيْهِ ،
وَوَصْفُهُ بِالْفَمِرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ لِلرِّداءِ .

وكلّيّ البحترى :

يُؤْدِونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى أَسْدِ مِنَ الْإِيْوَانِ بَادِ

(۱) الفمر : الماء الكبير ، والمراد به هنا كلّة العطاء ، أما غلقت : فمن غلق الرهن في يد المدين إذا لم يقدر الراهن على فكه لعجزه عن أداء الدين .

فـ (من الإيوان باد) تجري ، لأنـه ما يلائم المشبه وهو الإنسان الجميل .

أما الاستعارة المطلقة :

فهي مالم تقترب بشـئ يلائم المشـبه ، ولا بشـئ يلائم المشـبه به ، بل تقتصر على القرينة فتقول : قابلـني صديقـي وـمعـه زـهرـة من زـهـراتـ المجتمع .

وـ كـقولـه تعالى « يـنـقـضـونـ عـهـدـ اللهـ » .

* * *

وـ من الاستعارة المطلقة ما جـمعـتـ بينـ تـرـشـيـحـ وـ تـجـريـدـ مـعـاـ ؛ لأنـهما باجـتمـاعـهـما يـتـعـارـضـانـ وـيـتـعـادـلـانـ .

قالـ الشـاعـرـ :

رمـتـنـى بـسـهـمـ رـيشـهـ الـكـحـلـ لـمـ يـضـرـ ظـواـهـرـ جـلـدـيـ وـهـوـ لـلـقـلـبـ جـارـحـ فـ « فـريـشـهـ » تـرـشـيـحـ ، لأنـهـ مـنـ مـلـائـمـاتـ المشـبـهـ بـهـ وـهـوـ السـهـمـ ، وـ (الـكـحـلـ) تـجـريـدـ ؛ لأنـهـ مـنـ مـلـائـمـاتـ المشـبـهـ وـهـوـ نـظـرـةـ الـمـرأـةـ .

وـ كـتـولـ زـهـيرـ بـنـ أـبـيـ سـلـمـىـ :

لـدـىـ أـسـدـ شـاكـىـ السـلاـحـ مـقـذـفـ

لـهـ لـبـدـ أـظـفـارـهـ لـمـ تـقـامـ

فـ (شـاكـىـ السـلاـحـ) بـعـنىـ تـامـهـ : تـجـريـدـ ؛ لأنـهـ مـنـ مـلـائـمـاتـ المشـبـهـ وـهـوـ الرـجـلـ الشـجـاعـ ، وـ (لـهـ لـبـدـ) تـرـشـيـحـ ؛ لأنـهـ مـنـ مـلـائـمـاتـ المشـبـهـ بـهـ وـهـوـ الـأـسـدـ ، أـمـاـ (مـقـذـفـ) فـيـحـتـلـ الـأـمـرـيـنـ مـعـاـ ، لأنـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـنـ وـصـفـاـ حـقـيقـاـ الـأـسـدـ ، وـيمـكـنـ أـنـ يـكـنـ كـنـاـيـةـ عنـ نـفـيـ الـضـعـفـ عنـ الـمـدـحـ .

* * *

ويـحـسـنـ التـنبـيـهـ إـلـىـ أـنـ التـرـشـيـحـ وـالـتـجـريـدـ إـنـمـاـ يـكـوـنـانـ بـعـدـ اـسـتـيـقـاءـ الـاستـعـارـةـ قـرـينـتهاـ لـفـظـيـةـ كـانـتـ هـذـهـ قـرـينـةـ أـوـ حـالـيـةـ .

كـماـ يـحـسـنـ التـنـوـيـهـ بـأـنـ عـبـدـ الـقـاهـرـ كـانـ يـسـمـيـ التـرـشـيـحـ تـنـاسـيـ التـشـبـيـهـ .

أما اصطلاح الترشيح فقد كان الزمخشري أول من اهتمى إليه بقوله في الكشاف ، تهنيباً على آية البقرة « أولئك الذين اشتراها الضلال بالهدى فما ربحت تجارتكم » : فain قلت : هب أن شراء الضلال بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال ، فما معنى ذكر الربح والتجارة ، كأن ثم مبادلة على الحقيقة ؟ قلت :

هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز النزوة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات ، إذا تلحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ما يروي نقاً وهو المجاز المرشح ، وذلك نحو قول العرب في البليد : كان أذني قلبه خطلوان ؛ جعلوه كالحمار ، ثم رشحوا ذلك ، روماً لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين ، وادعوا لهما الخطل - وهو الاسترخاء - ليتمثلوا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة »^(١) . وكذلك كان الزمخشري هو الذي مهد لاصطلاح التجريد بكلام يدور حول معناه الاصطلاхи وإن لم يسمه باسمه كما فعل في الترشيح^(٢) .

موازنة بين المرشحة والمجرفة والمطلقة

الاستعارة أساسها التشبيه ، وهي - على وجه التحديد - تطوير للتشبيه البليغ بحذف أحد طرقه إمعاناً من الأديب في تناسى التشبيه ، وبمبالغة منه في ادعاء أن المشبه قد صار هو المشبه به ، وبينما عليه يكون الترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به ، تقوية للاستعارة ، لأنه تصعيدي لدعوى الاتحاد بين المشبه والمتشبه به ، وكأنه ليس معنا تشبيه ولا استعارة بل حقيقة .

انظر إلى قول أبي تمام :

ويصعد حتى يظن الجھول بآن له حاجة في السماء

إنه قد استعار الصعود الحسى لعلو المنزلة ، ثم لم يلبث أن نسى ذلك أو تناساه ، وما هو ذا يشنع على من يراه يصعد ويصعد فيظن أن له مأرباً في السماء فلولا أن الصعود صعود حسى ما ظن الجھول هذا الظن .

ويمثل بيت أبي تمام تماماً قول ابن الرومي في مدح آل نوبخت ، وقد كانت لهم شهرة بالفلك والحكمة :

(١) الكشاف ج ١ من ١٤٧ الطبعة الثانية ، طبعة المطبعة الأميرية بيلاق .

(٢) الكشاف ج ١ من ١٧٧ .

حقاً إذا ما سواكم انتحلا
تاس ولكن بإن رقى فعلا
فلستم تجهلون ماجهلا
أمر إلى أن يلتفتم زحلا

ولم تك تبرح الملاكا

منها الشموس وليس فيها المشرق

نفس أعز على من نفسى
شمس تظللنى من الشمس

لا تعجبوا من بلى خلاته قد زر أذاره على القمر

وقول أبي المطاع ذي القرنيين بن ناصر الدولة الحمداني :

توى الثياب من الكتان يلمحها سور من البدار أحياناً فييليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدار في كل وقت طالع فيها
فقد صنع هؤلاء الشعراء صنيع أبي تمام من تناسى التشبيه ، وإجراء الكلام على
المشبه به الذي هو المستعار منه ، أما المشبه وهو المستعار له فقد نجحوا إلى حد كبير في
شغل متلقى الأدب عنه بتنقلهم له من بقعة الشعور إلى هامشه مؤقتاً .

ولما كان هذا هو أثر الترشيح كانت الاستعارة المرشحة هي الاستعارة الراجحة في
ميزان المفاضلة بينها وبين المطلقة والمجردة .

ثليها الاستعارة المطلقة : لأنها وإن خلت مما يلائم المشبه به ، قد خلت كذلك مما يلائم
المشبه ، أي أنها تقع في المطلقة الوسطى بين الترشيح والتجريد .

* * *

أما الاستعارة المجردة فتائى ساقه للمرشحة والمطلقة لأنها قد خلت مما يلائم المشبه به، ولابن هذا فقط ، بل إنها بالإضافة إلى ذلك قد اشتغلت على ما يلائم المشبه

* * *

والخلاصة أن المرشحة تمثل الإفراط في المبالغة ، وأن المجردة تمثل التفريط فيها .

أما المطلقة فتمثل الحد الوسط بين الإفراط في المبالغة ، والتفرط فيها ، أى بين المرشحة والمجردة .

* * *

ولا يفوتنا التنبيه على أن الاستعارة التصريحية التي يتائى معها الترشيح والتجريد إنما هي الاستعارة التي تجرى في المفرد .

أما الاستعارة التصريحية التي تجرى في المركب ، وهي ما تفرد بالدراسة في كتب البلاغة تحت اسم الاستعارة التمثيلية ، فقد سبق القول بأن قريتها لا تكون إلا حالية ، وهذا يعني أنها لا تكون إلا مطلقة : لأنها إما مثل ، وإما تركيب مغلوب جرى منجري المثل ، ومعلوم أن الأمثال لا تغير ، فلا يغير ما جرى مجريها ولحق بها .

قال الخطيب القرزيوني وهو يتكلم عن الاستعارة التمثيلية « فتنظر بلغتها من غير تغيير بوجه من الوجه »^(١) . أى من غير تغيير أى تغيير وبلا زيادة أو نقص .

* * *

وتقف الاستعارة المكنية على قدم المساواة مع الاستعارة التصريحية في التمرس بالترشيح والتجريد والإطلاق .

نقول في الاستعارة المكنية المطلقة : « نستيقظ في الصباح على زئير الأب » تجعلها مرشحة فنقول : « نستيقظ في الصباح على زئير الأب الذي يفترسنا إذا لم ننهض من فراشنا بسرعة فائقة »

ونجعلها مجردة فنقول « نستيقظ في الصباح على زئير الأب الذي يؤمننا في صلاة الفجر »

(١) بغية الإيضاح ج ٢ ص ١٢

المجاز المرسل

تردد العلاقة في المجاز اللغوي بين أن تكون المشابهة ، وأن تكون غير المشابهة ، فإن كانت العلاقة المشابهة كان المجاز استعارة وقد سبق القول فيها .

وإن كانت غير المشابهة كان ما يسمى (المجاز المرسل) .

وقد عرفنا القزويني به في قوله : « . الضرب الأول المرسل ، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة غير التشبيه ، كاليد إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأن النعمة أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها . »

ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها ، فلا يقال : اتسعت اليد في البلد ، أو اقتنت يدا ، كما يقال : اتسعت النعمة في البلد ، أو اقتنت نعمة ، وإنما يقال : جلت يده عندى وكثُرت أيديه لدى ، ونحو ذلك ^(١) .

هذا كلام القزويني ، وهو ليس على إطلاقه : فقد ورد التعبير باليد والأيدي عن النعمة والنعم دون إشارة إلى المنعم كقولهم .

« إن الأيدي قروض » أي ديون لا ترتاح نفس الكريم إلا إذا سددها ، أو كما قالوا : إن عاراً ونقصته على الكريم أن يموت وعليه دين من دين المعروف ^(٢) .

ولأن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في المجاز المرسل ليست المشابهة ، بل علاقات أخرى متعددة سماه البلاغيون (المجاز المرسل) أي غير المقيد بأن علاقتها المشابهة .

والعلاقات في المجاز المرسل كثيرة .

ذكر الخطيب القزويني منها ثمانى علاقات ^(٣) .

وذكر ابن الأثير عن أبي حامد الغزالى أربع عشرة علاقة ^(٤) .

(١) بدية الإيضاح ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) خاص الخاص للشعالبى من ٢٤ : بيروت ١٩٦٦ م .

(٣) بدية الإيضاح ج ٣ ص ٨٢ وما بعدها .

(٤) المثل السائر ج ٢ ص ٨٨ - ٩٥ .

وأوصلها الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى إلى ست وعشرين علاقة رئيسية ثم الحق بالعلاقة الأخيرة خمس علاقات رأى أنها تشبهها ، فتصير جملة العلاقات عنده إحدى وثلاثين علاقة ^(١) ، ولعله هو ما عناه السبكي بقوله : إنها عند بعضهم تزيد على ثلاثين علاقة ^(٢) .

ولأن أكثر هذه العلاقات يدخل بعضها في بعض كما لاحظ ابن الأثير بحق فإننا سنقتصر منها على أظهرها وأشهرها ، وهذه هي :

(١) السببية :

أى التعبير بالسبب عن المسبب ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة سبباً في المعنى المجازى لها .

قالوا : رعت الماشية الغيث ، يربون رعت النبات .

فـ (الغيث) مجاز مرسل علاقته السببية : لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المجازى له وهو النبات .

والقرينة (رعت الماشية) : فالماشية لا ترعى الغيث حقيقة .

وقال المتنبي :

له أياد على سابقة أعد منها ولا أعدد لها

فهي (أياد) مجاز مرسل علاقته السببية : لأن الأيدي الحقيقة هي التي تمنع النعم ؛ فهى سبب فيها .

والقرينة : (على سابقة أعد منها ولا أعدد لها) .

وقال تعالى : «فَمَنْ اعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَ عَلَيْكُمْ» أى فجازه على اعتدائه ، ففي (فاعتدوا عليه) مجاز مرسل علاقته السببية بين الاعتداء وجزائه .

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٥٩ - ٢٩٨ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٧٦ھ / ١٩٥٧ م القاهرة .

(٢) عروس الأنراح ج ٤ ص ١٤٣

والقرينة مفهومة من سياق الآية ؛ فهو يدل على أن الاعتداء الثاني ليس اعتداء حقيقياً ، بل مجازياً .

وكالآية الكريمة قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

عبر الشاعر بقوله :

(فنجهل) عن جزاء الجهل على قومه ، لما كان الجهل الثاني متربتاً على الجهل الأول ، وبعبارة أخرى : لما كان الجهل الأول سبباً في الجهل الثاني .

(٢) المسببية :

أى التعبير بالسبب عن السبب . (عكس العلاقة السابقة) .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مسبباً عن المعنى المجازى لها ، كقولهم ، أمطرت السماء نباتاً ، يقصدون ماء ، فالنبات مجاز مرسل علاقته المسببية .

والقرينة : أمطرت السماء ؛ لأن النبات لا ينزل من السماء حقيقة .

وكل قوله تعالى : « ينزل لكم من السماء رزقاً » أى مطرأً يتسبب عنه الرزق . وكل قوله تعالى أيضاً : « إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً » .

فالذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً لا يأكلون ناراً على الحقيقة ، بل يأكلون أموال اليتامي ، ولما كان دخولهم النار مسبباً عن ذلك ، ومتربتاً عليه ، عبر سبحانه وتعالى بالنار عن أموال اليتامي أى بالسبب عن السبب ، مجازاً مرسلأً علاقته المسببية ، وقريبته لفظية هي « يأكلون في بطونهم » .

(٣) اللازمية :

أى التعبير باللازم عن الملزوم ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة لازماً للمعنى المجازى لها ، تقول : بزغ الضوء ، تزيد الشمس ، فالضوء مجاز مرسل علاقته الازمية ، لأن الضوء لازم للشمس ، والقرينة : بزغ ، فالبزغ ليس وصفاً حقيقياً للضوء بل للشمس .

(٤) المزومية:

أى التعبير بالملزوم عن اللازم (عكس العلاقة السابقة).

وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة في العبارة ملزوماً للمعنى المجازى لها . تقول : دخلت الشمس من النافذة ، وملأت الحجرة . تقصد ضوء الشمس لا جرمها .

كلمة (الشمس) مجاز مرسل علاقته المزومية ، لأن المعنى الحقيقي للشمس وهو جرمها ملزوم المعنى المجازى لها وهو الضوء .

والقرينة (دخلت) و (ملأت) فجرم الشمس لا يدخل من النافذة ولا يملأ الحجرة حقيقة.

(٥) المحلية:

أى التعبير بال محل عن الحالين فيه ، وذلك إذا كان المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة محلـاً للمعنى المجازى لها .

قال تعالى : «فليدع ناديه» أى الموجودين في النادى .

كلمة (ناديه) مجاز مرسل علاقته المحلية ، والقرينة (فليدع) ، لأن النادى لا يدعى حقيقة .

وقال تعالى : «واسأـل القرية التي كنا فيها والعـير التي أقبلنا فيها» أى أهل القرية وأصحاب العـير ، والقرينة هي (واسـأـل) ؛ إذ القرية لا تسـأـل حقيقة ، وكذلك العـير .

وتقول : خرجت الكلية عن بكرة أبيها ، تقصد خرج طلابها كلهم ، عبرت بالكلية عن طلابها ، ففي الكلية مجاز مرسل علاقته المحلية والقرينة (خرجت) ؛ فالكلية بمعنى المحل لا تخرج حقيقة .

(٦) الحالية:

أى التعبير بالحالين في المكان عن المكان نفسه (عكس العلاقة السابقة) وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة حالـاً في المعنى المجازى لها .

أقول : جئت الرياض ونزلت فيها بصديقى ناصر الرشيد ، أقصد بدار صديقى ناصر الرشيد فـ (بـ صـ دـيـقـى نـاصـر) مجاز مرسل علاقته الحالية لأن صديقى ناصر حال بداره ، وقد حللت فيها معه .

والقرينة كلمة (نزلت) : لأن حقيقة النزول لا تتصور بالصديق بل بالدار .

ومن ذلك قوله تعالى : « وأما الذين ابليست وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون »
أى في جنة الله .

وقوله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم » أى لفي المكان الذي فيه النعيم وهو الجنة .

وقوله تعالى : « خنوا زينتكم عند كل مسجد » أى خنوا ثيابكم الجميلة ، فـ (زينتكم)
مجاز مرسل علاقته الحالية ، لأن الزينة حالة في الثياب وبادية من خلالها ، والقرينة (خنوا) :
فالزينة وهى أمر معنى لا تؤخذ حقيقة .

وقول حمدونة الأندلسية :

نزلنا دوحة فحننا علينا حنو المرضعات على الفطيم

فـ (الدوح) مجاز مرسل علاقته الحالية أطلقنا الحال وهو الدوح وأردنا المحل وهو
الوادي الذى يتخلله الدوح فيظللها ويرطبها .

(٧) الكلية :

أى التعبير بالكل عن الجزء ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة
كلا مشتملاً على المعنى المجانى لها كقوله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » يعني
أناملهم ، بل أطراف أناملهم فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكلية ، والقرينة استحالة وضع
الأصابع كاملة في الآذان ؛ وعليه قولهم « قطعت السارق » وإنما قطعت يده .

وقولهم : « انتشر الجيش في شوارع المدينة للحفاظ على الأمن » فالمترشرون بعض
الجيش لا كله .

وقولهم : « تعكت الشرطة من ضبط المسروقات » يقصدون بعض رجال الشرطة .

وقولي : أكلت خبز الرياض وشربت ما منها .

فأنا لم أكل كل خبز الرياض بل شيئاً منه ، كما لم أشرب كل ماء الرياض بل بعضاً .

(٨) الجزئية :

أى التعبير بالجزء عن الكل (عكس العلاقة السابقة) وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة جزءاً من المعنى المجازى لها ، قال الشاعر :

كم بعثنا الجيش جرا رأوارسلنا العيونا

أى فأرسلنا الجواسيس ، فـ (العيون) مجاز مرسل علاقته الجزئية والقرينة (أرسلنا)
إذ العيون وحدها لا ترسل .

وقال تعالى : « فتحرير رقبة مؤمنة » أى عبد مؤمن ، والقرينة (فتحرير) : لأن التحرير
لا يتصور في الرقبة وحدها بل في الذات كاملة .

ومن هذا قول معبد بن أوس المزنى في ابن أخيه :

أعلم الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

(القوافي) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وأيضاً (قافية) ، والقرينة (علمته نظم) في
الشطرة الأولى ، و (قال) في الشطرة الثانية ، لأن معبد بن أوس إنما علم ابن أخيه نظم
القصائد كلها لا القوافي وحدها ، ولأن ابن أخيه قال على الأقل قصيدة كاملة لا قافية
واحدة .

ذكر الشاعر الجزء وأراد الكل مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية .

(٩) البديلية :

أى التعبير بالبدل عن المبدل منه ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في
العبارة بدلاً من المعنى المجازى لها .

كابطلاق القضاء على الأداء في قوله تعالى : « فإذا قضيتم الصلاة » يريد فإذا أديتم
الصلاوة لكنه سبحانه وتعالى عبر بالقضاء عن الأداء ، أى عبر بالبدل عن المبدل منه فغير
(قضيتم) مجاز مرسل علاقته البديلية .

والقرينة عقلية ، إذ الخطاب موجه إلى محمد ﷺ وأصحابه ، وكانوا رضوان الله
أجمعين يؤدون الصلوات في أوقاتها .

ومن ذلك قوله : قضيت الدين في وقته المحدد ، أى أديته ، ففي (قضيت) مجاز مرسل علاقته البديلية ، والقرينة (في وقته المحدد) .

وقولك لمن تزوج امرأة دمية غنية : لقد تزوجت ثروة .

فـ (ثروة) مجاز مرسل علاقته البديلية ، والقرينة (تزوجت) لأن الإنسان لا يتزوج الثروة حقيقة .

١٠. المبتدأية :

أى التعبير بالبدل منه عن البدل (عكس العلاقة السابقة) .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مبدلًا منه للمعنى المجازى لها كالتعبير بالدم عن الديه في قول الشاعر :

أكلت دمًا إن لم أر عك بضررة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يقصد (أكلت ديه) ، ففي (دمًا) مجاز مرسل علاقته البديلية لأن الدم مبدل منه الديه ، والديه بدل من الدم ، والقرينة (أكلت) : فالدم بمعناه الحقيقى لا ينكل .

١١. اعتبار ما كان :

أى التعبير بما كان عما هو كائن .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة ماضياً بالنسبة للمعنى المجازى لها كقوله تعالى : «واتوا اليتامى أموالهم» يعني الذين كانوا يتامى من قبل ، أما الآن فهم بالغون ، ففي (اليتامى) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان .

والقرينة : أمر الله تعالى بتسلیمهم أموالهم : إذ لا يكون ذلك إلا بعد بلوغهم .

ومن ذلك قولنا : ثلبيس في الشتاء صوفاً وفي الصيف قطناً .

ففي (صوفاً) و (قطناً) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان .

والقرينة (ثلبيس) فالصوف الخام والقطن الخام لا يلبسان حقيقة .

١٢) اعتبار ما سيفكون أو التعبير بما سيفكون بما هو كائن :

وذلك إذا كان المعنى الحقيقي الكلمة المذكورة في العبارة آنئاً أى حاضراً : وكان المعنى المجاز لها هو المستقبل ، كقوله تعالى : « إن رأى أعرص خمراً » ، أى عنباً ، فـ (خمراً) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيفكون .

والقرينة (أعرص) ، فالخمر لا تتعذر ، لأنها معمودة فعلًا .

وكقوله تعالى : « ولا يلوا إلا فاجراً كفاراً » أى أطفالاً يقول أمرهم إلى أن يكونوا فاجرين كافرين .

والقرينة (ولا يلوا) ، فالطفل حين يولد يكون ظاهراً لا فاجراً ولا كافراً .

وكقوله تعالى : « إتك ميت وإنهم ميتون » يعني إتك ستموت وإنهم سيموتون ، فكل من (ميت) و (ميتون) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيفكون ، والقرينة مائة في خطاب الله تعالى لمن يخاطبهم ، إذ الميتون لا يخاطبون .

١٣) الآلية :

أى التعبير بالألة عن أثرها وما مورس بها .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقي الكلمة المذكورة في العبارة وسيلة وألة للمعنى المجاز لها .

قال تعالى : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » أى ذكرأً جميلاً وثناء حسناً ، ففي (لسان صدق) مجاز مرسل علاقته الآلية ، لأن اللسان بمعناه الحقيقي آلة ووسيلة للذكر الحسن الذي هو المعنى المجاز للسان في الآية الكريمة .

هذا ما قاله البلاغيون .

وأنى أنه يمكن الاستغناء عن علاقة الآلية بعلاقة السبيبة ، فالآلية والسببية قريب من قريب حتى إنه لم يكن دمجهما في بعضهما والاستغناء بواحدة منها عن الأخرى .

١٤) المجاورة :

أى التعبير بالمجاورة عما جاوره ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي الكلمة المذكورة في العبارة مجاورةً للمعنى المجاز لها .

وقد مثّلوا لعلاقة المجاورة بقول عنترة :

لِيسَ الْكَرِيمُ عَلَىَ الْقَنَى بِمَحْرَمٍ

أَيْ فَشَكَتْ بِالرَّمْعِ الْأَصْمَ ثِيَابَهُ .

ففي (ثيابه) مجاز مرسل علاقة المجاورة .

والقرينة (فشككت)، لأن الشك - وهو هنا الطعن - لا يكون في الثياب بل في الأجسام.

وأيضاً مثّلوا لعلاقة المجاورة بالتبير باللفظ عن المعنى ، وبالتبير بالمعنى عن اللفظ :
تقول : قرأت المعنى تزيد اللفظ ، وفهمت اللفظ تزيد المعنى .

وأرى أن علاقة المجاورة يمكن الاستغناء عنها إما بعلاقة الم locality ، وما أسهل القول بأن
الثياب محل لجسم لابسها ، ذكر الشاعر المحل وهو الثياب وأراد الحال فيه وهو صاحبها .

ولاما باللزومية والملزومية وهما واصحتان في لازمية المعنى لللفظ ، وفي ملزومية اللفظ
للمعنى ، والله أعلم .

المجاز المرسل المركب

ما سبق من المجاز المرسل كان كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة
مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي لهذه الكلمة .

* * *

وقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن المجاز المرسل يأتي أيضاً في المركب ومثّلوا له بالجمل
الخيرية التي تخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ بلاغية كقول الله تعالى على لسان أم
مريم :

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْشِي ﴾ ، قوله تعالى على لسان زكريا : « رب إنس وهن العظم متى
واشتغل الرأس شيئاً » .

فأم مريم لم ترد إخبار الله تعالى بأنها وضعت أنس ، فالله أعلم بما وضعت ، وإنما
أرادت إبداء حسرتها وإظهار حزنها لعدم تحقق ما كانت ترجوه وهو أن تلد ولداً .

وكذلك زكريا ، لم يرد إخبار ربه بأنه شايخ وضعف ، بل أراد إظهار ضعفه ، وأنه لم يعد
قوياً جلاً .

والعلاقة في الآيتين لزوم ، إذ يلزم من إخبار أم مريم بأنها وضعت أنس إظهار
حسرتها وحزنها .

ويلزم من إخبار زكريا بأنه قد وهن عظمه وشاب شعره ، إظهار ضعفه ، وأنه قد صار مدعماً للشفقة والرحمة ، وقرينة هذا المجاز المرسل المركب في الآيتين الكريمتين إنما هي مقام الخطاب ، فهو خطاب لله تعالى ، والله تعالى يعلم السر وأخفى .

ومن المجاز المرسل المركب الخبر المستعمل استعمالاً بلاغياً في آياده المسورة وإظهار الفرج ، كقولك لمن عنده علم بتجاهلك وأنت تعلم ذلك (أنا نجحت) تزيد التعبير له عن فرجك بتجاهلك ، لا إخبار به .
والعلاقة هي اللزوم ، أما القرينة فهي خطابك من عنده علم بتجاهلك .

وأيضاً من المجاز المرسل المركب قول الشاعر :

خلقت من الحديد أشد قلباً

وقد بلى الحديد وما بليت

لأنه لم يستعمل فيما وضع له وهو الإخبار ، وإنما استعمل في مقام العجب والفخر .

والعلاقة - للمرة الرابعة - هي اللزوم ، إذ إخبار الإنسان عن نفسه باتصافه بالقوة والجرأة يلزم الفخر ، والقرينة هي الموقف الذي قيل فيه الكلام ، فهو موقف فخر لا موقف إخبار .

يقول الأستاذ حامد عوني بعد صفحتين من الكلام على المجاز المرسل المركب :

« غير أن العلماء أهملوا هذا القسم ولم يبحثوه ، ولم يظهر لإهمالهم له وجه ، واعتذر بعضهم عن هذا بقلة دروده ، وهو عنرواء لا يقرره الواقع إذ هو كثير شائع » (١) .

والحق مع العلماء الذين أهملوا المجاز المرسل المركب لأمررين هما :

(١) أن ما مثلوا به محصور في أن علاقة اللزوم ، وهي علاقة فضفاضة ، تتسع له ولغيره فلا تميزه عن غيره ، ولعل هذا هو السبب في عدم ظهور سمات المجاز المرسل في المفرد على أمثلة المجاز المرسل في المركب .

وقف في منطقة المجاز المرسل ثم تأمل قول أم مريم يقول زكريا السابقين تشعر بأنهما غريبان هنا ، وأن هذا الوطن ليس موطنهما ، ثم أمرر على لسانك أو استشعر بقلبك قول نوح عليه السلام :

(١) المنهاج الواضح ج ١ ص ٢١٥

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْرِيرِهِمْ جَعَلُوا أَهْنَابِهِمْ فِي أَذْانِهِمْ﴾ ، وَقُولُهُ : «إِنكَ إِن تَنْزِهُمْ يَضْلُّوْهُ عِبَادُكَ وَلَا يَلْتَلُو إِلَّا فَاجِراً كُفَّارًا» .

تجدر أن المجاز المرسل يتواكب إلى ذهنه بقوة دفع قوية هي علاقة الكلية في الآية الأولى ، وعلاقة ما سيكون في الآية الثانية ، وتحس أن الآيتين متمكنتان تمكناً أمكن في المجاز المرسل .

(٢) خروج الخبر عن المعنى الحقيقي له إلى أغراض بلاغية مدروسة بلاغياً في علم المعنى تحت عنوان (أغراض الخبر) ، والانتقال بالخبر ثمة من مجرد الإخبار إلى دقائق فنية تسمى «الأغراض البلاغية» هذا الانتقال انتقال سهل وطبيعي ، وهو بعد متضرر ومتوقع ، ثم هو مقنع ومشبع ، ولا عجب ، فهو يبسّط رقعة التعبير - والتعبير محدود - على أكبر مساحة ممكنة من المعنى ، والمعنى غير محدود .

وإذا استعلمنا حاستنا السادسة ، فإننا نجد الأساليب الخبرية ذات الأغراض البلاغية ترکض وتتواثب في مرح ونشوة في بيتهما الطبيعية بينة أغراض الخبر ، أما هنا تحت ما سموه المجاز المرسل المركب فهي حزينة كثيبة لا تبين بل لا تتطق .

وما قلناه في الرد على فضيلة الشيخ عوني نقوله للعاملين الفاضلين مصطفى أمين وعلى الجارم ، فقد قالا في كتابهما البلاغة الواضحة ص ١١٠ هامش رقم ٢ مایلی :

« ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب ، وهو كل تركيب استعمل في غير ما وضع له علاقة غير المشابهة ، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن كما في قول ابن الرومي :

بَيْان شَهَابَيْنِ فَعْزِ مَطْلَبِهِ وَانْبَتَ بَيْنَ وَبَيْنَهُ نَسْبَهِ

فهذا البيت مجاز مركب علاقة السببية ، والقرينة حالية ، فابن الرومي لا يريد الإخبار ، ولكنه يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب » .

انتهى كلام الشيختين ، وهو قد أثرى المجاز المرسل المركب بعلاقة ثانية هي السببية .

أما أن الجملة الخبرية هنا استعملت في الإنشاء ، فإنني أختلف معهما في ذلك وأقول : إن الغرض البلاغي للخبر لا يخرج به عن الخبرية إلى الإنسانية بأى حال .

وابن الرومي على حد قولهما « يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب » أى يخبر عن ذلك ، ولو كان فضيلة الشيخ حامد عونى مكانهما لقال : بان شباب ابن الرومي ، ولزم عن ذلك استحوذ الهم والحزن عليه ، أى لرد علاقة السببية إلى ما تبعد به من علاقة اللزوم . وهذا يعني أن من قال بالمجاز المركب يتحرك فيه وبه في حيز ضيق جداً .

فلنطلق سراحه من هنا ليعود وحده إلى مكانه الطبيعي في المدرس البلاغي وهو علم المعانى .

* * *

وينتفيأ للفائدة نقول : (المجاز المركب) أو (المجاز في الجملة) قد جاء في تراثنا البلاغي بمعنى واحد هو المجاز العقلى ، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر هذه النقول : قال السكاكي : « اعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسمان : لغوى ، ويسمى مجازاً في المفرد ، وعقلى ، ويسمى مجازاً في الجملة »^(١) .

وقال التويى : « فمجاز المفرد لغوى : ويسمى مجازاً في المثبت ، ومجاز الجملة عقلى ويسمى مجازاً في الإثبات وحده ، وهو أن تضييف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي »^(٢) .

وقال الزركشى تحت عنوان (نوعاً المجاز) :

« وله سيبان ، أحدهما الشبه ويسمى المجاز اللغوى وهو الذى يتكلم فيه الأصولى ، والثانى الملابسة وهو الذى يتكلم فيه أهل اللسان ويسمى المجاز العقلى ، وهو أن تستند الكلمة إلى غير ما هي له أصلاته بضرب من التأويل كحسب زيد أباه ، إذا كان سبباً فيه ، والأول مجاز في المفرد ، وهذا مجاز في المركب »^(٣) .

وينتقط الخيط من أيدي هؤلاء العلماء ، لنقله : إذا أضفنا إلى (المجاز المركب) أو (المجاز في الجملة) وهما ريقان للمجاز العقلى ، (الاستعارة التصريحية في المركب) وهي المعروفة في المصطلح البلاغي باسم (الاستعارة التمثيلية) كان عندنا في بلاغتنا العربية مجازان في المركب ليس غير .

(١) مفتاح الطريق ص ١٧٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢ من ٣٧ الطبعة الأولى ١٢٤٧هـ / ١٩٢٩م القاهرة

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ٢ من ٢٥٦

المجاز العقلى

سبق التعريف به قسيماً للمجاز اللغوى : وهو ينحصر فى الإسناد ، أما المسند ، والمسند إليه ، فإن كلامهما مستعمل استعمالاً حقيقياً .

نفس المثال : (بني الملك المدينة) .

تجد أن المسند وهو الفعل (بني) مستعمل استعمالاً حقيقياً وهو مزاولة البناء ، وأن المسند إليه وهو (الملك) مستعمل كذلك استعمالاً حقيقياً ، فنحن نعنى به هنا ذات الملك .

لكن إثبات البناء لذات الملك ، والحكم بأنه هو الذى بني ، وبعبارة أخرى إسناد البناء إلى الملك ، هذا الإسناد هو الذى ليس بحقيقى بل مجاني فالملك لم يبن حقيقة ، وإنما المهندسون والعمال هم الذين خططوا وبنوا أى بنوا .

لكن لما كان الملك هو الذى أمر بالبناء ، وكان أمره هذا هو السبب المباشر فى قيام المهندسين والعمال به ، سوغ لنا ذلك أن نسند الفعل (بني) إليه فنقول : (بني الملك المدينة) .

ولأن المعمول عليه فى فهم هذا الإسناد ومعرفة طبيعته أحقيقى هو أى مجاني ، نقول : لأن المعمول عليه فى ذلك إنما هو العقل ، سمى البلاغيون هذا النوع من الإسناد بالمجاز العقلى ، وهم محقون فى ذلك ، فالعقل ، والعقل وحده ، أى بلا توقف على معرفة مسبقة بالمعجم كما هو الحال فى المجاز اللغوى ، هذا العقل هو الذى اهتدى إلى أن الملك شخصياً لا يمكن أن يبني المدينة ، لكن يمكن أن يفكر فيها ويأمر ببنائها .

وإذن فقد فهم العقل الموقف على حقيقته ، وفسر الكلام تفسيراً صحيحاً هكذا :
الملك لم يبن بل فكر وأمر .

ونفذ المهندسون والعمال أمره فبنوا .

وجاء البليغ فتجوز وأسند الفعل (بني) إلى من لم يبن مجازاً عقلياً علاقته السببية .
ولا يقتصر الأمر فى الإسناد المجازى ، أى فى المجاز العقلى على إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى من كان مسبباً فيه ، بل ثمة علاقات أخرى هى :

الظرفية : زمانية كانت أو مكانية .

والمصدرية : أي كون المسند إليه المجازى مصدرأً للمسند ، وذلك طبعاً إذا كان المسند فعلاً .

ثم ثببس الفعل أو ما في معناه بكل من الفاعل والمفعول به في إسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به ، وإسناد اسم الفاعل إلى ضمير المفعول به .

وفي إسناد الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل ، وإسناد اسم المفعول إلى ضمير الفاعل .

* * *

مثال الإسناد إلى الظرفية الزمانية قولنا : صام نهار المسلم ، وذاكر ليل الطالب . هنا أسنادنا الصيام إلى النهار ، والمذاكرة إلى الليل ، إسناداً مجازياً ، ولو أسنادنا إسناداً حقيقياً لقلنا : صام المسلم نهاراً ، وذاكر الطالب ليلاً . والذي سوغر لنا الإسناد المجازى إنما هو اشتراك المسند إليه الحقيقى (المسلم والطالب) والمسند إليه المجازى . النهار والليل) في تعلق المسند (صام وذاكر) بهما :

أما تعلقه بالمسند إليه الحقيقى فمن حيث حصوله منه ، وأما تعلقه بالمسند إليه المجازى فمن حيث وقوعه فيه زماناً .

* * *

ومثال الإسناد إلى الظرفية المكانية : أضاعت الحجرة ، وزدحمت الشوارع ، فعلنا هنا ما فعلناه في الظرفية الزمانية ، فأسنادنا الفعلين :

(أضاعت) و (زدحمت) إلى الحجرة والشوارع على التوالى ، وهو إسناد مجاني .

ولو أسنادنا إسناداً حقيقياً لقلنا : أضاء محمد الحجرة ، وزدحمن الناس في الشوارع .

والذى سوغر الإسناد المجازى ، إنما هو اشتراك المسند إليه الحقيقى (محمد والناس) والمسند إليه المجازى (الحجرة والشوارع) في تعلق المسند (أضاعت وزدحمت) بكل منهما .

أما تعلقه بالمسند إليه الحقيقى فمن حيث وقوعه منه ، وأما تعلقه بالمسند إليه المجازى فمن حيث وقوعه فيه مكاناً .

* * *

ومثال إسناد الفعل إلى مصدره :
اجتهد اجتهاد الطالب ، ونجح نجاح المجتهد .
هنا أسنادنا المسند وهو الفعل (اجتهد) والفعل (نجح) إلى مصدريهما إسناداً
مجازياً.

ولو أسنادنا إسناداً حقيقياً لقلنا : اجتهد الطالب اجتهاداً ونجح المجتهد نجاحاً .
والذى سوغ إسناد المسند (اجتهد ونجح) إلى مصدره (اجتهد ونجاح) اشتراك هذا
المصدر مع المسند إليه الحقيقي (الطالب) و (المجتهد) في تعلق الفعل بكل منهما .
أما تعلقه بالمسند إليه الحقيقي فللحصول منه .
وأما تعلقه بالمسند إليه المجازي وهو المصدر : فلكون هذا المصدر جزءاً من مفهومه :
فالمصدر - كما نعلم - لا يدل إلا على الحدث ، أما الفعل فإنه يدل على الحدث وعلى زمانه
معاً .

* * *

وعن إسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به ، وإسناد اسم الفاعل إلى ضمير المفعول
به .

ثم عن إسناد الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل ، وإسناد اسم المفعول إلى ضمير
الفاعل .

نقول : أعلم أن إسناد الفعل المبني للفاعل إلى الفاعل مثل نجح المجتهد إسناد حقيقي .
كما أن إسناد الفعل المبني للمفعول إلى المفعول مثل : أكرم الضيف ، إسناد حقيقي .
لكن إسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به ، وإسناد اسم الفاعل إلى ضمير المفعول
به . وأيضاً إسناد الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل ، وإسناد اسم المفعول إلى ضمير
الفاعل .

هذا الإسناد المزوج في المرتين إسناد مجاني أي مجاز عقلي .
مثال الأول : رضيت عيشة الغريب .

بايسناد الفعل (رضي) إلى (عيشة) إسناداً مجازياً .
وإسناد الحقيقى : (رضي الغريب عيشته) .

حذفنا الفاعل وهو (الغريب) وأسنادنا الفعل (رضي) - وهو مبني للفاعل أي مبني للمعلوم - إلى المفعول به وهو (عيشة) إسناداً مجازياً فقلنا [رضي عيشة الغريب].

والذى سوغر لنا هذا الإسناد إنما هو اشتراك المسند إليه الحقيقى وهو [الغريب] والمسند إليه المجازى وهو [عيشة] فى تعلق الفعل [رضي] بكل منها.

أما تعلقه بالمسند إليه الحقيقى وهو (الغريب) فلوقوعه منه.

وأما تعلقه بالمسند إليه المجازى وهو عيشة فلوقوعه عليه.

* * *

ومن ذلك قوله تعالى : « فهو في عيشة راضية » .

أسناد سبحانه وتعالى اسم الفاعل من الفعل (رضي) - بفتح الراء - إلى الضمير المستتر العائد على المفعول به وهو (عيشة) .

من إسناد اسم الفاعل إلى غير ما هو له وهو ضمير المفعول به .

ولو جاء الإسناد على حقيقته لقليل : فهو في عيشة مرضية . فأصل الكلام (رضي الرجل العيشة) .

حذف الفاعل وأقيم المفعول به مقامه ، وأسناد الفعل (رضي) بضم الراء إليه ، فصار الكلام رضي العيشة وهو إسناد حقيقى .

لكننا بعد ذلك تجوزنا فاشتققنا من الفعل رضي المبني للمعلوم اسم فاعل هو راض وأسناده إلى ضمير المفعول به وهو العيشة ، ومن هنا جاء قول الله تعالى : « فهو في عيشة راضية » بدلاً من مرضية .

ومثال إسناد الفعل المبني للمفعول إلى الفاعل ، وإسناد اسم المفعول إلى ضمير الفاعل (عكس السابق) .

أنعم السيل ، بدلاً من أنعم الوادي .

فأصل الكلام . (أنعم السيل الوادي) .

بني الفعل (أنعم) للمفعول ، فضم أوله ، وكسر ما قبل آخره ، وكان المنتظر أن يسند حينئذ إلى المفعول به وهو الوادي إسناداً حقيقياً ، لكنه - وهو مبني للمفعول - أسنداً إلى الفاعل الحقيقى وهو السيل إسناداً مجازياً .

والذى سوغ ذلك اشتراك كل من المستند إليه الحقيقى (الوادى) والمستند إليه المجازى (السائل) فى تعلق الفعل بهما ، أما تعلقه بالسائل فلصيوره منه وأما تعلقه بالوادى فلوقوعه عليه .

ومن ذلك قول الله تعالى : «إنه كان وعده مائيا ..» أى آتياً ، وقوله تعالى : «إذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» أى ساتراً .

جاء اسم المفعول فى الآيتين مكان اسم الفاعل ، وبعبارة أخرى : أستد اسم المفعول
إلى ضمير الفاعل .

* * *

وتتجدر الإشارة إلى أن بعض البلاغيين يسمون العلاقة فى المجاز العقلى الملابسة .
يعنون : المناسبة التى سوغت إسناد الفعل أو ماقى معناه إلى غير ما هو له حقيقة .
والملابسة - كما رأينا - متعددة ، فهى السببية أو الظرفية أو المصدرية أو اشتراك
الفاعل والمفعول به فى تعلق الفعل بهما اشتراكاً جعل إحلال أحدهما محل الآخر أمراً
مقبولاً ، بل أمراً مرغوباً فيه بлагة .

* * *

أما القرينة فهي إما لفظية وإما معنوية .

وتكون القرينة لفظية إذا جاء فى الكلام ما يدل بمعنوطقه على أن الإسناد الذى نحن
بصدده إسناد مجازى ، وذلك كقول أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيسار تدعى

على ذنبها كلها لم أصنع

من أن رأت رأسى كرأس الأصلع

ميزة عن قنزما عن قنزع

جذب الليالي أبطئ أو أسرعى

يقول : ذهب توالي الليالي بشعر رأسى خصلة بعد خصلة .

وهو إسناد مجازي علاقته الزمنية أو السببية .

أما قرينته للفظية هي قوله بعد ذلك :

أفناه قيل الله للشمس اطلعى حتى إذا واراك أفق فارجعى

فهو نص على أن أبا النجم من المؤمنين الذين يسندون الأمور إلى فاعلها الحقيقي وهو الله . بمحانه تعالى ، وهو لذلك قرينة على أن ما سبق من إسناده (ميز) إلى (جذب الليل) إسناد مجاني .

وتكون القريئة معنوية إذا خلا النص الذي معنا من كلمة أو عبارة تدل على أن الإسناد الذي فيه إسناد مجاني : اتكالاً من الأذى على ذكائنا الذي يلقى في روعنا أن صدور المسند عن المسند إليه أو قيامه به مستحيل عقلاً مثل : محبتك جاءت بي إليك . أو عادة مثل : بنى الملك المدينة .

* * *

وينبغي الإمام بما قاله البلاغيون لهم يبحثون عن أصل المجاز العقلى وينقبون عن جنوره ، فى محاولة ملخصة للإجابة عن السؤال الآتى :
هل يلزم أن يكون لكل إسناد مجاني إسناد حقيقى فى مقابلته ؟
وقد اختلفت إجاباتهم :

أما الخطيب القزوينى فقد قال : نعم ، وهذا هو نص كلامه :
« باعلم أن الفعل المبني للفاعل فى المجاز العقلى واجب أن يكون له فاعل فى التقدير إذا أنسد إليه حصار الإسناد حقيقة لما يشعر بذلك تعريفه ، وذلك قد يكون ظاهراً كما فى قوله تعالى : « فما ربحت تجارتهم » أى فما ربحوا فى تجارتهم ، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد نظر وتأمل كما فى قوله « سرتني روينك » أى سرتى الله وقت روينك ، وكما فى قوله « أقدمتني بذلك حق لي على فلان » أى أقدمتني نفسى بذلك لأجل حق لي على فلان ، وكما فى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدت نظرا

أى يزيدك الله حسنا فى وجهه لما أودعه من دقائق الجمال متى تأملت (١) .

وأما عبد القاهر فقد نسب إليه الشيخان حامد عونى وعبد المتعال الصعيدي رأياً فحواه أنه ليس بواجب فى المجاز العقلى أن يكون للمسند فاعل حقيقى أنسد إليه أولاً إسناداً معتقداً به فى العرف والاستعمال إليه قبل إسناده إلى الفاعل المجازى ، بل تارة يكون له

(١) بنية الإيضاح ج ١ من ٥٧ - ٥٨ .

مسند إليه حقيقى أسنداً إليه أو لاً إسناداً معتقداً به عرفاً واستعمالاً ، ثم نقل إلى المسند إليه المجازى مثل شفى الطبيب المريض ، وقول الله تعالى : « فما ربحت تجارتهم » ، وتارة لا يكون له مسند إليه حقيقى جرى العرف والاستعمال بإسناده إليه ، فيسند من أول الأمر إلى الفاعل المجازى كقولهم « سرتني رفيقك » ، و « يزيدك وجهه حسناً إذا مازته نظراً » و « أقدمتني بلدك حق لي عليك » .

فهذه الأسانييد ونحوها بمثابة المجاز الذى لا حقيقة له (١) .

وما نسبه الشيخان الفاضلان إلى عبد القاهر مستنبط من كلامه عما دخل المجاز فى مثبته دون إثباته ، وفي إثباته دون مثبتة ، وفيهما معاً (٢) .

والحق أن كلام عبد القاهر لا يعطى ما استتبه الشيخان بل يعطى ما قاله القرزويى الذى لم يزد على أن وضع كلام عبد القاهر.

ولذا كان لى أن أبدى رأىي ، فإنى أقول : إن الإسناد المجازى فرع عن الإسناد الحقيقى ، وهذا يعني أن الإسناد المجازى لابد أن يسبقه إسناد حقيقى ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما أوجبوا العلاقة والقرينة فى كل مجاز .

فالعلاقة إنما تكون بين المعندين الحقيقى والمجازى .

والقرينة واجبة احتراماً من أن يسبق المعنى الحقيقى أخاه المجازى إلى ذمئ متنقى الأدب .

والدراسة التطبيقية تؤيد وجهة نظرنا ، فقد عدلنا فى كل أمثلة المجاز العقلى عن الإسناد الحقيقى إلى الإسناد المجازى .

* * *

و قبل أن نغادر المجاز العقلى ننبه إلى أن السكاكي له منه موقف شبيه ب موقفه من الاستعارة التبعية ، بل إن الموقف واحد هناك وهنا ، وهو موقف يدل على ذكائه ، وقوته لمحه ، وعلى حبه للتجميع البلاغى ما أمكن ذلك .

ما هو ذا يعقد فصلاً له هو (الفصل الخامس فى المجاز العقلى ص ١٨٢ وما بعدها) يوفيه فيه حقه من البحث والدراسة ، ومن التقرير والشرح ، ولكننا - وبالدهشتنا وتقديرنا - نجده يختتمه بقوله :

(١) انظر بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعیدی ج ١ من ٥٧ هامش رقم ٣ والمنهاج الواضح للشيخ حامد عونی ج ٣ من ٥٩ .

(٢) انظر أسرار البلاغة من ٣٤٢ - ٣٤٤ .

« هذا كله تقرير الكلام في هذا الفصل بحسب رأى الأصحاب من تقسيم المجاز إلى لفون وعقولى ، وإلا فالذى عندي هو نعلم هذا النوع (المجاز العقلى) في سلك الاستعارة بالكتابية ، يجعل الريبع استعارة بالكتابية عن الفاعل الحقيقي بوسائله المبالغة في التشبيه على ما عليه مبني الاستعارة كما عرفت ، يجعل نسبة الإنينات إليه قرينة الاستعارة ، ويجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكتابية عن الجند الهائم ، يجعل نسبة الهمز إليه قرينة للاستعارة .

ولأننى بناءً على قولى هذا ما هنا ، وقولى ذلك في فصل الاستعارة التبعية ، وقولى في المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم الكلمة - على ما سبق - أجعل المجاز كله لنؤياً
وإذا قد عرفت ما ذكرت وما ذكروا فاختار أيهما شئت »^(١) .

انتهى كلام السكاكي ، وهو واضح لا يحتاج إلى شرح ، باستثناء عبارة : « قولى في المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم الكلمة على ما سبق » .

فهو يشير بها إلى المجاز اللغوى الراجع إلى الحكم الإعرابى الكلمة في الكلام قال : « هو عند السلف رحمة الله أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلى إلى غيره كما في قوله تعالى : (وجاء ربك) ، فالالأصل : وجاء أمر ربك ، فالحكم الأصلى في الكلام لقوله « ربك » هو الجر ، وأما الرفع فمجاز ، وفي قوله :

« وسائل القرية » ، والأصل : وسائل أهل القرية ، فالحكم الأصلى للقرية في الكلام هو الجر ، والنصب مجاز ... إلى آخر ما مثل به^(٢) .

ومن الأصحاب أو من السلف الذين ترحم عليهم السكاكي عبد القاهر الجرجانى ، فقد جاء على لسانه في الموضوع نفسه قوله :

« وأعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها لها عن معناها ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها ، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسى إعراب المضاف في نحو « وسائل القرية » والأصل : وسائل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر والنصب فيها مجاز ، وهكذا قوله « بنو فلان تطوفهم الطريق » يربون أهل الطريق ، الرفع في الطريق مجاز : لأنه منقول إليه عن المضاف المعنون الذي هو الأهل ، والذي يستحقه في أصله هو الجر »^(٣) .

(١) مفتاح العلم ص ١٨٩ .

(٢) مفتاح العلم ص ١٨٥ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٣٨٣ . تحقيق هـ . ريتز .

وبعد هذا التوضيح لفقرة من كلام السكاكي نقول :
إنه بيدخله كلام الاستعارة التبعية ، ومن المجاز العقلي في الاستعارة المكتبة ، وجعل
ثلاثتها شيئاً واحداً .

السقاكي ب موقفه هذا مع البلاغة العربية لا عليها .

إنه يرى تسهيلها وتيسيرها على طلابها بتقليل أقسامها ، وخلخلة تفريعاتها ، وما كان
أحب إلى من أن تسود رؤيتها الساحة البلاغية كلها في مختلف عصورها ، لكنه - للأسف
خواف قيما دعا إليه ، بل أخذ ذلك عليه . وانظر حلية اللب المصنون بشرح الجوهر المكتنن
للشيخ أحمد الدمنهوري من ٤٥ الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م القاهرة ، وشرح عقود
الجمان في علم المعانى والبيان للسيوطى من ١٤ طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر
د.ت.

الكتابية

الكتابية - كما عرفها القزويني - لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كذاك طويل النجاد أى طويل القامة ، وقلانة نائم الصحا أى مرفهة مخلوقة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الصحا وقت سعي النساء العرب في أمر المعاش ، وكفاية أسبابه ، فلا تتم فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك .

ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد ، والنوم في الصحا من غير تأويل (من غير صرف اللفظ عن معناه الأصلي) ، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أى من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه ، فإن المجاز ينافي ذلك ، فلا يصح في نحو قوله (في الحمام أسد) أن تزيد معنى الأسد من غير تأويل (يقصد القزويني امتناع أن تقصد أسدًا حقيقاً بل لابد أن يكون المقصود أنَّ في الحمام رجالاً شجاعاً استعرت له كلمة أسد) «^(١) ».

* * *

لتوضيح كلام القزويني في الفرق بين الكتابية والمجاز نقول :

إنهما يشتراكان في ضرورة وجود قرينة تدل على المعنى المقصود من كل منهما ، أى على المعنى الكتابي في الكتابية ، وعلى المعنى المجازي في المجاز ، لكن ثمة فرقاً جوهرياً بين القرینتين ، وفي هذا الفرق الجوهري بين القرینتين يمكن الفرق بين الكتابية والمجاز .

فالقرينة في الكتابية لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي وهو المعنى المباشر للعباراتين (طويل النجاد) و (نائم الصحا) ولامتثالهما من الأساليب الكتابية .

أجل إن مراد المتكلم ابتداءً إنما هو المعنى الكتابي للعبارة ، أى المعنى الثاني لها وهو المعنى اللازم عن معناها الأصلي ، لكن ليس ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكتابي .

وبعبارة أخرى نقول : إن قرينة الكتابية سهلة ومتسامحة ومرنة ، وهي لذلك توافق على ازدواجية الأداء وثنائية المعنى .

ففي المثال : هند نائم الصحا .

(١) بفتحية الإيضاح ج ٢ من ١٥٥

المعنى المباشر أنها تنام وقت الفصحا أى إلى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ، وهذا المعنى المباشر وهو المعنى الأصلى للعبارة غير مقصود لذاته بل لما يلزمها ويترتب عليه من معنى كنائى هو أنها متربة ومحظومة ، وهذا المعنى الكنائى هو المقصود لذاته من أول الأمر ، لكن لا بأس مع قصد المعنى الكنائى ابتداء من قصد المعنى المباشر معه .

وتتجدر الإشارة إلى أن الكنائية تصبح ولو لم يكن المعنى الأصلى للفظ المكتنى به ذا وجود خارجي .

نتحدث عن المضياف الذى لا يطين لضيوفه ، وإنما يشتري لهم الطعام من المطابخ الخارجية فنقول : (فلان كثير الرماد) كنائية عن كرمه ، ولا رماد هناك كما نقول لطويل القامة الذى لا نجاد له : لأنه لا سيف عنده (طويل النجاد) .

وكذلك تصبح الكنائية فى حالة استحالة المعنى الأصلى ، وكل أمثلة الكنائية عن نسبة من هذا النوع ، نقول : المجد ملء ثيابه ، كنائية عن نسبة المجد إليه ، والمعنى الأصلى هنا مستحيل ، لاستحالة حلول المجد وهو أمر معنوى فى الثياب بمعناها资料.

أما القرينة فى المجاز - أى مجاز - فإنها تمنع منعاً باتاً إرادة المعنى资料 الحقيقى وإلا اختلط الكلام وتداخل وابنهم مقصود قائله منه قلم تتبينه ، ويكون التعبير قد فقد خاصة التواصل وهى وظيفته .

تقول : (معنا فى العمل عين وثعلب) : وفي قوله هذا مجازان : علاقة الأول الجزئية ، أطلقت العين وأردت الجاسوس ، مجازاً مرسلاً .

وعلقة الثاني المشابهة ، صرحت بالثعلب فى مكان زميلك المكار . استعارة تصريحية أصلية مطلقة .

والقرينة فى هذين المجازين هي (معنا فى العمل) ، وهى مانعة منعاً قاطعاً من إرادة المعنى資料 الحقيقى للعين ، ومن إرادة المعنى資料 الحقيقى للثعلب .

أقسام الكنية

والكنية ثلاثة أقسام :

- ١ - كنایة عن صفة أى عن معنى .
- ٢ - كنایة عن موصوف أى عن ذات .
- ٣ - كنایة عن نسبة الصفة إلى الموصوف أى عن نسبة المعنى إلى الذات .

الكنية عن صفة

وفيها نصرح بالوصوف وبالنسبة إليه ، لكن لا نصرح بالصفة المكتنى عنها ؛ بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها .

عاد نو الرمة من سفره ، ونزل بدار صاحبته ، فقصد بخلوها منها ، ولم يجد من يدخله عليها ، وقد عبر عن اكتئابه وخيبة أمله بقوله :

عشية مالي حيلة غير أنسى بلقط الحصى والخط فى الترب مولع
أخط وأهموا الخط ثم أعيده بكفس والقربان فى الدار وقع
فى هذين البيتين ترى الشاعر ذاهملاً عن نفسه ، ها هو ذا منهك فى لقط الحصى
والكتابة فى التراب ، ومحوا ما كتب ، ثم كتابة ما محا ثانية ، وهو لم يعطنا هذه الصورة
الخارجية له لنقف عندها ، بل لننفرد من خلالها إلى ما وراءها من قلقه ورائسه ، ومن غلبة
الهم على نفسه .

وكيفتى ذى الرمة فى الكنية عن الفم والهم وعن العزن والألم قول أمرى القيس :

ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

وفي خصوه قول الله تعالى فى سورة الكهف « وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما
أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ». .

ترى صاحب المديقة وهو يقلب كفيه ، وتقليل الكفين صورة خارجية كثى بها الله
سبحانه وتعالى عن حالة نفسية هي شدة الألم . في عظم الشعور بالندم .

وقول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إما لنوهل

أبواها ، وإما عبد شمس وهاشم

فيه الموصوف وهو صاحبة القرط ، وفيه نسبة بعد مهوى القرط إليها ، وليس بعد مهوى القرط مقصوداً لذاته ، بل لما يلزمها من طول عنقها وهو مظاهر من مظاهر الجمال في النساء ، كنني عنه ببعد مهوى القرط ، وقول أمير القيس :

وقد أخذني والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فيه كنایة عن التبکیر بالجملة الحالية في الشطرة الأولى .

وكنایة عن سرعة الفرس بأنه قيد الأوابد في الشطرة الثانية .

* * *

ومن الكنایات عن صفات :

الطلاب يتتابعون ، كنایة عن الكسل .

السامعون يديمون النظر إلى ساعاتهم ، كنایة عن الملل .

الناس كان على رؤوسهم الطير ، كنایة عن الهبوء وعمق الإصغاء .

فلان لا يدخل من هذا الباب ، كنایة عن ضخامته .

صارت نهلة عروساً ، كنایة عن أنها بترت .

ومن الكنایات المستطرفة قول الله تعالى :

«إِذَا قِيلَ لِهِمْ تَعَالَى يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْلَا رَوْسُهُمْ» .

كنایة عن عنادهم وكفرهم .

وقوله تعالى : «وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطنان» .

كنایة عن البخل في مقلة اليهود : «يد الله مغلولة» وعن الكرم في «يداه مبسوطنان» .

* * *

والكتابية عن صفة خربان : قريبة و بعيدة .

فالقريبة : هي التي ينتقل فيها الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى الكتابي بلا واسطة بين المعينين ، كخرساء الأساور ، كتابة عن السمنة ، فليس بين صمت الأساور والسمنة واسطة ما . وهذه الكتابة القريبة نوعان : واضحة وخفية .

فالواضحة هي ما يفهم المعنى الكتابي من المعنى الأصلي فيها بداعه لوضوح النزفم بينهما كقول امرئ القيس :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نائم الفسحا لم تنتطق عن تفاصيل
كتابية عن ترفها وغناها في الشطارة الأولى ، وعن أنها مدللة مخدومة في الشطارة الثانية .

وكقول الحماسي :

أبْتِ الرَّوَادِفَ وَالثَّدِيَ لِقُمْصَهَا مِسْ الْبَطْوَنَ وَأَنْ تَمْسَ ظَهُورًا
فقد كفى عن ضخامة عجيبة المرأة ، وعن نهود ثدييها بارتفاع قممها عن ظهرها
ويطنها حتى أنها لا تمسهما .

والكتابيات في بيته امرئ القيس والحماسي واضحة لا تحتاج إلى جهد ذهني في إدراكها .

أما الخفية فهي التي تتحقق في فهم المقصود منها إلى شئ من الآثار والتأمل لخلفاء النزف فيها - نوعاً ما - بين المعنى الأصلي والمعنى الكتابي كقول الفرزدق :

إِذَا مَالِكُ الْقِيَعَمَامَةَ فَاهْذُرُوا بِسَوَادِ كَفَّىْ مَالِكَ حِينَ يَفْضِّبُ
فقد كفى باللقاء مالك عمامته عن ضيق صدره ، ونفاد صبره ، وحدة غضبه ، وأيضاً عن جسارته وشجاعته ، بدليل أنه لم يبال ما يتعرض له المحارب الذي يعرى رأسه من رشقة رمح ، أو من ضربة سيف ، ثقة بقدراته على حماية نفسه .

وفهم هذا كله من عبارة (القى العماممة) تحتاج إلى بصيرة نيرة ، وعقل ناطن .

* * *

ومن الكناية القريبة الخفية قول الشاعر :

عريض القفا ميزانه في شماليه قد انحص من حسب القراريط شاريه

ففي هذا البيت ثلات كنایات هي :

(عريض القفا) كناية عن غيابه وبله .

و (ميزانه في شماليه) كناية عن اهتزاز شخصيته ، وقلة كفافته .

و (قد انحص من حسب القراريط شاريه) كناية عن إشغاله نفسه بالتوافق ، وانصرافه عن الأمور العظيمة .

وأحسب أن في الكنایات الثلاث شيئاً من الخفاء ، لكن بدرجة متفاوتة ، ولعله في الكنایة الأولى أقل منه في الكنایتين الثانية والثالثة ، وانحص شاريه أى نحل وسقط .

* * *

ونصل إلى الكنایة البعيدة ، وهي ما كثُرت فيها الوسائل بين المعندين الأصلى والثانوى كثثير الرماد ، كناية عن الكرم .

فيبين كثرة الرماد والكرم وسائل جمة ؛ إذ ينتقل الذهن من كثرة الرماد إلى كثرة الحرق ، ومن كثرة الحرق إلى كثرة الطين ، ومن كثرة الطين إلى كثرة الأكلة ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيوف ، ومن كثرة الضيوف إلى مضم الكرم .

ومن الكنایة البعيدة قول الشاعر :

وما يك فى من عبيب فلاني جبان الكلب مهزول الفصيل

ففي الشطرة الثانية كنایتان بعيدتان :

« جبان الكلب » كناية عن الرئيسة وعظم الجاه
و « مهزول الفصيل » كناية عن الكرم .

الكلنائية عن موصوف

واليها نصرح بالصفة ، ونصرح بالنسبة ، لكن لا نصرح بالموصوف صاحب النسبة ، بل
نكتن عنده بما يدل عليه ويستلزمـه .

هذا أمر القيس يكتن عن صاحبته التي كان من أمره معها ما ذكره في قوله :

وببيضة خدر لا يرام خباوها تمنت من لهو بها غير معجل

ف (ببيضة خدر) كنـية عن موصوف هو المرأة صاحبة الخدر .

وهذا الشنفرى يكتن عن الحرب بأم قسطـل في قوله :

فإن تبتئـش بالشنـفرى أم قـسطـل لما افـقـطـتـ بالـشـنـفـرـى قـبـلـ أـطـولـ
الـقـسـطـلـ : الغـيـارـ ، وأـمـ قـسـطـلـ هـيـ الـحـربـ . يـقـولـ :

إن لم ترضـنـ الـحـربـ عـنـ شـيـخـاـ ، فـلـطـلـماـ رـضـيـتـ عـنـ شـابـاـ .

ولقد كانت العرب يكتنـ بالـقلـائـصـ - وهـيـ النـوقـ الفتـيـةـ - عنـ النـسـاءـ .

كتب أبو المنهـالـ بـقـيـةـ الـأـكـبـرـ الأـشـجـمـيـ إـلـيـ عمرـ بنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ فـيـ شـأنـ
الـنـسـاءـ الـلـاـنـىـ كـانـ الـمـاجـاهـدـونـ يـخـلـونـهـنـ وـدـاعـهـمـ وـهـمـ يـغـزـونـ :

أـلـأـبـلـغـ أـبـاـ حـفـصـ رـسـوـلـ فـدـىـ لـكـ مـنـ أـخـىـ ثـقـةـ إـذـارـىـ

قـلـائـصـناـ هـدـاكـ اللـهـ إـنـاـ شـغـلـنـاـ عـنـكـ زـمـنـ الـحـصـارـ (١)

ولـاـ حـظـرـ بـعـضـ الـخـلـفـاءـ عـلـىـ الشـعـرـاءـ ذـكـرـ النـسـاءـ قـالـ حـمـيدـ بنـ ثـورـ :

تجـرمـ أـهـلـهـاـ لـأـنـ كـنـتـ مـشـعـراـ جـنـونـاـ بـهـاـ يـاـ طـولـ هـذـاـ التـجـرـمـ

وـمـالـىـ مـنـ ذـنـبـ إـلـيـهـمـ عـلـمـتـهـ سـوـىـ أـنـتـيـ قـدـ قـلـتـ يـاـ سـرـحةـ اـسـلـمـىـ

بـلـىـ اـسـلـمـىـ ثـمـ اـسـلـمـىـ ثـمـ اـسـلـمـىـ ثـلـاثـ تـحـيـاتـ وـإـنـ لـمـ تـكـلـمـ

فـكـنـىـ عـنـ تـفـزـلـ فـيـهـاـ بـالـسـرـحـةـ ، وـقـدـ كـانـواـ يـقـلـوـنـ لـزـوجـةـ الرـجـلـ سـرـحـتـهـ . وـكـمـاـ كـنـىـ عـنـ

(١) الاتصـفـيـرـ الـبـيـانـيـ دـ. مـحـمـدـ أـبـوـ مـوسـىـ صـ ٤١٠ـ .

المرأة بالسرحة كنوا عنها بالنخلة ، قال شاعرهم :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ووجهة الله السلام

وكنوا عنها بالنعمجة قال تعالى : « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولن نعجة واحدة ». .

وكنوا عنها بالوديعة في رسالة كتبها أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابه على لسان المعتصد بالله العباس إلى أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، يطمئنه فيها على كريمه قطر الندى قال :

« وأما الوديعة فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناء لها وحياطة بها ». .

وكان ابن ثوابه فرحاً بوقوعه على هذه الكنية حتى لقد قال الوزير أبي القاسم عبيد الله ابن سليمان بن وهب « والله إن تسميتى إياها بالوديعة نصف البلاغة ». .

وقد استحسن هذه الكنية حتى صار الكتاب يعتمدونها ^(١) .

* * *

والكنية عن موصوف هي أيضاً نوعان :

نوع يكتنى فيه عن الموصوف بمعنى واحد كما في الأمثلة السابقة . وكما في قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخزن والطاغعين مجتمع الأضفان

فقد كثُر معنى واحد هو (مجتمع الأضفان) عن موصوف هو القلوب .

ومقصود بوحدة المعنى هنا إنما هي وحدة النوع أو الجنس . وإن كان مثنى أو جمعاً ، فمجتمع الأضفان ، وإن كان جمعاً إلا أنه معنى واحد من حيث إنه جنس واحد هو القلوب ، وليس أجناساً متعددة ، وسيتضح ذلك أكثر بذلك :

النوع الثاني : وهو ما يكتنى فيه عن الموصوف بمجموعة معان تتضاد مع بعضها حتى تشكل الموصوف المكتن عنده بها وتحضره في ذهن القارئ أو السامع .

(١) سر الفصاحة ١٥٦ .

مثال ذلك قوله تعالى كنایة عن البناء : « أَوْ مَنْ يُنشِأُ فِي الْحَلِيةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ » .

لم يعبر الله سبحانه وتعالى عن البناء بمعنى واحد بل بمعنيين اثنين هما التنشئة في الحلية ، والعجز عن الإبانة في اللدد والخصوصة .

وهذان المعنيان مختلفان ، لكنهما متكمالان وهما لذلك يؤديان إلى المكتن عنه بهما في الآية الكريمة ، وهو الإناث في مقابلة الذكر .

ومثاله أيضاً قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاعِرِ وَدَسَرٍ » .

فقد كتني - سبحانه - بمعنيين من جنسين مختلفين عن الموصوف وهو السفيحة المكونة من الألواح والدسر ، والدسر : جمع دسار وهو المسamar ، وقيل خيط من الليف تشد به الألواح ^(١) .

ومن الأمثلة التي أصطمعنها البلاغيون ليوضحوا بها ما نحن بصدده ، وهو الكنایة عن الموصوف باكثر من معنى قولهم فيما يشبه الإلغاز :

« حَىْ مُسْتَوِى الْقَامَةِ عَرِيفُ الْأَظْفَارِ »

ووكلهم أن تتأزر الصفات الثلاث لتهض مجتمعة كنایة عن موصوف هو الإنسان ، قالوا :

« لَأَنَّ الْحَيَاةَ وَحْدَهَا لَا تَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ وَاسْتِوَاءُ الْقَامَةِ ، لَأَنَّ التَّمْسَاحَ يَشَارِكُ إِنْسَانَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ حَىْ مُسْتَوِى الْقَامَةِ ، وَلَوْ قَيلَ : حَىْ عَرِيفُ الْأَظْفَارِ - يَأْسَقَاطُ مُسْتَوِى الْقَامَةِ - لِسَاوَاهُ الْجَمْلَ » ^(٢) .

ذكر القرزويني هذا المثال ، وهو يشبه أن يكون حدأً للإنسان لا كنایة عنه ، ولو حجبنا كلمة الإنسان عنه لكان - كما قلنا قبلأً - لغزاً ، وقد ردء السبكي لأنَّه من وجهة نظره حد ، والحد تصريح لا كنایة ^(٣) .

(١) أساس البلاغة من ١٣٠.

(٢) التصوير البياني من ٤١٩.

(٣) المرجع السابق من ٤٣.

الكتابية عن نسبة الصفة إلى الموصوف

وأيها نصرح بالصفة ونصرح بالموصوف ، لكننا لا نصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف بل نكتن عن هذه النسبة بنسبة أخرى تستلزمها .

نقول : يحل الأدب حيث يحل محمد .

وننظر فنجد أننا قد صرحتنا بالصفة وهي الأدب ، وبالموصوف وهو محمد ، لكننا لم نصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف أى بنسبة الأدب إلى محمد ، وإنما كتبتنا عن ذلك بأن نسبة الأدب إلى محمد أى إلى المكان الذي يحل فيه محمد ، ونسبة الأدب إلى المكان الذي يحل فيه محمد تستلزم ، أو هي كتابة عن نسبة الأدب إلى محمد : لاستحالة قيام الأدب بمكان وضرورة قيامه بإنسان هو في مثيلنا محمد .

ويقول زياد الأعجم :

إن السماحة والمروة والندي في قبة ضربت على ابن الحشري

فيسوقة القزويني مثلاً لكتابية عن نسبة ويعلق عليه بقوله :

« إنه حين أراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشري جمعها في قبة تتبئها بذلك على أن محلها (ابن الحشري) توقيبة ، وجعلها مسؤولية عليه لوجود نوع قباب في الدنيا كثرين ، فافتاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكتابة .

ونظيره قوله : « المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه » ^(١) .

وكبيت زياد قول حسان يفترخ :

فنحن الذرا من نسل آدم والعرا

تربيع فيما المجد حتى تائلاً

بني المجد بيته فاستقرت عماره

عليينا فاعينا الناس أن يتحولا

(١) بغية الإيضاح ج ٢ من ١٦٣ .

وقول ذهیر بن أبي سلمي يمدح هرم بن سنان :

هناك ريك ما أعطاك من حسن

وحيثما يك أمر صالح تكن

وقول الكميٰت يمدح أباًن بن الوليد :

يحيى أبان قرین السماح والمكرمات معاً حيث صارا

وقول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب لما كان في حبس الحجاج :

أصبح في قيادة المساحة والجودة وفضل الملاحة والحسب

وقول أبي نواس في مدح الخصيب :

فَمَا جازَهُ جُودٌ وَلَا حُلْوَنَةٌ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ هُنْدَنْ يَصِيرُ

وقد جمع الشنفرى بين سالبة ومحبطة من الكتابة عن نسبة فى بيته المشهور :

يبيت بمنحة من اللهم بيتها إذا ما بيست بالملامة حلست

في الشطارة الأولى ، نسب إلى بيتها النجاة من اللوم (نقى اللوم عنه) وقصده نسبة النجاة من اللوم إليها (نقى اللوم عنها) .

كتنى بالنسبة الأولى عن النسبة الثانية .

والشيء نفسه فعله في الشطرة الثانية ، لكن بظرفية موجبة .

(نسبة اللوم إلى البيت الأخرى) وقصده (نسبة اللوم إلى سكان هذه البيوت).

ومرة أخرى نقول: كفى بالنسبة الأولى عن النسبة الثانية.

وهذا هو مفهوم الكتابية عن نسبة .

• • •

ويحسن التنبية إلى أننى قد امتحنت أمثلة الكتابة عن نسبة من كتاب (دلائل الإعجاز) لمعبد القاهر الجرجانى طبعة دار المعرفة فى بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٢٨م بتحقيق محمد رشيد رضا حى ٢٣٦ وما بعدها.

أقول ذلك لأنني به ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف من أن عبد القاهر قد جعل فن الكتابة نوعاً يدخل في المجاز العقلي وهو الذي يأتي من إسناد شئ لشئ والمراد إسناده لمغيره كقول زياد الأعجم : إن السماحة والبرورة والندي ..

وكل قول الشنفري : بيت بمنجاة من اللوم بيتها^(١) .

وما ذهب إليه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف اجتهاد غير صائب .

فكلام عبد القاهر صريح في أن هذين المثالين وأمثالهما كتابة عن نسبة بالمعنى المصطلح عليه قديماً وحديثاً في كتابة النسبة .

وليست أنس لما نحن فيه بفقرات من كلام عبد القاهر عن هذا النوع من الكتابة ، قال تعليقاً على بيت زياد :

« أراد - كما لا يخفى - أن يثبت هذه المعانى خللاً للمدح وضرائب فيه فترك أن يصرح ويقول : إن السماحة والبرورة والندي لمجموعة فى ابن الحشريج ، أو مقصورة عليه أو مختصة به وما شاكل ذلك مما هو صريح فى إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ما ترى من الكتابة والتلويح فجعل كونها فى القبة المضروبة عليه عباره عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة ، وظهر فيه ما أنت ترى من الفحامة .

وقال تعليقاً على بيت يزيد بن الملهم :

تنظر فتراه ظنيراً لبيت زياد وتعلم أن مكان القيد هنا هو مكان القبة هناك ؛ ثم يضيف : وما هو إثبات للفصلة على طريق الكتابة والتعریض قولهم : المجد بين ثوبيه والكرم في برديه ؛ وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للمدح بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه كما توصل زياد إلى إثبات السماحة والبرورة والندي لابن الحشريج بأن جعلها في القبة التي هو جالس فيها ، ومن ذلك قول زهير (وحيثما يك أمر صالح تكن) وما جاء في معناه من قول الكميت : يصير أبيان ..

وقول أبي نواس : فما جازه جود ..

في كل ذلك تم التوصل إلى إثبات الصفة في المدح بإثباتها في المكان الذي يكون فيه

(١) انظر البلاغة تطور وتاريخ ص ١٨٥ و ٣٥٧ .

وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله ، وهكذا إن اعتبرت بيت الشنفري : بيت بمناجة من اللوم بيتها .

وتجده يدخل في معنى بيت زياد ، وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها ، وباعد بينه وبينه ، وكان مذهب في ذلك مذهب زياد في التوصل إلى جعل السماحة والمرءة والنوى في ابن الحشرون بأن جعلها في القبة المضروبة عليه ، وإنما الفرق أن هذا ينفي بذلك يثبت (١) .

* * *

بقى أن السكاكي أعطى بعض أمثلة الكنية على إطلاقها أى باقسامها الثلاثة أسماء جديدة قال :

« الكنية تتفاوت إلى تعريف وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ، فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريفاً ، وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباينة ... إلى آخر ما ذكره ، وسنذكره بل ستفصله » .

لكن أبادر فاقرر - بعد أن قرأت ما قاله وما مثل به لما قاله - (٢) أنه لم يأت بجديد يستحق أسماء جديدة .

فالتلويح : عنده : كناية كثرت وسائلها كثثير الرماد وجبان الكلب ومهنول الفصيل .

والرمز عنده : كناية عدلت فيها الوسائل أو قلت مع خفاء اللزوم . كمفقول الزراعين وغريض الوسادة .

والإيماء : ويسميه أيضاً الإشارة - كناية عدلت فيها الوسائل أو قلت لكن مع وضوح اللزوم كقول أبي تمام يصف إبله :

أبین فما يزرن سوی کریم وحسبک أن یزرن أبا سعید

فإنه في إفاده أن أبا سعيد كريم غير خاف .

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٣٧ - ٤٤٠ .

مفتاح العلم ص ١٩٤ وبيغية الإيضاح ص ١٦٧ - ١٦٨ .

وكتول البحترى :

أوما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول
فإنه في إفاده أن آل طلحة أمجاد ظاهر .

وكتول الآخر :

متى تخلو تميم من كريم وسلامة بن عمرو من تميم
والامثلة السابقة كلها كنایة : ومن السهل توزيعها على ما سبق من أقسامها .

* * *

أما التعریض :

فإذن أرى أن ما مثل به السكاكي له ليس كنایة ، وإندعا هو يتكلم قال :
« والتعريف كما يكون كنایة يكون مجازاً كقولك : أذيتني فستعرف ، وأنت لا تريد
المخاطب ، بل تريد إنساناً معه ، وإن أردتها جميعاً كان كنایة ». .

وأقول : أما كونه مجازاً فنعم ، وهو مجاز مرسل علاقته اللزوم ، لأنه يلزم من تهديد
المخاطب الذي اتّخذه المتكلّم ذريعة لتهديد المؤذى ، تهديد المؤذى نفسه من باب (إياك أعني
وأنهمي يا جارة) .

لكن لابد في هذه الحالة من قرينة مانعة من فهم أن التهديد موجه حقيقة إلى المخاطب .
والعبارة بعد تعريف « وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه » فهذا هو التعريف
نصّاً . وأما كونه كنایة إذا أرادهما جميعاً .

فإذن أسأل : على أي أساس يريدهما المتكلّم جميعاً ؟ علماً بأن المقصود بالتهديد إنما
هو المؤذى فعلأً لا المخاطب .

ولنفترض - جدلاً - أن المتكلّم أرادهما معاً بتهديده .

إن الكلام في هذه الحالة يكون حقيقة لا مجازاً ولا كنایة .

بقي احتمال آخر هو أن يكون المتكلّم قد استعمل العبارة المذكورة استعمالين مختلفين ،
 حقيقياً ومجازياً معاً أو بنطق واحد فقط .

و هذا مستحيل عقلاً فضلاً عن أنه مرفوض بلاغة ، لأنه لا ترد عليه ولا يمكن أن ترد
ذلك في هذا الاستعمال المزدوج علاقة جامعة ولا قريئة مانعة .

* * *

ولنصل في إقناع القارئ إلى أبعد من ذلك نقدر أن التعريف دلالة بالمفهوم لا بالمنظوق ، لأنه - لغة - خلاف التصريح ، واصطلاحاً : إمالة الكلام إلى عرض يدل على المعنى المقصود ، أي إلى جانب تفهم منه ما يريد المعرض ، تقول عرّضت بفلان إذا قلت قد لا أقدره ، وأنت تعنه به^(١) .

ويقول القاضي لأحد المتهمين: أنت بريء . ويسكت عن الآخر ، وسكته عنه تعریض به ،
ومن حقه أن يفهم أنه وحده المتهم ، ولو لم يقل القاضي ذلك صراحة .

ويندق يام، زانز في منتصف الليل فأفتح له وأبادره قائلاً:

كم الساعة الآن؟

وسؤال، هذا تعريض يأنه زارني في وقت غير مناسب.

ومن طريف التعریض ما حکاه الرواۃ - وأنا أشک فی صحته - قالوا : دخل الفرزدق البصرة ودلف إلى سوق باديتها المعروف باسم الميد فلگنی غلاماً ينشد شعراً جزاً يشبه شعره ، فسأله : هل كانت أمك تأتی إلى دمشق ، وفهم الغلام تعریض الفرزدق بأمه فرد معرضًا يأم الفرزدق : بل أبى :

فهل هذا الحوار كنایة ؟ بل هل فيما سبق من أمثلة التعريض كنایة ؟ ! ونجيب - مطمئنن - : لا ومعنى لشیخنا السکاکی .

لماذا الكنائس؟

والاحابة مجموعه اعتبارات منها :

١ - أن الكنية أبلغ من التصرير؛ لأنها في كثير من صورها تعطي الدعوى
وتدلي بها، والقضية ويرهانها ، والكلام المقرب بدليله أقوى من الكلام العاري عن الدليل
والبرهان . يقول عبد القاهر :

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزنكيشى ج ٢ ص ٣١١ .

« أما الكنية فإن السبب فى أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم
 - إذا رجع إلى نفسه - أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد فى وجوبها ،
 أكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجى إليها فتثبتتها مكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعى
 شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يشك فيه ، ولا يظن بالخبر التجوز
 والغلط »^(١) .

أوقع سيف الدولة بيني كلاب فقال المتتبى :

فمساهم ويسطهم حرير وصيبحهم وبسطهم تراب

وفي بيته هذا كنایتان :

الأولى (فمساهم ويسطهم حرير) كنایة عن أنهم سادة أعزه منعمون بدليل أن بسطهم
 حرير .

والثانية « وصيبحهم وبسطهم تراب » كنایة عن أنه أذلهم وأفقرهم بدليل ما هم عليه الآن
 من افتراش التراب .

وقال آخر :

تجول خلاخيل النساء ولا ارى رملة خلخالاً يجول ولا قلباً
 فكنت عن سمنة رملة ، وامتلأها بتوقف خلاخيلها وأسوارها عن الجولان ، لكنه قال :
 إنها ممتلئة الأطراف بدليل ثبات خلاخيلها وأسوارها في أماكنها من ساقيها ومعصميها .

٢ - أن الكنية أسلوب حضاري مهذب .

تقول لوالد فتاتك جنتك طالباً القرب منك ، فتكون أكثر رقة وخشمة مما لو صرحت
 فقلت: جنتك طالباً الزواج من ابنتك أو نحو ذلك .

وأقرب من هذا قول الفتاة التي سئلت عن أمها ؟

فكنت بقولها : ذهبت تشق النفس نفسين . فهو أجمل وأدخل في باب الأدب يمعده

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٧ - ٥٨ .

الاجتماعي والفنى مما لو قالت : ذهبت تولد فلانة زوجة فلان ، بل أكثر من ذلك تمكن الكناية صاحبها من أن يقول المستهجن من المعانى بالمهذب من الألفاظ .

يقول ابن سنان : وما يستحسن من الكناية قول امرئ القيس :

حضرنا إلى الحسين ودق كلامنا **ورضت ذات صعبة أى إدلال**
لأنكى عن المبايعة بأحسن ما يكون من العبارة ^(١).

* * *

والقرآن الكريم فيما نحن بصدده وفي غيره المثل الأعلى ، فمن كنایاته العجيبة قول الله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البساط » .

فهو كناية بل دعوة إلى الوسيط الذهبي في الاقتصاد والمثال وهو الاعتدال .

وقوله تعالى : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من تبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » ^(٢) .

كنایة عما لا بد منه لمن يأكل ويشرب

هذا هو المشهود في تفسير الآية الكريمة . لكن نقل ابن سنان ويدر الدين الزركشى عن الجاحظ إنكاره ذلك وقوله : بل الكلام على ظاهره ، ويكتفى في الدلالة على عدم الائتمان نفس أكل الطعام : لأن الإله هو الذى لا يحتاج إلى شئ يأكله ، ولأنه كما لا يجوز أن يكون العبود محدثاً كذلك لا يجوز أن يكون طاعماً .

أما ابن سنان فقد وافق الجاحظ بقوله تعليقاً على رأيه : « وهذا صحيح » وإنما الزركشى فقد خالفهما بقوله :

« ويقال لهما : الكنایة عن الغائب فيه تشنيع وبشاشة على من اتخذهما آلهة » ^(٣) .

أما قوله تعالى : « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » .

(١) سر الفصاحة من ١٥٦

(٢) سورة المائدة ٧٥

(٣) انظر سر الفصاحة من ١٥٨ والبرهان في علوم القرآن ج ٢ من ٤٠٥ - ٤٤

وقوله تعالى « أو لامستم النساء »

وقوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ». .

وقوله تعالى : « نسائقكم حرث لكم فأنروا حرثكم أنى شتتم وقدموا لأنفسكم ». .

فهذه كلها كنایات بارزة تطرح مضامينها طرحاً فذا في الفنية والجمالية ، وفيه المرافة والخشمة.

وتنتشرف الآية الأخيرة التداعي الطبيعي بين الحرث والإنبات في التربية الطبيعية ، والحرث والإنجاب في التربية الإنسانية مع الإشارة الطيبة إلى ما يستتبعه هذا ، ويستتبعه ذاك من زينة الحياة التي هي المال والبنون .

والحق أن الكنایات القرآنية تأتی في المقدمة إذا عدنا الدقائق الفنية التي أهلت القرآن الكريم لأن يكون معجزاً بنظمه .

فمن الفصاحة والبلاغة أن تضع الألفاظ موضعها الذي لا يحسن فيه غيرها . ومن وضع الألفاظ موضعها الذي لا يحسن فيه غيرها أن تكون بها عما لا ينبغي التصریح به من قول أو فعل .

٣ - في الكنایة وبالكنایة يقول الإنسان ما يريد أن يقول ، دون أن يكون لأحد عليه سبيل .

يقول مدير المدرسة للمدرس الذي يضرب تلاميذه : « يدك طولية يا فلان ». وهي كنایة عن أشياء :

منها ما قصده مدير المدرسة .

ومنها ما هو أفعظم وأرجع :

ثم منها ما هو مدح يعتضبه مدير المدرسة لو افتح عليه الباب لعتاب أو عقاب .

ومن المطانف التي سمعتها ما عقب به سائق حافلة على قول أم لصغيرتها « اطلعني يا روحى » .

قال : « اطلعني يا أختى وبعد طلوك تطلع روحك ». .

والتحليل البلاغي لمقولته يقف بكلمة (روحك) فيها عند الكناية أو التورية .
وبين قوسين أقول : إنها قريب من قريب ، فتحن في الكناية ندى بالمعنى الأصلي عن
المعنى الكثائي ، وفي التورية نكتى بالمعنى القريب عن المعنى بعيد .

ولست في هذا وحدي بل مع ابن رشيق والعلوي والسكاكى يقول الأول : « وأما التورية
في أشعار العرب فإنما هي كناية بشجرة أو شاة أو بيسنة أو ناقة أو مهرة أو ما شاكل
ذلك » ^(١) .

ويقول الثاني : « وربت عن كذا إذا سترته ، وفي الحديث : كان ^{عليه} إذا أراد سفراً ود
عنه بغيره أى سقره وأوهم أنه يريد غيره ، وهذا نحو الكناية والتعریض والمغالطة والأجاجى
والألغاز ، فهذه الألوان والصور كلها مشتركة في كونها دالة على أمور بظاهرها ، ويفهم عند
ذكرها أمور أخرى غير ما تعطيه بظواهرها ^(٢) ..

وقال السكاكى : « أكثر متشابهات القرآن من التورية » ^(٣) .

وسواء كانت كلمة (روحك) في مقولة السائق كناية أو تورية أو حتى استعارة تصريحية
فقد أدت جملة (وبعد طلوعك تطلع روحك) - وهي خبرية لفظاً إنشائية معنى - ما أراده
قائلها منها وهو التشاوم للأم بل الدعاة عليها بطلع روحها أى يموتها ، ولو لا كلامها قبلأ
لساعت عاقبتها فعلأ ، لكنه تحصن بما قال ف قال ما قال .

٤ - في الكناية تقوية للجانب الإدراكي في الأدب .
بالربط بين المعنى والحسنى ، قصداً إلىشد أزد المعنى بالحسنى .
أو بتكبير الصغير والتخييف من مغبته .

قال المتنبي يكذب صاحبته :

تشتكى ما اشتكت من ألم الشو ق إليها والشوق حيث النحول

(١) العدة ج ١ ج ٢١٣ .

(٢) الطراز ج ٢ ص ٦٢ .

(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ والإيضاح ج ٦ ص ٤٢ .

وقد علق ابن سنان على هذا البيت بقوله :

« كفى عن كتبها فيما ادعته من شرقيها باحسن كتابة »^(١).

وإنما كانت أحسن كتابة ، لأنها أثبتت بالدليل المادي كتب المرأة .

وهو ليس دليلاً مادياً فقط ، بل منطقياً أيضاً ، هو دليل مزدوج إذن ، وقد أفادت هذه الازدواجية الجانب الإدراكي في الأدب ، بل أفادت الأداء الأدبي جملة .

وقال نصر بن سيار محترأ ومتناهراً :

أرى خلل الرماد ومبغض نار ويوشك أن يكون لها ضرامة

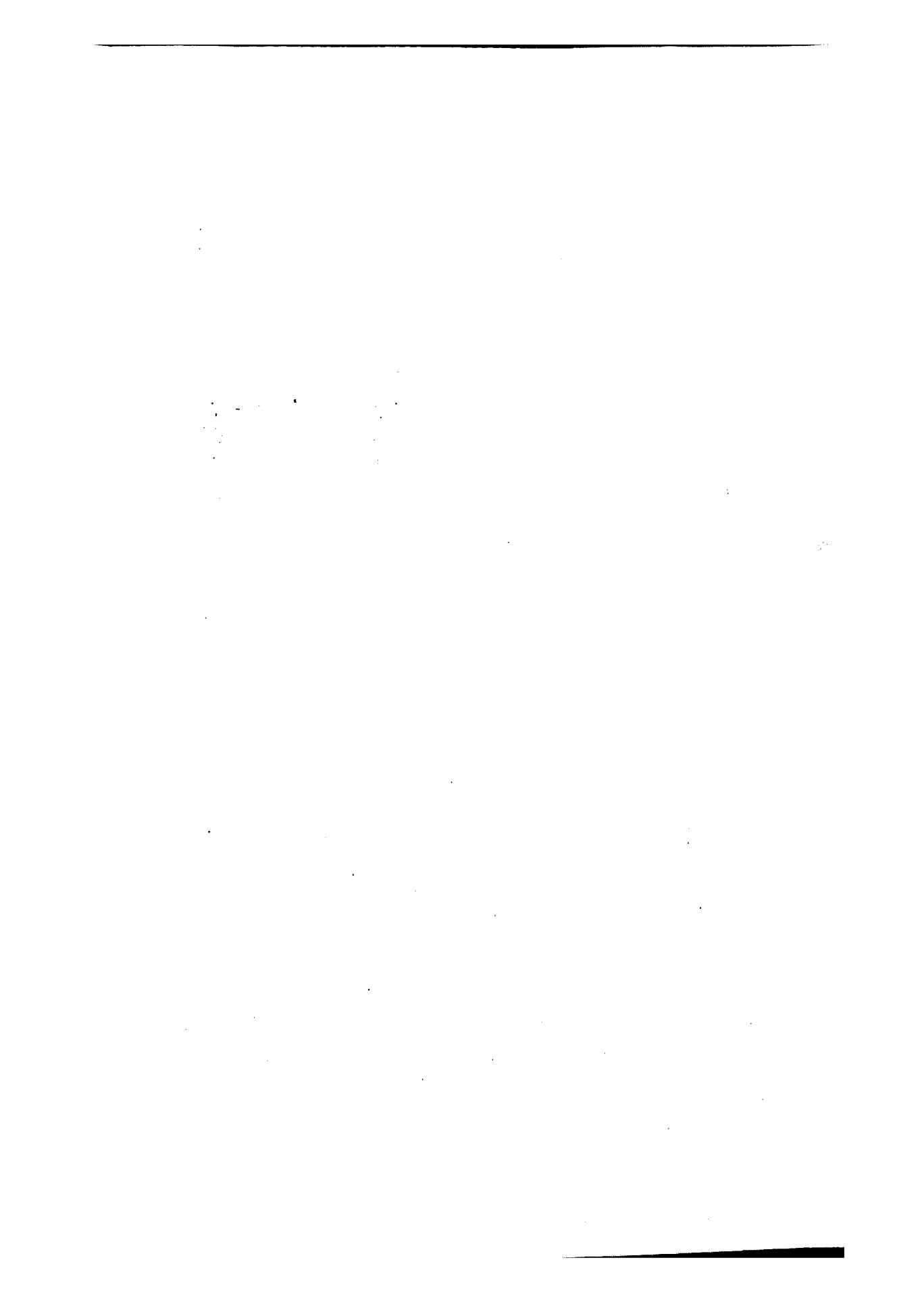
وفي قول نصر كتابة بومبغض النار التي يوشك أن يكون لها ضرامة عما رأه واستشعره من ثورات فردية جسمية ونفسية توشك أن تتجمع وتستعلن في ثورة عامة عارمة تقتلع الأمورين وتديل منهم .

(١) سير الفصحاة من ١٥٧ .



— ۲ —

علم المحتوى



علم المعانى

عرف السكاكي علم المعانى بأنه « يتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره »^(١).

وهو يعني بـ تراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة ، وهى تراكيب البلاغة لا الصادرة عن سواهم .

* * *

ولم يرتكب القزويني تعريف السكاكي فعرفه بقوله : « هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى يطابق بها مقتضى الحال »^(٢).

وأحوال اللفظ فى تعريف القزويني تشمل أحوال الجملة كالقصر والفصيل والوصل والمساواة والإيجاز والإطناب ، كما تشمل أحوال أجزائها كأحوال الإسناد وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل .

وتقيد أحوال اللفظ بما يطابق مقتضى الحال للاحترام عن الأحوال التى ليست كذلك مما يدرس فى علم النحو والصرف بل مما يدرس فى العلوم الأخرى للبلاغة وهمما علم البيان وعلم البديع : لأن مباحثهما لا ينظر فيها إلى ناحية المطابقة أو عدمها .

وإذا كان لنا أن ننفصل بين تعريفى السكاكي والقزويني ، فإننا نفضل تعريف القزويني لأنه موجز وواضح .

ومع هذا فإن تعريف السعد فى المختصر لعلم المعانى أوجز وأوضح ثم إنه أدق . قال : « هو علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام العربى لمقتضى الحال »^(٣).

ووجه الدقة فى تعريف السعد أنه قال (تطبيق الكلام) ولم يقل (أحوال اللفظ) فلم يضطررنا إلى ما اضطررنا إليه تعريف القزويني من توسيع المراد بأحوال اللفظ .

(١) مفتاح العلم ص ٧٧ .

(٢) بغية الإيضاح ج ١ ص ٢٧ .

(٣) مختصر سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح ج ١ ص ٤٧ الطبعة الأولى - القاهرة سنة ١٢٤٠ م . وانظر هامش رقم ٦ في الإيضاح ج ١ ص ٧٥ - ٧٦ بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجرى .

فلننبع بتعريف السعد ولنشرع في تحديد مباحث علم المعانى .

وقد حصرها القزوينى فى ثمانية أبواب . أولها أحوال الإسناد الخبرى ، وثانيةها أحوال المسند إليه ، وثالثها أحوال المسند ، ورابعها أحوال متطلقات الفعل ، وخامسها القصر ، وسادسها الإنشاء ، وسابعها الفصل والوصل ، وثامنها الإيجاز والإطناب والمساواة (١) .

وابادر فائبى إلى أننى لن ألتزم فى دراسة مباحث علم المعانى بترتيب القزوينى لكن مخالفتى له لن تكون كبيرة .

كل ما هناك أنتى سأدرس الباب السادس وهو الإنشاء بعد الباب الأول وهو الإسناد الخبرى : حيث إن الكلام - كما قال القزوينى نفسه - إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنبتة خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج .

الأول الخبر والثانى الإنشاء (٢) .

الإسناد الخبرى

مدخل :

الجملة هي النواة الأولى للكلام مهما كان طوله ونوعه : ومهمما كانت لغته ، ولا تتصور الجملة . بغير نسبة شئ لشئ أى بغير الحكم على شئ بشئ ، وبعبارة بلاغية بغير إسناد شئ إلى شئ .

وهذان الشيئان متلازمان وهما ينحلان فى العربية إلى فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر نحوياً ، وإلى موضوع محمول منطقياً ، أما فى البلاغة - وللتبخل بسرعة من النحو والمنطق - فيسمى أحدهما المسند إليه ويسمى الآخر المسند ، والمسند والمسند إليه مما الركناى الرئيسيان فى الجملة ، وهما عنصراها الأساسيان وجمل كثيرة تكتفى بهما وتقتصر عليهما .

نقول فى الجملة الفعلية : نجع الطلب ، وتفوق المجتهدون : نجع : مسند والطلب : مسند إليه ، وتفوق مسند ، والمجتهدون مسند إليه .

(١) بقية الإيضاح ج ١ من ٢٨ - ٢٩ .

(٢) بقية الإيضاح ج ١ من ٢٩ .

ونقول في الجملة الاسمية : الطالب ناجحون والمجتهدون متوفرون .

فلا يختلف الأمر في شيء عما سبق في الجملة الفعلية سوى أننا بدأنا في الفعلية بالمسند وفي الاسمية بالمسند إليه .

كما أن جملًا كثيرة تتدااع فتظل بما سماه البلاغيون (متعلقات المسند) وذلك إذا كان المسند فعلًا أو مافي معنى الفعل من الاسم المشتق والمصدر نقول : نجاح الطالب في الامتحان هذه السنة راجع إلى اجتهادهم ، ونجاح الطالبات في المقررات هذا الفصل مشرف لهن وللقداميات والقائمين على شئونهن .

وبتحليل الجمل السابقة نجد أنها تتكون من المسند إليه والمسند أصلًا : ومن متعلقات المسند فرعًا .

ويع أن هذه المتعلقات تؤدي وظائف شعورية وذكورية ، وتقوم بدور كبير في تمديد الجملة ، وإن دارها على تحقيق مضمونها ، إلا أن البلاغيين - وهم محققون - لم يجعلوها عناصر أساسية في تكوين الجملة لا عن عدم تكثير منهم لها بل عن فهم صحيح لطبيعتها ، فهو توجد في جملة دون جملة وتختلف في جملة عنها في جملة ، والبلغيون مشكورون لأنهم أفردوها بمبحث خاص من مباحث علم المعاني لمحوا فيه وبه دلالتها ، ثابتة ومتعركة في أماكنها الأصلية ومتقدمة أو متاخرة عن أماكنها الأصلية .

* * *

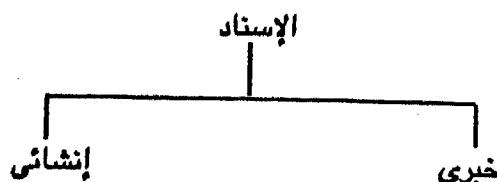
ونعود إلى عذرنا في الجملة لقولنا : إن ما بينهما من إسناد أمر مطود في كل جملة لا من حيث إنها اسمية أو فعلية بل من حيث إنها خبرية أو إنشائية .

شئ لمثال : ذاكر الطالب دروسه نجد المسند هو (ذاكر) والمسند إليه هو (الطالب) ، ونجد متعلقا واحدا هو (دروسه) .

ولو صرنا الجملة عن الخبرية إلى الإنشائية فقلنا الطالب (ذاكر دروسك) لما اختلف الأمر من حيث الإسناد في شيء عن الجملة الخبرية ، فالمسند هو فعل الأمر (ذاكر) والمسند إليه هو الضمير المستتر (أنت) والمتعلق هو (دروسك) .

الإسناد إذاً قاسم مشترك بين الجملتين : الخبرية والإنشائية ، وما سماه البلاغيون بالإسناد الخبري يجعلوه مفتتح مباحث علم المعاني ، إنما هو وصف تقريري لما هم بإزارء

دراسته ، قالوا (أحوال الإسناد الخبرى) وذكروا أضرب الخبر ومقاصده الحقيقة والبلاغية ، ثم استطروها من الإسناد الخبرى إلى مكوناته الأصلية والفرعية وحين وصلوا إلى الإسناد الإنسانى سموه (الإنشاء) فقط ولم يسموه - كسابقه - الإسناد الإنسانى ، وهو كذلك نظرياً وعملياً : لأن القسم الوحيد للإسناد الخبرى مكتداً :



وإذا كانوا قد درسوا بمناسبة الإسناد الخبرى أحوال المستند إليه وأحوال المستند ومتعلقات الفعل ، بل زانوا فقالوا « والإسناد إما بقصر أو بغير قصر » .

فإنهم قد شغلوا في الإسناد الإنسانى لا بأجزائه كما فعلوا في الإسناد الخبرى بل بأنواعه وأساليبه المختلفة من أمر ونهى واستفهام وتناءٍ ونداءٍ .

* * *

كفتا الميزان متعادلتان إذن ، والدراسة في علم المعانى موزعة على الإسنادين الخبرى والإنسانى ، ثم تأتى الجملة - خبرية أو إنسانية - بعد جملة - خبرية كانت أو إنسانية معطوفة على الأولى بالواو فيعطون لذلك مصطلح (الوصل) أو تأتى الجملة الثانية بعد الأولى غير معطوفة بالواو فيعطون لذلك مصطلح (الفصل) ويتوالى الجمل مكونة كلها قولاً أو كثراً فيصطدرون على أن الكلام إذا كان بحجم معانى سمى (مساواة) ، وإذا زاد على معانى سمى (إطناباً) وإنما قل عن معانى سمى (إيجازاً) ، بهذا ينتهى علم المعانى بشطريه المتعادلين ، ويمكن أن نقول المتساوين .

الجملة الخبرية

الجملة الخبرية هي الجملة التي تحتمل الصدق والكذب لذاتها أى بصرف النظر عن قائلها ، وأيضاً بصرف النظر عن الواقع الذى يقابلها ، إذ لو نظرنا إلى قائلها أو إلى النسبة الخارجية التى قد توافقها وقد تختلفها ، لوجدنا جملأ خبرية كثيرة لا تحتمل صحة ولا كذباً إما لأن قائلها متزهون عن الكذب وأخبارهم - لهذا - صادقة هتماً كأخبار الكتب المقدسة والأحاديث النبوية الشريفة ، وإما لأن قائلها كانوا من أصلأ كأخبار مدعى النبو

فيما يحدّثون به من نزول الوحي على موسى من أن أنبياء ورسل ، وأيضاً لوجدنا أخباراً كثيرة لا تحتمل صدقهاً ولا كذبها لأنها توافق أو تخالف الحقائق الثابتة وهي لذلك بديهيات مسلمة كقولنا مما لا يحتمل - باعتبار الواقع - الكذب : الأبن أكبر من الابن والشمس تطلع نهاراً والقمر يطلع ليلاً والسماء فوق والأرض تحت ، وكقولنا مما لا يحتمل - باعتبار الواقع - الصدق : الأبن أكبر من الأبن والشمس تطلع ليلاً والقمر يطلع نهاراً والسماء تحت والأرض فوق ، لكن الأخبار السابقة كلها فما هو على شاكلتها تحتمل الصدق والكذب لذاتها أى بالنظر إلى مضمونها المجردة ويصرف النظر عن قائلها وعن الواقع الخارجي الذي يسامتها .

ويكون الخبر صادقاً إذا وافقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية ، وكاذباً إذا خالفت النسبة الكلامية النسبة الخارجية .

أقول : نجح محمد ، هذه نسبة كلامية ، فإذا كان محمد قد نجح فعلاً تكون النسبة الكلامية قد طابت النسبة الخارجية ويكون إخباري بنجاح محمد صدقاً وإذا كان لم ينجح يا ، سبب تكون إخباري بنجاحه كذباً .

وأقول : رسب فلان ، فإذا كان قد رسب فعلاً يكن إخباري برسوبه صدقاً وإذا كان لم يرسب بل نجم يكن إخباري برسوبه كذباً .

هذا فقط هو المقياس الصحيح والوحيد لصدق الخبر أو كذبه : « صدقه هو مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه هو عدم مطابقة حكمه له » .

يقول القزويني وهو صاحب الجملتين الأخيرتين « هذا هو المشهور وعليه التعویل » ، لكن ذهب إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام وهو أستاذ الجاحظ إلى أن صدق الخبر إنما هو مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ ، وكذبه إنما هو عدم مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ .

وبناءً على هذا الرأي للنظام يكون قول القائل : السماء تحتنا معتقداً ذلك صدقاً وقول القائل : الأرض تحتنا غير معتقد ذلك كذباً .

وقد بعثت النّظام على تلميذه الجاحظ فانكر انحصر الخبر في المصدق والكذب ، وزعم أن ثلاثة أقسام : صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب .

فالخبر الصائق عند الجاحظ هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق للواقع والخبر الكاذب عنده هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق للواقع أما الخبر الذي ليس بصائق ولا كاذب فله أربع صور هي :

(أ) الخبر المطابق للواقع مع اعتقاد قائله بأنه غير مطابق للواقع .

(ب) الخبر المطابق للواقع دون اعتقاد ما .

(ج) الخبر غير المطابق للواقع مع اعتقاد قائله بأنه مطابق للواقع .

(د) الخبر غير المطابق للواقع دون اعتقاد (١) .

ولأنى ليأخذنى العجب من تعكير صفو البلاغة العربية بهذا الكلام للنظام والجاحظ وهو من علم الكلم فى الصميم ، وليس من علم البلاغة فى شىء قل أو كثر ، لكنها الغفلة الفليطة من تعبده به من البلاغيين قدماء ومحدثين وهم بالحمد لله قلة ، ومع أنهم قلة فإننى أسأل : أين كانت هذه القلة من قيد (لذاته) فى تعريف الخبر ؟ !!!

وإذا كان هذا القيد قد قطع الصلة بين الخبر وقايله كانتا من كان هذا القائل كما تقطع الصلة بين الخبر والواقع القاطع بصفته لو كتبه ، أفلأ يقطع الصلة بين الخبر ومعتقد قائله ولو كانوا إلى الكثير أقرب منهم إلى الإيمان ، وإلى الجنون أقرب منهم إلى العقل ، وإلى الغباء المطبق أقرب منهم إلى الذكاء الكاشف !!!

لكنه الخبط العشوائى فى التاليف البلاغى ، ولكنه التزيد البيغانى لبعض ما يقال أو يكتب .

اضرب الخبر

اضرب الخبر إما أن تنسى على حسب ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب ، وإما أن تأتى على خلاف ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب . هى قسمان إذن ، والقسمان متعاقبان حتماً أى يأتى أولهما قبل ثانيهما ضرورة ، ومن البلاغيين من فضل القسم الثانى على القسم الأول .

(١) انظر بدية الإيضاح ج ١ ص ٣٢ - ٣٠ وعلم المعانى لعبد العزيز عتيق من ٤٤ طبعة دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٧٤ م .

قالوا : لدقة مسلكه وحسن موقعه في النفس ، وقد بلغ من حماس بعضهم له أن جعله من باب الكتابية مرة ، ومن باب الاستعارة مرة^(١) .

والحق أنه من مستبعات الكلام ، ومستبعات الكلام لا تأخذ تسمية أصلية بل فرعية كما فعل من قبل ، كما سنفعل نحن هنا . والله الموفق .

القسم الأول : الخبر الجارى على مقتضى ظاهر حال المخاطب :

الخبر الجارى على مقتضى ظاهر حال المخاطب ثلاثة أضرب فى :
الابتداوى والطلبى والإنكارى ، وأساس هذا التقسيم إنما هو الحالة الذهنية للمخاطب .
فإن كان خالى الذهن مما ساق له أقينا عليه الخبر غير مؤكداً ، وهذا هو الضرب
الابتداوى ومن أمثلته قول أبي تمام :

بنال الفتى من عيشه وهو جاھل ويکدى الفتى فى دھره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا هلاکن إذن من جهالهن البهائم
وقول أبي بكر الأرجانى :

ذهب التکرم والوفاء عن الودى وتصرّما لا من الاشجار
وفضلت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الابصار
وقول المتنبي :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتى من به صمم
ويسهر الخلق جرأها ويختصموا أنام ملء جفونى عن شواردها

وقوله :

على قدر أهل العزم تائى العزائم^(٢) وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتصغر فى عين العظيم مغارها وتكبر فى عين الصغير مغارها

(١) انظر مامش رقم ٢ من ٢٩ جـ ١ بقية الإيضاح .

(٢) هذه الشطارة خربها طلبى : لأنها أسلوب قصر .

وإن كان المخاطب متصرفاً طرفي الخبر ولكن شاك في ثبوت أحدهما للأخر ، حسن تقويته له بمذك واحد ؛ فمن بلاغة الكلام الاقتصار منه على قدر الحاجة فقط وهذا هو الضرب الظليبي ، وقد سمي طليبياً لأن المخاطب به متزدد في تصديق مضمونه وطالب ببيان حاله معرفة حقيقته ، ومن أمثلت قول لبيد :

إن المنايا لا تطيش سهامها

وقول النابغة :

على شعث أى الرجال المذهب

ولست بمستيق أخا لا تلم

وقول الشريف الرضي :

ماليس يبلغ الشجاع المعدم

قد يبلغ الرجل الجبان بماه

وقول أبي العلاء في الرثاء :

تؤنسه الرحمة في لمبه

إن الذي الوحشة في داره

وقوله في الحكمة :

فلا تزكو مدى الدهر الفروع

إذا ما الأصل أثني غير زاك

وقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس

إن غنى نفسك في اليأس

وإن كان المخاطب منكراً مضمون الخبر بمعتقداً خلافه ، وجب توكيده بمذكرين أو أكثر ليزايله إنكاره ويصبح اعتقاده وهذا هو الضرب الإنكارى واضح أن هذا الضرب قد سمي إنكارياً لأن المخاطب به منكر له ومعتقد خلافه .

مثاله من القرآن الكريم قول الله تعالى : « قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون » .

ومن الشعر قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وإني لحلو تعرى مراة **وإنى لترأك لما لم أعد**

وقول المعري :

فمنهن بيض في العيون وسود إلا إن أخلاق الفتى كزمانه

وقوله :

لقد نفق الردى ودب مر **من الأقوات يجعل في الصحف**

وقول الأرجاني :

فلا يُعَاب به ملآن من فرق إنا لفي زمـن ملآن من فتن

وقول الآخر :

تسمو إلى المجد ولا تنفتر والله إنـي لأخـو هـمة
القسم الثاني :

الخبر الجارى على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب

والصور الممكنة لخروج الخبر على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب كثيرة منها:

١ - تنزيل العالم بمضمون الخبر منزلة الجاـهـلـ بـه لـغـيـرـ عـمـلـهـ بـعـلـمـهـ :

كتـوـلـانـاـ لـلـمـسـلـمـ الـذـىـ لـاـ يـصـومـ رـمـضـانـ وـهـ قـادـرـ عـلـىـ صـومـهـ «ـ صـومـ رـمـضـانـ أـوجـبـهـ إـلـيـسـلـامـ »ـ الـأـبـلـيـلـ أـلـاـ نـقـولـ لـهـ ذـلـكـ ؛ـ لـأـنـهـ يـعـلـمـ ،ـ لـكـنـهـ لـمـ يـعـمـلـ بـمـاـ يـعـلـمـ ثـرـلـ مـنـزـلـةـ .ـ جـاـهـلـ بـمـاـ قـلـنـاهـ لـهـ .ـ

٢ - تنزيل خالـيـ الـذـهـنـ مـنـزـلـةـ الـمـتـرـدـطـ :

وـذـلـكـ إـذـاـ قـدـمـ لـهـ مـاـ يـلـوحـ بـحـكـمـ الـخـبـرـ فـيـسـتـشـرـفـ لـهـ اـسـتـشـرـافـ السـائـلـ عـنـهـ بـمـنـ أـمـثـلـ ذـلـكـ الـآـيـاتـ وـالـآـيـاتـ الـأـتـيـةـ :

قول الله تعالى لنوح عليه السلام : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مفردون » .
قول الله تعالى للناس كافة : « يائيا الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم » .
قول الله تعالى لمحمد عليه السلام : « وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » .

وقول بشار :

بكرها صاحبى قبل الهجر
إن ذاك النجاح فى التبكير
والمنتسب :
ترفق أىها المولى عليهم
فإن الرفق بالجانس عتاب

فنهما ومهى لك الفداء
إن غباء الإبل العداء
٣ - تنزيل خالى الذهن منزلة المنكر:

وذلك إذا كان مضمون الخبر شيئاً معنرياً يحتاج في إدراكه والاقتناع به إلى تأمل وتدبر
مثل : إن الاستقرار في أحلام اليقظة لمضيعة الوقت ، وإن الفراغ لفسدة .

أو كان بشارة عظيمة تقاد من عظمتها لا تصدق كقول الله تعالى :
« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

أو كان ردأ على تصرف خاطئ من خالى الذهن ، كقول حجلة بن نضلة القيسي (١) .

جاء شقيق عارضاً رممه إن بنس عمك فيهم رماح

فمجىء شقيق مكذا مدللاً بشجاعته ، قد وضع رمحه عرضاً دليلاً على اعتقاد شديد منه
بنفسه باعتقاد أنه لا يقمع له من بني عمه أحد كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح وقد
اقتضى حاله هذا توكيده الخبر له بمؤكدتين اثنين مما « إن » والجملة الاسمية المزدادة بطريق
القصر « فيهم رماح » .

(١) حجلة - بفتح الحاء والجيم - لقبه ، ونضلة : أمه ، واسمه أحمد بن عمرو بن عبد القيس .

وعلى هذا جاء قول الله تعالى : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » فالمخاطبين بالأكية الكريمة لا ينكرون أنهم سيموتون لكنهم برغم ذلك يتصرفون وكأنهم مخلدون .

٤ - تنزيل المتردّي منزلة خالق الْذَّهَنِ :

وذلك إذا لم يكن هناك داع لتردد ، فلا نؤكد له الخبر بأي مؤكّد .

نقول للطالب المتفوق دائمًا لكنه برغم تفوقه الدائم متخفٍ من نتيجة الامتحان نقول له : أنت من الناجحين أى ستكون من الناجحين ، مكذا دون تأكيد .

٥ - تنزيل المتردّي منزلة المنكّر :

وذلك إذا كانت درجة تردد عالية فنؤكّد له الخبر بأكثر من مؤكّد .

نقول للطالب الذي لم يرض عن إجابته وتصور أنها لا تنجح ، نقول له وقد نجح « إنك قد نجحت » .

٦ - تنزيل المنكّر منزلة خالق الْذَّهَنِ :

وذلك إذا كان لديه ما إن تأمله ارتدع عن إنكاره ، فإننا والحالة هذه لا نؤكّد له الخبر بأي مؤكّد كقولنا لمنكر الإسلام « الإسلام من عند الله » ولمنكر فضل العلم « العلم ينفع العباد والبلاد » ، ومن ذلك قول الله تعالى لمنكري حداثتيه : « إِنَّهُمْ بِهِ لَا يَعْلَمُونَ » .

٧ - تنزيل المنكّر منزلة المتردّي إنما كانت درجة إنكاره غير عالية :

وفائدة تنزيل المنكّر منزلة المتردّي تقليل التوكيد له كقولنا للمنكّرة حب زوجها لها « إن زوجك يحبك » وقولنا للمنكّر فضل الاجتهاد « إن الاجتهاد يحقق للمرء ذاته » مكذا بممؤكّد واحد مع أن المخاطب منكّر .

ومن ذلك قول الله تعالى : « ثم إنكم يوم القيمة تتبعون » .

ألفاظ توسيع الخبر

اللغة العربية غنية بالألفاظ التي تزيد من فاعلية الجملة وتقذفها ، وهذه إلمامة موجزة ببعض هذه الألفاظ وبيان وجه كونها مؤكدة .

١ - اسمية الجملة :

وهي لا تكون مؤكدة على سبيل الاستقلال بل بالتبعية ، فإن كان هناك مؤكد آخر جعلت اسمية الجملة من المؤكdas ولا فلا .

هذا ما قالوه ، ولا أقرهم عليه بل هي عندي تقييد التوكيد وحدها مثلاً تقييد ومعها غيرها : فاسمية الجملة أمر متحقق لها في ذاتها وما يترتب على هذه الاسمية من التوكيد إنما هو لاسميتها هي نفسها وليس لمساعدة غيرها لها ، وإذا كان ذلك كذلك فلا يستقيم أن تكون مؤكدة مرة وغير مؤكدة أخرى .

حکى الله تعالى عن رسول عيسى عليه السلام حين أرسلهم إلى أهل آنطاكية قال : « واخرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبواهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا : ما أنتم إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء ، إن أنتم إلا تكذبون قالوا : ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون » .

حين كذب الرسول في المرة الأولى قالوا : « إنا إليكم مرسلون » وهي قولهم هذا ثلاثة مؤكdas هنـى « إن » و « اسمية الجملة » والقصر بتقديم (إليكم) على (مرسلون) .

وحين كذبوا في المرة الثانية قالوا : « ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون » وهي قولهم هذا توكيد بالقسم وإن واللام واسمية الجملة والقصر .

وإنما كانت الجملة الاسمية مؤكدة لأنها تقييد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء وتقييد بالقرائن الدوام والاستمرار ، وهاتان الإفادتان مشروطتان بأن يكون خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، فإذا كان خبرها جملة فعلية أو شبه جملة أفادت التجدد ، وهذا يعني أن الجملة الاسمية في جميع حالاتها أفضل من الجملة الفعلية التي تقتصر بأصل وضعها لأن إفادة حلوث شيء ما في زمن معين .

ويحسن التنبيه إلى أن الجملة الاسمية لا تخرج بالضرب الظلي إلى الضرب الإنكاري إذا مصحبها مؤكداً آخر كما في رقم (٢) من الخبر الجارى على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب ص ١٣١، ١٣٢.

لكن إذا اقتصرت الجملة على الاسمية جاز التمثيل بها للضرب الظلي مثل العلم نور والنور عصمة والقناعة كنز لا يغنى.

وجاز التمثيل بها للضرب الابتدائى؛ فاسمية الجملة - إفادتها الثبوت - لاتتصارع أنواع التوكيد المتمحضة لذلك كذا وإنْ والقسم ولام القسم ونونى التوكيد... إلى آخره.

٢ - إنّ :

فهي فضلاً عن أنها تنصب المبتدأ وترفع الخبر توكيد مضمون الجملة ، تقول : إن النجاح مفرح ، فكذلك كررت الجملة ، والتكرار توكيده لفظي كما نعلم .

٣ - أما الشرطية :

فهي حرف شرط وتفصيل وتوكيده قال تعالى : « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً » .

وقال الشاعر :

فَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفَ أَمَا مَذَاقَ فَحْسُو وَأَمَا وِجْهَ فَجَمِيلٌ

ووجه إفادة « أما » التوكيد أنها تفيد الخبر قوله ، تقول : محمد ناجع . فإذا أردت توكيده قلت : أما محمد فناجع .

٤ - لام الابتداء :

فهي توكيد مضمون الخبر ، ومن يتبعها يجد أنها تدخل على المبتدأ مثل لأنك أول الناجحين ، وعلى خبران اسماءاً كان مثل « إن ربى لسميع الدعاء » .

وفعلآ مضارعاً مثل « إن ربك ليحكم بينهم » كما تدخل على شبه الجملة قال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

٥ - السين :

فهي إذا دخلت على فعل محبوب أو فعل مكره أفادت أنه واقع حتماً .
وسبب ذلك أنها تقيد الوعد أو الوعيد بما دخلت عليه ودخولها عليه مقييد توكيده . ومن
مجيئها في الوعد قوله تعالى : « أولئك سيرحمهم الله » . ومن مجئها في الوعيد قوله
عز وجل : « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغني عنه ماله وما كسب ، سيصلني ناراً ذات لهب » .

٦ - القسم :

وأحرف القسم هي الباء والواو والباء .

ولأن الباء هي الأصل في حروف القسم نجدها تدخل على كل مقسم به اسماً ظاهراً
مثلاً : أقسم بالله ما نسيتك ، وضميرأ مثل : أقسم به في علاه إني لبرئ .

أما الواو فلا تدخل إلا على الاسم الظاهر مثل : والله إني لصادق ، ولعمري إني لأحب
عملى .

والباء كالواو في أنها لا تدخل إلا على الاسم الظاهر ، لكن هذا الاسم الظاهر يجب أن
يكون لفظ الجلالة (الله) مثل « تالله لا يكيدن أصنامكم » .

وانما كان القسم توكيدياً لدلالة على شدة ثقة المقسم بأن ما أقسم عليه حق ، وفي هذا
إيقاع للمخاطب بأن الملقى عليه لا ريب فيه .

٧ - قرآن التي تفييه التحقيق :

مثل : « قد أفلح المؤمنون » ، « قد أفلح من تزكي » ، « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من
لساها » ، « قد جاكم الحق من ربكم » ، « يا إبراهيم اعرض عن هذا إنك قد جاء أمر
ربك » ، « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » .

و واضح أن « قد » في الآيات السابقة قد قوت مضامينها وأكملتها .

٨ - نونا التوكيدية :

وقد اجتمعنا في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز « ولقد راودته عن نفسه فاستعصى
ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن ول يكنا من الصاغرين » .

٩ - خبر الفضل (٥٥):

وهو ضمير ينافي به لتمييز الخبر عن الصفة في مثل « محمد هو الرسول » فلو حذفت (هو) وقلت « محمد الرسول » لوقع متنقي خبرك في حيرة ولم يعرف : هل الرسول صفة لمحمد أو خبر له ، فإذا أعددت الضمير إلى مكانه تتعين أن الرسول خبر لا صفة .

ولأن ضمير الفصل يزيل إبهام الجملة التي يتخللها وفي هذا تقوية لها ، كان من أدوات تركيد الخبر .

١٠ - حروف التنبيه:

وأشهرها (أما) و(إلا) بتخفيف (ما) ، و(لا) وفتح الهمزة فيهما .

ويكثر مجيء (أما) قبل القسم لتتبّيه المخاطب على الإصغاء للقسم وعلى أن القسم عليه أمر مؤكّد : قال أبو سخر الهذلي :

اما والذى ابكي وأضحك والذى .. امات وأحيا والذى أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى .. اليقين منها لا يروعهما النفر
و ((ألا)) مثل ((اما)) في إفاده التنبيه وفي الدلاله على تحقق ما بعدها قال تعالى : « ألا إلى
الله تصرير الأمور » وقال سبحانه « ألا له الخلق والأمر » .

١١- الحروف الظاهرة وهي كثيرة منها:

(١) «أن» المفتوحة الهمزة الساكنة الثون ، وهى تزاد بعد لـ لتأكيد الخبر الذى وردت فيه مثـ ، فلما أن جاء الشير لقاء على وجهه فارتدى بصيرا .

(ب) «إن» المكسورة الهمزة الساكنة النون مثل : ما إن ذاكرت ، أصلها ما ذاكرت ، وقد اكتتها «ان».

(٤) « ما » وهي لا تزداد إلا للتوكيد .

جزء سنتة البحتري:

وإذا ما حفظت كنف عزيريا أن أرى غير مصبع حيث أمسى

ومن وصف البارودي لبعض مظاهر شيخوخته :

لا أرى الشئ حين يسنح إلا كخيال كأنني في ضباب
وإذا ما دعيت حررت كأني أسمع الصوت من وراء حجاب
وتقول، جنتك من غير ما ضغط : أى من غير ضغط أى ضغط .
(د) « لا » :

كتبه تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » ، « فلا أقسم بموقع النجوم » .

(لا) زائدة في الآيتين لتأكيد المعنين ، والأصل ، ليعلم أهل الكتاب في الأولى ، وأقسم بموقع النجوم في الثانية .

(ه) - « منْ » وهي تزداد تاكيداً لعموم ما دخلت عليه إذا سبقها نفي مثل « ما جاعنا من بشير ولا نذير » ، « وما تسقط من ورقة إلا يعلمهها » ، « ما ترى في خلق الرحمن من تفاصيل » .

(د) « الباء » فمن استعمالاتها أنها تزداد لتأكيد ما بعدها وهي تزداد كثيراً في الخبر المنفي بليس وبما .

قال معن بن أوس :
ولست بماش ما حبيت لنكر من الأمر لا يمشي إلى مثله مثل
وقال تعالى : « لست عليهم بمسطر » .
وقال سبحانه : « وما الله بغالل عما يعلم الظالمون » صدق الله العظيم (١) .

(١٢) - أسلوب القصر ، لأن جملة القصر بمثابة جملتين ولأنها كذلك تقييد التوكيد وانظر باب القصر .

(١) انظر (علم المعاني) للدكتور درويش الجندي من ٢٧ - ٢٨ ، الطبعة الثانية ٩١٣٨١ - ١٩٦٢ م - القاهرة . و (علم المعاني) للدكتور عبد العزيز عتيق من ٥٨ - ٦٤ .

أغراض الخبر

للخبر غرضان رئيسيان حقيقيان هما :

١ - فائدة الخبر : وهو غرض مباشر ، وذلك إذا كان المخاطب به يجهل مضمونه قبل أن ت قوله له أو قبل أن يقرأه ؛ كأن أقول أو أكتب لمن يجهل ما سأقول أو أكتب : جامعة القاهرة كان اسمها جامعة الملك فؤاد ، وجامعة عين شمس كان اسمها جامعة إبراهيم وجامعة الإسكندرية كان اسمها جامعة فاروق .

وكان أقول في التعريف بنفسه ، اسمى كذا وسنى كذا وجنسى كذا وحصلت من الشهادات على كذا وكذا .

٢ - لازم فائدة الخبر وهو غرض غير مباشر ، وذلك إذا كان المخاطب بالخبر يعلم مضمونه ، ولكنه يجهل أن المتكلم يعلمه ، فقد استفاد المخاطب حينئذ لا الخبر بل ما اقتضاه ولزمته وترتبط عليه وهو علم المتكلم به ، كأن أقول لمن رأيته يسقى حديقته ولم يرني : كنت تسقى حديقتك أمس . ولم سمعت حديثه الإذاعي : سمعتك وأنت تتحدث في الإذاعة ، ولم رأيته في المطار ولم يرني : كنت في المطار صباح اليوم .

هنا لم أفد المخاطبين مسامين الأخبار التي قلتها لهم فهم لاشك يطمونها لأنهم أصحابها ، وإنما أندتهم ما ترتقب عليها وهو رؤيتي لهم ومعرفتي بما كان منهم .

* * *

هذان هما الغرضان الحقيقيان للخبر ..

ولا تقتصر وظيفة الخبر على هذين الغرضين الحقيقيين . بل تتجاوزهما إلى أغراض أخرى تسمى الأغراض البلاغية ، وأغراض الخبر البلاغية كثيرة منها :

١ - الاسترحام والاستعارة :

كان يقول الطالب المحروم من الامتحان بسبب الغياب لعميد كلية :

هذا آخر فصل لي ، وأبني يتضرر تخرجي لأنه فقير وساكون عائل الأسرة بعد التخرج .
كان تفليسى لظروف قاهرة . وكقول المؤمن : إننى فقير إلى عفو الله .

ومن ذلك قول الشاعر يناجى ربى :

فمالى حيلة إلا رجالى لعفوك إن عفت وحسن ظننى
يظن الناس بي خيراً وإنى لشر الناس إن لم تعتن عنى

وقول المتنبي مستعطفاً من حبسه :

دُعُوكَ هنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا
وَالْمَوْتُ مِنْ كَحْبَلِ الْوَدِيدِ

دُعُوكَ لَمَ بِرَانِي الْبَلَاءُ
وَأَوْهَنَ رَجُلَى ثَلَلَ الْمَدِيدُ

وقول إبراهيم بن المهدى يستعطف الخليفة المأمون ويسترحمه :

أَتَيْتُ جَرْمَاً شَنِيعَاً
وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفْوَكَ فَمَنْ
وَإِنْ قَاتَلَتْ فَمَدْلُ

وقول يحيى البرمكي مستعطفاً هارون الرشيد :

إِنَّ الْبَرَامِكَةَ الَّذِي
نَرْمَوْا لَدِيكَ بِدَاهِبِهِ

صَفَرَ الْوَجْهَ عَلَيْهِمْ خَلَعَ الْمَذَلَّةَ بَادِيَهِ

٢ - إِظْهَارُ الْمَنْعَفَةِ :

كتقول الآب المسن لابنه الذى يساعدته على ركوب فرسه : لقد كبرت ، وكتقول الله تعالى
على لسان زكريا عليه السلام « إنى وهن العظم مني واشتغل الرأس شيئاً » وكتقول الشاعر :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَيَلْغَتْهَا
قَدْ أَحْرَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجِمَانِ

وكتقول أبي نواس :

دَبٌ فِي السَّقَامِ سَفَلًا وَعَلَوْا
وَأَرَانِي أَمْوَاتٍ عَضْرَا فَعَسْرَا

٣ - التَّحْسُرُ عَلَى شَيْءٍ مُحِبُوبٍ :

كتقول الله تعالى حكاية عن أم مريم : « إنى وضعتها أنشى » وكتقول الآب الثاكل : « مات
وحيدى وتركتى أصحاب الدنيا بلا أمل » .

وكتقول ابن العم : « رفضتني ابنة عمى وارتضت غيرى » .

وكتقول من لم يوفق في الامتحان : رببت .

ومن ذلك قول المتنبي

أَقْمَتْ بِأَرْضِ مَصْرَ فَلَا وَرَائِي
تَخْبَبْ بِسِ الرَّكَابِ وَلَا أَمَامِي

٤ - تحريرك المهمة والجثث على العمل :

كقول الله تعالى « للذين أحسنوا الحسنة وزيادة » .

وقوله سبحانه « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » .

و قوله عز وجل « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ألقنا بهم نريتهم بما ألتام من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين » .

ومن ذلك قول شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غالبا

وما استعمسى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

وقول الآخر :

وليس أخو الحاجات من بات نائماً ولكن أخوها من يبيت على وجل

وهذه الآقوال الحكيمية :

فليس سواه عالم وجهول .

ومن طلب العلاس هر الليالي .

من عرف قدر ما يطلب ، هان عليه ما يبذل .

٥ - التهريج :

كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مصرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وكقول على بن المقرب :

لأقيم من لأنباء الوفى سرق إقدام وطعن وجلاه

لست من دون شبيب ومحاجة إن يكن عز وإلا فمردئ

وقوله :

سأطلب حق آبائي وحقى ولو من بين أنياب الأفاع

٦ - التجارب:

يقول على مسمع من ضرب ابني : سأرد الصاع صاعين لمن يعتدى على ولدي بعد اليوم ؛ وكقول النبي ﷺ « أبغض الحال إلى الله الطلق » وكهذين القولين الحكيمين : أصحاب البيوت الزجاجية لا يقذفون بيوت الآخرين بالحجارة .
من نخل الناس غربلوه .

ويكقول على بن المقرب :

إن ترى شخصاً لأمر ساكتاً فلعمري إن قلبي في طرائد رب ذي هم تراه مطراقاً وهو في إطراقه حياة واد
٧ - النجح :

مثل : التاجر الأمين يقبل الناس على الشراء منه .

ويكقول الشاعر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العرف بين الله والناس
وكم هذه الأقوال الحكيمية :

« ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك » ، « من نصحك أمام الناس فقد شتمك » ، « العاقل من لا يؤخر عمل اليوم إلى الغد » ، « أن ترد الماء بما أرفق » .

٨ - التوبیغ المحض :

يقول مسلم مكلف لا يصلح « الصلاة فريضة على كل مسلم و المسلم » والشخص لا يهتم بنظافة جسمه وملابسـه : « النظافة من الإيمان » ، ولن يصلحـ بمـكـ نهـارـاً : « الشمس طالعة » ومن ذلك قول الحواسـية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشئت بي من كان ليك يوم
وكالتوبـ المحـضـ ، التوبـ المحـضـ المـبـطـنـ بالـتهـكمـ كـقولـ لـمنـ خـانـ عـهـدـيـ :
« أنت فيـ جـداـ ياـ صـديـقـيـ » ، ولاـ يـقـيـنـيـ الـذـيـ لـاـ يـرـاسـلـنـيـ : « رسـائـلـكـ كـالـمـطرـ » .

٩ - الفخر:

كقول عمرو بن كلثوم :

ويشرب إن وردنا الماء صفوا
تخر له الجبابر ساجدينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا
إذا بلغ الطعام لنا رضيع

وقول الفرزدق :

نرى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أمنا إلى الناس وقفوا

وقول جرير :
إذا غضبت عليك بني تميم رأيت الناس كلهم غصابا

وقول أبي فراس الحمداني :

إنما إذا اشتد الزما
الفيت حول بيوتنا
للقاع العدا بيض السيو
هذا وهذا دأبنا

وقول حافظ إبراهيم على لسان مصر :
أنا إن قدر الإله مماثل
وعلى لسان اللغة العربية :

وسمعت كتاب الله لفظاً وغاية
١٠ - المريح :

كقول النابغة :

فإنك شمس الملوك كواكب

وقول زمير بن أبي سلمى :

وأبيض فياض يداء غمامات
تراء إذا ما جئت متهلاً

وقول المتنبي :

أرى كل ذي ملك إليك مصيري
إذا مطرت منهم ومنك سحائب فوابهم طل وطل وابل

١١ - الهجاء :

كتولنا : فلان انحط في سلوكه إلى درجة يخجل منها نوره .

ويكتول الشاعر :

عوى الذنب فاستأنست بالذنب إذ عوى
وسموت إنسان فكدت أطير

وقول علي بن المقرب في هجاء بطانة الحكام العيونيين :

وما منهم إلا مهين رمت به

أبوة سوء من إماء جلائب
آخر مومن أو صنواها أو حلبلها

فقد حُفَّ بالسوءات من كل جانب

وما زال نتن الفيم والأصل مولعاً

ببغضاء أرباب العلا والمناقب

١٢ - الرثاء :

كتول ابن المقرب أيضاً :

رزئت ملوكاً لو بكيت لفقدهم دماً ما كفانى عمرو نوح ولقمان
بهم كنت أرمى من رمانى وأتقى بهم ناثبات الدهر من حيث تلقاني

وكتولنا : كان فلان رحمة الله برأ بأمه وأقاربه عطوفاً على الفقراء والمساكين .

١٣ - التحسين :

وهو ضرب من المدح كقولك لحاتك ثيابك :

من يرى الثياب التي تخيطها يخالفها مستوردة ، أو من أرقى ببيوت الأزياء .

١٤ - التقبیح :

وهو ضرب من الهجاء كقول الشاعر :

وإذا أشار محدثاً فكانه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وكتولي لجارى الذى لامنى لأن رأيت زوجته : لقد رأيت خنفساً عرضياً لا قصداً .

١٥ - إلظهار الفرج :

كتول الشاعر :

هنا محاذاك العزاء المقدما

فما عبس المحزون حتى تبسمـا

وكل قول الطالب الناجع : نجحت .

* * *

انتهت أغراض الخبر ب نوعيها الحقيقى والبلاغى .

ويحسن التتبّي إلى أن الفرض الأول من النوع الأول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر .

أما الفرض الثاني من النوع الأول ، وأغراض النوع الثاني كلها فإن دلالة الخبر عليها تبعية لا أصلية .

* * *

كما يحسن التتبّي إلى أن الجملة من وجهة نظر علم المعانى تنقسم إلى جملة رئيسية وهي الجملة المستقلة التي لا تكون قيداً في غيرها ، وإلى جملة غير رئيسية (فرعية) وهي التي تكون قيداً في غيرها وليس مستقلة بنفسها .

ففي المثال : جاء محمد يضحك أو هو يضحك .

جملة جاء محمد هي الجملة الرئيسية : لأنها مقصودة لذاتها ، وهي لهذا ليست قيداً في غيرها ، أما جملة (يضحك) أو (وهو يضحك) فهي الجملة غير الرئيسية ، لأنها ليست مقصودة لذاتها ، بل لتبيّن حال محمد وقت مجيئه وهي بهذا أو لهذا قيد في الجملة الرئيسية .

وفي المثال : إمام المسجد شيخ تقدمت به السن .

(جملة « إمام المسجد شيخ » هي الجملة الرئيسية : لأنها مقصودة لذاتها وليس قيداً في غيرها ، وجعلة « تقدمت به السن » هي الجملة غير الرئيسية لأنها غير مقصودة لذاتها بل لتبيّن صفة الشيخ ، وهي بهذا أو لهذا قيد في الجملة الرئيسية .

* * *

والأهمية أو عدم الأهمية ، هذه أو تلك غير مرتبطة بكون الجملة أصلية أو فرعية ، فقد تكون الجملة فرعية وهي في غاية الأهمية وقد تكون الجملة أصلية وهي أقل أهمية .

* * *

الإسناد الإنساني

مدخل

سبق القول بأن الكلام إما خبر وإما إنشاء، وقد فرقنا من الكلام على القسم الأول وهو الخبر، ونحن الآن مع القسم الثاني، وقد سماه السكاكي الطلب أما القزويني فسماه الإنشاء، ولا خلاف بين التسميتين، فالسكاكي يقول: «والطلب إذا تأملت نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول»^(١).

والقزويني يقول: «الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتلاع تحصيل الحاصل، وهو المقصود بالنظر هنا»^(٢).

ونفهم من عبارة «وهو المقصود بالنظر هنا» أن غير الطلب غير مقصود بالنظر في علم المعانى، ولأنه كذلك أهمله القزويني فلم يعرّف به ولم يمثل له، قالوا: لقلة المباحث البلاعية المتعلقة به، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء^(٣).

وإذا كان القزويني لم يتطرق إلى غير الطلب فإن أكثر البالغين بعده قد تطرقوا إليه ولعلهم فعلوا ذلك تمييزاً له عن الإنشاء الشتبي، أو تمييزاً للإنشاء الطلب عنه ومسنسلك هنا مسلكهم . والله الموفق.

الإنشاء:

الإنشاء - طلباً أو غير طلب - هو الكلام الذي لا يحتمل صدقأً ولا كذباً ، لأنه لا يخبر بحصول شيء أو عدم حصوله فيكون له واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه وإنما هو طلب على سبيل الإيجاب مثل : اجتهد ، أو على سبيل السلب مثل : لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد .

وعدم احتمال الجملة الإنسانية للصدق والكذب إنما هو بالنظر إلى ذات الجملة الإنسانية ، وليس بالنظر إلى ما تستلزم من خبر ، ذلك أن كل أنواع الإنشاء تستلزم أخباراً تحتل الصدق والكذب ، فقولي لابني (ذاكر) يستلزم خبراً هو (إنى أطلب منك أن تذاكر) وقولي لابني (لا تصاحب الأشرار) يستلزم خبراً هو (إنى أنهاك عن مصاحبة

(١) مفتاح العلوم ص ١٤٥ .

(٢) بغية الإيضاح ج ٢ من ٥٢ .

(٣) بغية الإيضاح ج ٢ هامش رقم ٢ .

الأشرار) وقولى لابنى (هل أنجزت واجباتك المدرسية ؟) يستلزم خبراً هو (إنى أسائلك عن موقفك من واجباتك المدرسية) .

وقولى لابنى (لعلك تنجح ولستك تتفوق) يستلزم خبرين اثنين هما (إنى أرجو نجاحك فأتمنى تفوقك) .

وندائى ابني بقولى (يا محمد) يستلزم خبراً هو (أطلب مجيئك) .

وقولى (ما أجمل الحديقة) يستلزم خبراً هو (إنى معجب بجمال الحديقة) .

وقولى (نعم الابن محمد) يستلزم خبراً هو (أنا أمدح ابني محمداً) الخ .

والأخبار المنشقة عن أنواع الإنشاء السابقة تحتمل الصدق والكذب ، لكن هذه الأخبار غير مقصودة المتكلم ، ومقصود المتكلم إنما هو أنواع الإنشاء مجرد عما تستلزمها من أخبار ، وهذا هو معنى (لذاته) فى قولنا : « إن الإنشاء هو الكلام الذى لا يحتمل الصدق والكذب لذاته » أى : لذات الكلام الإنسانى نفسه بصرف النظر عما يستتبعه من جمل خبرية لا يصح - وتحن ندرس الإنشاء - أن تلقت إليها .

* * *

والإنشاء - كما سبق القول - نوعان طلبى وغير طلبى .

فالطلبى هو ما يطلب به حصول شىء لم يكن موجوداً عند الطلب وهو الأمر والنهى والاستفهام والرجاء والتمنى والنداء .

وإذا استعمل الإنشاء الطلبى فى طلب شىء حاصل قبل طلبه وجب تأويله وجعله غير حقيقى ؛ لامتناع تحصيل الحاصل كما قال القزوينى :

ففى قوله تعالى : « يائيا النبي اتق الله » وقوله تعالى : « يائيا الذين آمنوا بالله ورسوله » يقول الأمر فى الآيتين الكريمتين إلى طلب دوام التقوى حتى يصل النبي عليه السلام إلى الدرجة القصوى من التقوى ، وإلى طلب دوام الإيمان حتى يصل المؤمنون إلى درجة عالية من الإيمان .

أما غير الطلبى فهو مالا يطلب به حصول شىء أو عدم حصوله .

وأساليب الإنشاء غير الطلبى كثيرة منها :

١ - صيغ المدح والذم :

وهي نعم وبئس وحينا ولا حبذا ، قال زهير بن أبي سلمى :

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع لها وزراً

وقال تعالى : « ينس الاسم الفسوق بعد الإيمان » ، وقال الشاعر :

إلا حبذا عاذرى في الهوى ولا حبذا العاذل الجاهم

وقد قيل إن صيغ المدح والذم أخبار تحتمل الصدق والكذب بدليل ما رواه من أن أعرابياً
بشر ببنت فقيل له : « نعمت المولودة » فقال : « والله ما هي بنعمت المولودة » .

وأجدني ميالاً إلى هذا الرأى ولا عجب ؛ فالحس الأدبي يشهد له .

٢ - القسـر :

وقد سبق حصر حروفه في الباء والواو والباء .

فالباء مثل : أقسم بالله إنى مخلص لك .

والواو مثل « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان فى
أحسن تقويم » .

والباء مثل : « تالله لقد أثرك الله علينا » .

ومن الصيغة (لعام) مضافة إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير .

مثل : لعمر الله أو لعمرك إنى أحبك .

٣ - التمجـب :

بصيغته القياسية (ما أفعله وأفعل به) أو بصيغة السمعية .

مثال الصيغة القياسية الأولى قول شقران الهزيمي :

أولئك قوم بارك الله فيهم على كل حال ما أعنف وأكرما

ومثال الصيغة القياسية الثانية قول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » .

ومن الصيغة التعجبية السمعية : ليت شعرى ، والله درك ، والله أكبر وسبحان الله .

٤ - صيغ الحقـر :

مثل : أجررت واستأجرت ويعت واشترت ووهبت ورهنت .

٥ - الجمل المضطربة بربه أو بكم الخبرية :

لدلالة (رب) و (كم) الخبرية على إنشاء التقليل أو التكثير . قالت العرب : « رب عجلة تهب ريثاً ، ورب ضارة نافعة ، ورب أخ لك لم تلد أمك » ، وتقول أنت لزميلك : كم زرتك ولم تزرنى

ويقول المتبنى :

كم تطلبوون لنا عيباً فیعجزكم ويکروه اللہ ما تأتون والکرم

وقد قيل في هذه الجمل ما قيل في صيغ المدح والذم من أنها أخبار تحتمل الصدق والكذب وأقول هنا ما قلت هناك من أننى ميال إلى هذا الرأى بل متحمس له، ولا عجب فالخبرية فيه واضحة كالشمس.

والفرق بين الإنشاعين الطلبى وغير الطلبى : أن الإنشاء الطلبى يتاخر وجود معناه قليلاً أو كثيراً عن وجود لفظه ، وبعبارة مختصرة : يسبق التلفظ به الامتنال له .

فقولى لابنى (ذاكر) منفصل زماناً عن تنفيذه لهذا الأمر .

فالأمر الآن ، والمذاكرة فى الزمن الذى يلى ذلك قريباً أو بعيداً .

أما الإنشاء غير الطلبى فيتحقق مدلوله بمجرد النطق به ، فإذا قلت : بعثت .

يتتحقق البيع بلا فارق زمنى بين التلفظ ووقوع البيع ، وإذا قلت لشخص : زوجتك ابنتى أكون قد زوجتها له ولم يبق إلا أن يقول هو « قبلت » فإذا قالها تكون ابنتى قد صارت زوجته .

* * *

وأنبه إلى أننى قد ذكرت الترجى فى الإنشاء الطلبى ، ولم أذكره فى الإنشاء غير الطلبى وهذا هو رأىي ، فلا فرق عندي بين التمنى والترجى من حيث أن كلامهما إنشاء طلبى ، وإذا كان ثمة فرق فهو لمصلحة الترجى ؛ ذلك أن التمنى : طلب المستحيل أو الممكن البعيد .

الأول مثل : ليت الشباب يعود ، والثانى مثل « يا ليت لنا مثلكما أوتي قارون » .

أما الترجى : فطلب الممكن القريب مثل : لعلى أنجح .

وإذا كان التمنى والترجى يشتركان فى أنهما طلب فلا وجه لفصل أحدهما عن الآخر

يجعل التمنى إنشاء طلبياً والترجي إنشاء غير طبقي ، علماً بأن مفهوم كل منها يجعل الترجي أدخل في الإنشاء الطلبى من التمنى ، لأنه أقرب إلى التحقق من التمنى ، وبناء عليه يكون الطلب به طلباً لمأمول لا طلباً لمستحيل أو لم肯 غير مأمول .
 وأليست في هذا الرأى وحدى بل معى كثير من البلاغيين قدماً ومحدثين .

* * *

ومن طريق ما قرأت في تبرير جعل الترجي من الإنشاء غير الطلبى قول الشيخ عبد المتعال الصعیدي : « ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى في المکروه نحو لعل الحبيب مريض ولا طلب في المکروه »^(١) .

أما أنه لا طلب فيه ، فالمعنى اللغوى للرجاء ينفيه ، جاء في أساس البلاغة مادة (رجو) : « أرجو من الله المغفرة ، ورجوت في ولدى الرشد ، وأتته رجاء أن يحسن إلى » .
 ومن الدليل على أن الرجاء كالتمنى في أن كلاًً منهما طلبى قول الزمخشري عاطفاً على ما سبق : « ورجيتك حتى ترجيت لكواك : منيتك حتى تمنيت » .
 أما (لعل الحبيب مريض) .

فالرجاء هنا يبلغى بمعنى الخشية والخوف ، لكنه قال : أخشى أو أخاف أن يكون الحبيب مريضاً ، وما هوذا الزمخشري يعطى ثانية بقوله : « ومن المجاز استعمال الرجاء في معنى الخوف »^(٢) .

* * *

والآن مع دراسة مفصلة لأنواع الإنشاء الطلبى .

١ - الأمر

الأمر : هو طلب حصول الفعل .

لا أقول : على جهة الاستعلام كما قال السكاكي والقزويني وسائر البلاغيين قدماً ومحدثين^(٣) بل أقتصر على قولى إن الأمر هو طلب حصول الفعل ، ذلك أنتا ندرسه من

(١) بفتحية الإيضاح ج ٢ ص ٥٣ هامش رقم ٢ / .

(٢) أساس البلاغة ص ١٧٥ .

(٣) المفتاح ص ١٥٢ وبفتحية الإيضاح ج ٢ ص ٧٤ .

وجهة نظر البلاغة والأمر البلاغي أكثر من الأمر الحقيقى كما سترى ، ثم إننى لن أقتصر في حق الأمر على سبيل الاستعلاء بل سأبدأ به : لأنه الأمر الحقيقى ، فلن يكون على سبيل الاستعلاء فقط ، بل على سبيل الاستعلاء والإلزام ، فإذا تحقق هذان الشرطان كان الأمر حقيقياً ، أما إذا تخلفا كلاهما أو أحدهما فإن الأمر حينئذ يخرج عن معناه الحقيقى ويكون أمراً يلاغياً .

وَقَبْلَ أَنْ نُشْرِحَ ذَلِكَ نَذْكُرُ :

شيخ الأصر وهي

٤ - فعل الأمر:

كتولى لابنى : ذاكر دروسك وحافظ على تفوقك ، وكتقول الله تعالى لمريم : « فلكي واشربي وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقللي : إني نذرت للرحمٌن صوماً » .

٢ - المختار المقترن بلام الأمر :

قول الله تعالى: «فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعهم من جوع وأمنهم من خوف » .
وقوله تعالى: «لينتفق نو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه لينتفق مما أتاه الله » .

٣ - المصدار النائب عن فعل الأمر:

كقول الله تعالى : « ويلواالدين إحساناً » وقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقب » وكقول قطرى بن الفجامة :

فصبرا فى مجال الموت صبرا
فما نيل الفلود بمستطاع

ع - أسر فحل الامر:

قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » فـ (عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا) وكقولك لزميلك (صه) بمعنى اسكت و (مه) بمعنى اكف ، و (بله) بمعنى دع و (دونك) بمعنى خذ ، و (رويد) بمعنى أمهل . قال الشاعر :

رويد الذى محضت الود حافياً إذا ما هفا حتى يظل أخاً لك

الأمر الحقيقى

سيقت الاشارة إلى أن الأمر الحقيقي هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء والإلزام .

كقول الضابط لجنوده في ساحة القتال : تقدموا وأضربوا .

وَكَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى مُخَاطِبًا مُحَمَّدًا مَثَلَّتُهُ « خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدْقَةً تَطْهِيرَهُمْ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا الْمُؤْمِنِينَ « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » ، فَقَدْ جَاءَتْ أَفْعَالُ الْأَمْرِ فِي الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعْلَاءِ أَوْ لَا ، وَعَلَى سَبِيلِ الْإِلَزَامِ ثَانِيًّا ، وَهِيَ لِذَلِكَ مِنْ نَوْعِ الْأَمْرِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ نَعْرِفَ بِأَنَّهُ طَلَبَ الْفَعْلَ عَلَى وِجْهِ الْاسْتِعْلَاءِ وَعَلَى وِجْهِ الْإِلَزَامِ .

الْأَمْرُ الْبِلَاغِيُّ

فإذا اختل الشرطان السابقان كلاهما أو أحدهما لم تدل صيغ الأمر على معانيها الحقيقة وإنما تدل على معانٍ بلاحقة نهتدى إليها بنوينا ويسياق الكلام وقرائن الأحوال .
والمعاني البلاعنة للأمر كثيرة منها :

الطباطبائي

وهو يتحقق إذا كان الأمر من أدنى إلى أعلى كقول العبد مخاطبًا ربه : افتح لي أبواب الرزق واجعلني من المقبولين ، ومنه : « اهدا الصراط المستقيم » ، « رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأحلل عقدة من لسانني يفشعوا قولي » .

وقول المتنبئ، مخاطباً سيف الدولة:

أزل حسد الصاد عنى بكبتهم
فأنت الذى صيرتهم لى حسدا
ودع كل صوت غير صوتي فإنما
أنا الطائر المحلى والأخر المصدى

وهو يتحقق إذا كان الأمر من أعلى إلى أدنى لكن لا على سبيل الإلزام ، أو كان من كلام الحكماء .

الأول : كقولي لابني « تم مبكراً لستيقظ مبكراً » وكقول خالد بن صفوان لابنه : « دع أعمال السر ما لا يصلح لك في العاذنة ». .

والثاني ، كهذا البيت :

فطالما استعبد الإنسان إحسان

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

وكمذئن البيتين :

يوماً وإن كنت من أهل المشورات

شاور سواك إذا نابتك ناثبة

وارغب بنفسك عن ردى اللذات

واخفض جناحك إن منحت إمارة

٣ - الآلات manus :

وذلك إذا كان الأمر موجهاً إلى مساواة كقول أمرى القيس :

بسقط اللوى بين الدخول فحمل

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وكقول محمود سامي البارودى :

عن ملامى وخليانى وما بسى

يا نديمى من سرندىس كفا

وكقول شاعر لصاحبته :

أنطق الصخر أرتقى للسماء

شجعىنى على الجهاد ترينى

د مقىما ياربى الإيحاء

علمىنى معنى الطلاقة والخل

ت وألقى على ثوب الرضا

طهرينى بفيض قدسك ما اسطع

لك شعراً يموج مرج الفباء

وارفعينى إلى سمائك أنشد

كل لحن معبر عن وفائي

وأفيضى على بالوحى أبدع

٤ - التمنى :

وهو يتحقق إذا كان الأمر موجهاً إلى مالا يعقل ، كقول أمرى القيس :

ألا أليها الليل الطويل ألا انجل

بصبع وما الإصباح منك بأمثل

وكقول عنترة :

يادار عبلة بالجواباء تكلمى

وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

وكل قول أبي العلاء :

في أياموت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

وكل قول ابن زيدون :

ويا نسيم المصبا بلغ تحبتنا من لو على بعد حبي كان يحيينا

وكل قول البهاء زهير :

يا ليل طل يا شوق دم إنى على المالين صابر

٥ - التمجيز :

وهو أمر المخاطب بما يعجز عنه إظهاراً لضعفه عن القيام به كثواك لمن يدع عن أمراً تعتقد أنه ليس في وسعه (افعله) ، وكل قول الله تعالى : « فاتوا بسورة من مثله » وقوله تعالى : « يا معاشر الجن والإنس إن استطعتم أن تتفنوا من أقطار السموات والأرض فانتفنوا لا تتفنون إلا بسلطان ». .

وكل قول الشاعر :

أروني بخيلاً طال عمرًا ببخله وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

٦ - التهريج :

وذلك إذا كان الأمر قد أمر بما هو غير راض عنه كقولي لأبني : تزوجها وساحرها من الميراث ، أو : سافر ولست أبني ، وكل قول الله تعالى : « اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » وقوله تعالى « فتعمدوا فسوف تعلمون » وقوله تعالى : « قل تعمدوا فإن مصيركم إلى النار ». .

٧ - الإباحة :

وهي تتحقق إذا كان المخاطب يتهم أن المأمور به محظور عليه فيكون الأمر إذنأ له بفعله ولا حرج عليه في تركه ، وقد استحسن القزويني في التمثيل لها قول كثير :

أسيئنا بنا أو أحسننا لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقتلت (١)

(١) تقتلت : فعل ماض مسند إلى ضمير المؤنث من القول وهو البغض ، وفيه التذكرة من الخطاب إلى الغيبة.

ثم مضى فعلى عليه بتلبه : أى لا أنت ملومه ولا مقلية ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت في حقى من الإساءة والإحسان فاتنا راض به غاية الرضا ، فعاملينى بهما وانظرى : هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟ ^(١)

ولعل أبا فراس قد نظر إلى بيت كثير وهو يقول في الفرض نفسه معاذًا سيف الدولة :

فقل ما شئت في قلبي لسان ملىء بالثناء عليك رطب
وعاملنى بإنصاف وظلم تجدنى في الجميع كما تحب

٨ - التسوية :

وهي تتحقق إذا كان المخاطب بصيغة الأمر يتهم رجحان أحد الشيئين على الآخر كقول الله تعالى : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » وقوله تعالى : « اصبروا أو لا تصبروا » وقتل المتنبي :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البناد

٩ - الإهانة :

وهي تتحقق باستعمال صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ويكون قصد من الأمر إلى فعل ما أمر به .

والمأمور به في الإهانة يكون خسيساً أو لا ، وغير مقدور عليه ثانياً كقوله تعالى : « كونوا حجارة أو حديداً » وقوله تعالى : « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

١ - التحقير :

تقال هو قريب من الإهانة ، وقيل مما يعني واحد : ومثاله قول الله تعالى على لسان موسى لسحرة فرعون « ألقوا ما أنتم ملقون » وقول جرير في تحذير قوم فرزدق :

**خذوا كحلاً ومجمرةً وعطرًا فلستم يا فرزدق بالرجال
وشموا ريح عيتكم فلستم بأصحاب العناق ولا النزال**

(١) بنية الإيضاح ج ٢ من ٧٤ - ٧٥ .

١١ - التسخير:

أى جعل الشئ مسخراً ومتقاداً لما أمر به .

وهو يتحقق إذا وجد المأمور نفسه قد تحول دون إرادة منه إلى ما أمر به كقول الله تعالى: «كونوا قردة خاسدين» .

فما أمر الله تعالى به قد وقع للمأمورين ، إذ تحولوا من آدميين إلى قردة دون أن يكون لهم دخل في هذا التحول بالإيجاب أو السلب ، والفرق بين الإهانة والتسيير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به أما التسيير فيحصل معه المأمور به .

١٢ - الخبر:

وهو يتحقق إذا كان الفظ أمراً والمعنى خبراً كقوله تعالى : « فليضحكوا قليلاً ، ولنيلوكوا كثيراً » ، إذ المعنى أنهم سيفضحون قليلاً وسيكون كثيراً .

١٣ - التسلية:

وهو يتحقق إذا جاءت صيغة الأمر بمعنى التقويض كقول الله تعالى : « فاقض ما أنت قاض » أى افعل ما تشاء ، وقوله تعالى : « ثم امضوا إلى ولا تنتظرون » أى اعملوا ما أنت بصادره .

١٤ - التجسيير:

كقول الله تعالى : « قل موتوا بغيطكم » ، وكقول جرير :

موتوا من الغيط غمّاً في جزيرتكم لن تقطعوا بطن واد دونه مضر

١٥ - التخيير:

وهو يتحقق إذا كان الأمر مقصوداً به تخدير المخاطب بين شئين أو أكثر مع عدم السماح له بالجمع بين هذين الأمرين أو بين هذه الأمور ، كقولي لابني : تنزق عائشة أو أختها ، ريكولي له بمناسبة نجاحه : اختر هدية أو رحلة أو مبلغاً من المال ، ومن التخيير قول بشار :

عش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارب ذنب مرةً ومجانبه
وقول مهيار :

عيش إما قرین آخر وفيه أمين الفيب أو عيش الوحداد

٢ - النهي

النهي هو طلب الكف عن الفعل .

والفرق بينه وبين الأمر ، أن الأمر طلب فعل ، أما النهي فطلب ترك ، ويمكن القول بأن الأمر إيجاب والنهي سلب .

والنهي صيغة واحدة هي المضارع المترون بلا النافية مثل : لا تلق التبع فيما أصابك على غيرك .

والنهي نهيان : نهى حقيقي ، ونهي بلا غنى .

فالنهي الحقيقي : هو ما كان من الأدنى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام كقول القائد لجنوده : لا تتركوا أماناتكم ولا تغفلوا عن عدوكم ولا تتطلقوا النار إلا إذا أمرتكم ، وكقول الله تعالى : « ولا تمنوا أنفسكم ولا تتباهوا بالألقاب » . وقوله تعالى : « ولا تكتروا الشهادة » . وقوله تعالى : « ولا تجسسو ولا يغتب بعضكم بعضاً » . وقوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن » . وقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخنوا بطانة من دونكم » . وقوله تعالى : « ولا يأتئ أولو الفضل منكم والسعنة أن يفتو أهل القربي ... » .

ولا يكون النهي بلا غنى إلا إذا تخلف الشرطان السابقان وهما الاستعلاء والإلزام كلامها أو أحدهما ، ومن الأغراض البلاغية للنهي ما يأتي :

١ - المكابدة :

وذلك إذا كان من أدنى إلى أعلى ، كقول الله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسيينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرأ كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » . وقوله تعالى : « ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا » .

وقول النابغة للنعمان بن المثذر :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلني به القار أجرب
وقول كعب بن زمير للنبي ﷺ :

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل

٢ - النصح :

وذلك إذا كان النهي صادراً من أعلى إلى أدنى لكن ليس على سبيل الإلزام أو كان نهياً من ذي خبرة .

الأول : كقولي لابنى لا تتدخل فيما لا يعنيك ، ولا تتبع عورات الناس
 والثانى : كقول بشار
 ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقوادم
 وقول المتنبى :
 إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
 وقولى أبى العلاء :
 ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإن خلائق السفهاء تعدى
 وقول الطغراوى :
 لا تطمحن إلى المراتب قبل أن تتكامل الأدوات والأسباب
 وقول علي بن المقرب :
 ولا تفند كريماً عن سجيته حسن السجيات من رب العلا نحل
 وقوله :
 ولا ترهب الخطب الجليل لهوله فطعم المنايا كييفما ذقت واحد
 وقول شوقى :
 لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم فمصيبة الإسلام من جهاله
 وقول آخر :
 عيونك لا تنظر بها عورة امرئ فكلك عورات وللناس أعين
 ومن التوجيه العام قول خالد بن صفوان : « لا تطلبوا الحاجات فى غير حينها ،
 ولا تطلبواها من غير أهلها ». .
٣ - الآلتمانس :
 وذلك إذا كان النهى موجهاً إلى مساوٍ، كقول هارون لأخوه موسى : « يا بن آم لا تأخذ
 بالحيثى ولا برأسى » وقول المتنبى :
 فلا تبلفاء ما أقول فإنه شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

وقول أبي العلاء :

لا تطويوا السر عن يوم نائية فإن ذلك ذنب غير مفتر

وقول الغزى :

ولا تثقلوا جيدى بمنة جاهل أروح بها مثل الحمام مطروقا

وقول على بن المقرب على لسان من جرده من نفسه :

ولا تثنن عطفاً للديار وكن فتى يهم فيمضي في المهمات مقدما

٤ - التمنى :

وذلك إذا كان النهى موجهاً إلى غير العاقل كقولك : لا تهبي يا رياح ولا تغري
يا شمس . وكقول النساء :

أعيني جوداً ولا تجمداً لا تبكبان لمصفر الندى

وقول أبي نواس :

يا ناق لا تسأم أو تبلغى ملكاً تقبيل راحته والركن سيان

وهذه الأبيات :

إيه يا طير لا تفسن بلحن ينقذ النفس من هموم كثيرة

.....
يا قلب لا تنشر أساك ولا تطف بالذكريات وجوهن المحرق
سوداء تنهش كالمغيظ المحنق

لا تنخض الأوجاع من أوكارها

.....
يا ليل طل يا نوم ذل يا صبح قف لا تطلع

٥ - التوبية :

وذلك إذا كان النهى عنه شيئاً يحط من شأن صاحبه ويستوجب لومه وتنبيه كقول الله تعالى : « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم » وكقول أبي الأسود الدؤلي :
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

٦ - التقدير :

وذلك إذا كان النهى مقصداً به إهانة المخاطب وتحقيره كقول الحطيبة الزبير قان بن بدن:
دع المكارم لا ترحل لبفيتها واقعد فإنا لك أنت الطاعم الكاسي

وقول الشاعر :

لا تعرضن لجمفر متشبها بندى يديه فلست من أنداده

وقول الشاعر :

لا تطلب المجد إن المجد سلم صعب وعش مستريحاً ناعم البال

٧ - التمجيز، وقط يسمى التيئيس :

كقولك لمن يحاول حل مسألة صعبة : لا تحاول فقد عجز عن حلها كل الطلبة ، وكقول الله تعالى : « لا تعذروا قد كفرتكم بعد إيمانكم » .

وكتقول المتبنى في سيف الدولة :

لا تطلبن كريماً بعد رفيته إن الكرام بأسفاهم يداً ختموا

وقول الآخر :

لا تطلب المجد واقنع فمطلوب المجد صعب

٨ - التهديد :

وهو يتحقق إذا قصد المتكلم تخويف المخاطب وتحذيره من مغبة تصرفه الخاطئ ، كقولك لمن يوink : لا تمثل أمري وسترى . وكتقول قاطع الطريق لشخصيته : « إن كنت تريد الحياة فلا تستثث ولا تحرك ساكناً » وقول الزوج لزوجته : لا يطمعنك سكوتى عنك .

٣- الاستفهام

الاستفهام بمعناه الاشتقاقى المباشر هو طلب الفهم قالوا : « من جزع من الاستبهام فزع إلى الاستفهام » .

أما البلاطغون فقد عرفوه بأنه طلب حصول صورة الشئ فى الذهن بأدوات مخصوصة .

وبعبارة عصرية واضحة : هو طلب العلم بشئ لم يكن معلوماً من قبل .

والمعنى المستكן فيما سبق أو لما سبق إنما هو الاستفهام الحقيقى ، وهو سؤال الإنسان عما يجهله ليعلمه ، وإذا كان كذلك فإنه يتنتظر من يسأله جواباً عن سؤاله .

ولعل تلك الحالة أن تكون أسهل شئ وأيسره في كلام السكاكي والقرنيشى ومن أبهم إيهامها .

ومما يثير الشجن أن بعضًا من لم تدركهم حرفة البلاغة قد دلّجوا ليلها فاصابوه ما توعدهم به الزمخشري في قوله : « من أراد الفرج فعليه بالدلنج »^(١)

ومصيبيتنا أن فلجهم قد أصاب كتبهم فجاءت خرساء بكماء غلقة ثلج فيها فتخرج منها كما دخلتها يصدق عليك المثل « رجع بخفي حنين »

ولا عجب ، فقد قلَّ منْ أُوتِيَ أَنْ يَفْهَمُ وَيُفْهَمُ ، ومنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ أُتِيَ مِنْ سُوءِ الإِفْهَامِ .

ومنعذرة عن هذه النفحة فلابد للمصدور أن ينفث ، وقد كان ما سبق نفحة مصدور معنور في نفثه .

أدوات الاستفهام

بمناسبة أدوات الاستفهام أقلل : إن من تداخل المتنطق في البلاغة ما سمعه التصديق وهو تصصور النسبة وما سمعه التصور وهو إدراك المفرد .

والغريب أن النسبة تعنى الإسناد وأن المفرد يعني واحداً من طرفي الإسناد أو متعلقات المسند ، ووجه الغرابة أن الإسناد هو المصطلح البلاغى لثبت شئ لشئ أو نفيه عنه ، كما أن المسند إليه والمسند ومتعلقات المسند – إن وجدت – كلها مصطلحات بلاغية ، فلماذا – وهم يتكلمون في البلاغة – لا يسمون الأشياء بأسمائها البلاغية ؟

لا جواب لذلك إلا أن نقول : إنه الفزو التترى من العلوم الأخرى للبلاغة ، وإنه وقوع البلاغيين تحت تأثير العلوم الأخرى ، ولو لم يكن الأمر كذلك لسموا التصديق إسناداً وأسموا التصور مسندأً أو مسندأً إليه .

ولما كانت بقصد البلاغة الاصطلاحية أولاً ، فأ يريد أن يفهم عن ثانياً ، فإني سأبذل جهدى في تنقية البلاغة مما علق بها ليطابق اسم الكتاب مساماه ، أو ليطابق الكتاب اسمه .

((١)). أساس البلاغة ص ١١٢ .

وأكملت الاستفهام لهي :

١ - الهمزة

ولها ثلاثة استعمالات هي :

(١) السؤال بها عن جزء الجملة لا عن كل الجملة ، وبعبارة أخرى : السؤال بها عن جزء من أجزاء الإسناد وليس عن الإسناد كله .

وهذا الجزء المسئول عنه بالهمزة في استعمالها الأول :

إما أن يكون المسند إليه مثل : أم محمد الناجح أم أحمد ؟

ولما أن يكون المسند مثل : أنجع محمد أم رسب ؟

ولما أن يكون المفعول به مثل : أتفاحاً أكلت أم برتقالاً ؟

ولما أن يكون الحال مثل : أراكباً جنت أم ماشياً ؟

ولما أن يكون ظرف الزمان مثل : أيام الخميس ت safir أم يوم الجمعة ؟

ولما أن يكون ظرف المكان مثل : أعندي فيصل أم عند علاء ثلثي ؟

ولما أن يكون الجار وال مجرور مثل : أفي المسجد أم في المنزل والدك ؟

ويلزم في هذا الاستعمال أن يأتي المسند عنه بعد الهمزة مباشرة كما في الأمثلة السابقة وهو لزوم مطرد ، فإذا تخلف كان تخلفه خطأ .

ثم غالباً ما يذكر للمسند عنه بالهمزة في هذا الاستعمال معادل بعد (أم) كالأمثلة السابقة ومن غير الغالب قول الله تعالى : « أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم ؟ أى أم غيرك ؟ »

وكقول أبي نؤيب الهدلى :

دعانى إليها القلب إني لأمره سميع فما أدرى أرشد طلابها
أى أم غنى .

ويجاب عن السؤال في هذا الاستعمال بالتعيين .

نقول في جواب السؤال الأول : محمد ، وفي جواب السؤال الثاني : نجح ، وفي جواب السؤال الثالث : تفاحاً ، وفي جواب السؤال الرابع : راكباً وهكذا .

(ب) السؤال بالهمزة عن كل الجملة أى عن الإسناد الموجود بين المستند والمستند إليه في الجملة يقول الوالد لولده : أَنْجَحْتَ فِي الْامْتِحَانِ يَا بْنِي ؟ .

هنا لا يسأل الأب عن النجاح في مقابلة الرسوب ، ولا عن ابنه في مقابلة غيره ، وإنما يسأل عن تحقق النجاح لابنه أو عدم تتحققه ، أى عن إسناد النجاح لابنه أو عدم إسناده إليه .

ونقول في الجواب عن السؤال في هذا الاستعمال (نعم) في الإيجاب ، و(لا) في النفي أى : نعم نجحت ، أو لا ، لم أنجح .

(ج) السؤال بالهمزة المقونة بالنفي عن مضمون الجملة أى عن الإسناد الموجود في الجملة كقول الله تعالى : « أَلست بربكم ؟ قالوا : بلى » وقوله تعالى : « أَلِيسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَيْدَهُ » .

وقوله تعالى : « ألم تربك فيينا وليداً ولبثت فيينا من عمرك سنين ». وقوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ». .

ونقول في الجواب عن السؤال في هذا الاستعمال (بلى) في الإيجاب و(نعم) في النفي . يقول القاضي للتهم بجريمة قتل : أَلست القاتل ؟ فإن أجاب (بلى) اقتضى منه ، لأن معنى الإجابة بلى أنا القاتل ، وإن أجاب (نعم) برأه : لأن معنى الإجابة : نعم لست القاتل ، ومن عجب أن (نعم) هنا تعني (لا) ولا توجد في لفتنا (نعم) بمعنى (لا) سوى هذه .

٢ - هل

وهي لا يسأل بها إلا عن مضمون الجملة أى عن الإسناد الحاصل في الجملة ، يسأل الأب ابنه : هل نجحت في الامتحان ؟ فيجيب ابنه : نعم : أى نجحت أولاً : أى لم أنجح . ومن التغافر الذي لا لزوم له بل لا أساس له جعل بعض البلاغيين (هل) توقيعات : هل البسيطة : وهي التي يُسأل بها عن وجود شيء أو عدمه مثل : هل الإنسان الكامل موجود ؟ وهل الحركة موجودة ؟ .

وهل المركبة : وهي التي يسأل بها عن وجود شيءٍ لشيءٍ مثل : هل النبات حساس؟
وهل الحركة دائمة؟؟ هذا ما قاله (١)

ويامعنى النظر فيه نجد أن لا فرق بين هل البسيطة وهل المركبة لا في تعريفيهما ولا في
أ، ثقهما ، فنحن في الحالتين نسأل بـ (هل) عن ثبوت شيءٍ لشيءٍ .

في هل التي سموها بسيطة نسأل عن ثبوت الوجود للإنسان الكامل .

أمتحقق هذا الوجود أم لا ، وعن ثبوت الوجود للحركة ، أمتحقق هذا الوجود أم لا ؟
الإنسان الكامل : مسند إليه . وموجود : مسند .

والحركة : مسند إليه . وموجودة : مسند .

وفي هل التي سموها مركبة نسأل عن ثبوت الإحساس للنبات ، أمتحقق هذا الإحساس أم
لا ؟ وعن ثبوت الدوام للحركة ، أمتحقق هذا الدوام أم لا ؟
النبات مسند إليه وحساس مسند والحركة مسند إليه ودائمة مسند .

لا فرق بين نوعي (هل) إذا ، ولم تخرج المسألة عن كونها دغدة كلام ، ويعجبني في
هذا المقام تعليق عبد المتعال الصعيدي على هذا التقسيم لـ (هل) من قبل القزويني قاله
الشيخ عبد المتعال « الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ، لأن الهمزة مثلها فيه ، على أنه
البحث فيه لا شأن لعلم المعانى به » (٢) .

٣ - لكن

ويُسأل بها عن العاقل أو العقلاء ، فيجيب بذلك أسمائهم أو صفاتهم ، وتقول : من هذا ؟
فيقال : محمد عبده ، وتقول : من هؤلاء؟ فيجيب : فيصل وعلاء وكارم ومحمد وناصر .
أو تقول في الإجابة عن السؤال الأول : هذا صديقي أو خصيفي أو صهري ، وعن السؤال
الثاني : هؤلاء أطباء ومهندسو وأساتذة في الجامعات .
وقد أضاف السكاكي إلى (من) استعمالاً آخر هو السؤال بها عن الجنس من نوعي
العلم .

تقول : من جبريل؟ بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني؟ وكذا : من إيليس؟ ومن فلان؟
ومنه قوله تعالى حكاية عن قرعون : « فمن ربكما يا موسى؟ » أراد من مالكما ومدبر
أمركما؟ أمك هو أم جني أم بشر ، منكراً أن يكون لهما رب سواه ، لادعائه الريوبية
لنفسه (٣) .

(١) انظر بقية الإيضاح جـ ٢ ص ٥٩ وبالبلاغة الواضحة ص ١٩٤ هامش رقم ٢ /

(٢) بقية الإيضاح جـ ٢ ص ٥٩ هامش رقم ٢ (٣) مفتاح العلوم ص ١٤٩ - ١٥٠

ع - حما

ويسأله عن غير العقلاء ، وهى :

إما أن يطلب بها شرح الاسم أى بيان معناه اللغوى أو الاصطلاحي مثل : ما البر ؟ والجواب هو القمح ، وما المسجد ؟ والجواب : هو الذهب ، وما الدبياج ؟ والجواب : هو الحريم ، ومثل : ما الجمع وما الطرح ؟ والجواب : مما إضافة عدد إلى عدد ، أو إنتاقه عدد من عدد . وإما أن يطلب بها حقيقة المسمى أى شرح ماهيته مثل : ما الإنسان ؟ والجواب : حيوان ناطق . وما الاعتدال ؟ والجواب : هو الوسيط بين الإفراط والتقييد .

وقد جعلها السكاكي مثل (من) من حيث السؤال بها عن الجنس أو الوصف قال :

« أما ما فللسؤال عن الجنس تقول : ما عندك ؟ بمعنى أى أجناس الأشياء عندك ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو طعام ، أو عن الوصف تقول : ما زيد وما عدو ؟ وجوابه : الكريم والفضل » (١) .

والخلاصة أن (ما) يُسأله عن :

(أ) المفهوم الإجمالي للاسم مثل : ما الضيف ؟ والجواب : هو الأسد .

(ب) حقيقة الاسم مثل : ما الحركة ؟ والجواب : هي حصول الجسم حصولاً أو لا في الحيز الثاني .

(ج) الجنس : مثل : ما خطبكم ؟ والجواب : موت أو هزيمة أو أسر .

(د) الوصف مثل : ما فيصل وما رشا ؟ والجواب : ابني الأكبر وزوجته .

٥ - حكم

ويسأله عن العدد كقول الله تعالى : « وكذلك بعثناهم ليتساموا بينهم قال قائل منهم كم لبئتم ؟ قالوا : لبئنا يوماً أو بعض يوم » وقوله تعالى : « كم لبئتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم فناسأل العاديين » وكقولي : كم طالباً سجل في مقرر كذا ؟ والجواب : خمسون أو ستون ومكذا .

٦ - كيف

ويسأله عن الحال مثل : كيف جئت ؟ والجواب : ماشياً أو راكباً ، وكيف سكتك ؟ والجواب : واسع أو ضيق ، وكيف محمد ؟ والجواب : بخير أو مجتهد وناتج في عمله .

(١) مفتاح العلم ص ١٥٠ .

٧ - أين

ويسائل بها عن المكان مثل أين والدك ؟ والجواب : في المنزل أو في المسجد أو في
النادي، وأين نلتقي ؟ والجواب : في المكتبة أو في الحديقة أو في الملعب .

٨ - أئن

وتتأتى مرةً بمعنى كيف كقول الله تعالى : « أئن يحيى هذه الله بعد موتها » ؟ أى كيف
يحيى هذه الله بعد موتها ، وما مثل به السكاكي والتزويني وغيرهما من سائر البلاعرين
قدماً ومحدثين لذلك وهو قول الله تعالى : « نساوكم حرب لكم فاتوا حرثكم أئن شئتم » (١) .

فتعنى أن (أئن) هنا ليست استفهامية أى ليست للسؤال أصلاً ، إذ معناها الذى يهدى
إليه سياقها : فاتوا حرثكم فى أى وقت شئتم وبأى كيفية أردتم . كما تأتى بمعنى (من
أين) كقول الله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : « يا مريم أئن لك هذا ؟ أى من أين
لك هذا الرزق ؟ ولهذا قالت : « هو من عند الله » .

وتتأتى بمعنى (متى) تقول : أئن تظهر نتيجة الامتحان ؟ وأئن نسافر ؟ أى متى تظهر
نتيجة الامتحان ؟ ومتى نسافر ؟

٩ - حتى

ويسائل بها عن الزمان ماخياً أو مستقبلاً مثل : متى جئت ؟ ومتى تسافر ؟

١٠ - أيّ

ويسائل بها عن الزمان المستقبل فقط ، و تستعمل فى مواضع التفصيم والتهويل خاصة
قول الله تعالى : « يسألون أيان يوم الدين » و قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان
مرساها » و قوله تعالى : « يسأل أيان يوم القيمة » و يقولون : أيان يوم التخرج ؟ وأيان
توقف الحرب بين الفصائل اللبنانية ؟

١١ - أي

ويسائل بها عما يميز أحد المشتركين فى أمر يعمهمما أو عما يميز أحد المشتركين فى أمر
يعمهم مثل : أى الطالبين ذكى ؟ وأى الطالب ذكى ؟

(١) منتاح العلم من ١٥٠ وينية الإيضاح ج ٢ ص ٦٤ .

ويمكن السؤال بها عن الزمان مثل : في أي وقت تحضر لزيارة ؟
 وعن المكان مثل : في أي مكان تلتقي ؟
 وعن الحال مثل : على أي حال جاء ضيئكم ؟
 وعن العاقل مثل : أي الرملاء زارك ؟
 وعن غير العاقل مثل : أي كتاب تتصفح بقراءته ؟
 وعن العدد مثل : أي مبلغ تستطيع أن تدفع ؟
 فائي شائعة ، وهي بحسب ما تضاف إليه أي أن معناها يتحدد بما تضاف إليه .

* * *

وتتجدر الإشارة إلى أن المسئول عنه بالأدوات القسم الأخيرة جزئى لا كلى ، واجوبتها لذلك تكون بتعيين المسئول عنه بها ، وتشترك الهمزة فى استعمالها الأول مع هذه الأدوات فى أن المسئول بها جزئى ، وعلى الجانب الآخر وهو السؤال عن الإسناد نفسه أي عن المضمن الكلى للجملة تقف (هل) و(الهمزة) فى استعمالها الثانى والثالث .

الأغراض البلاغية للاستفهام

سبق القول بأن الاستفهام资料 هو السؤال عما يجهله السائل ، وهو في هذه الحالة يتطلّب جواباً لكن أدوات الاستفهام قد تؤدي معانى أخرى غير السؤال ، وهذه المعانى تفهم من سياق الكلام ومن قرائن الأحوال ، ومن ذلك ما يلي :

١- التهجد :

كثول الله تعالى على لسان سليمان « مالى لا أرى الهدى ! ». .
 وقوله تعالى على لسان كفار مكة « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى في الأسواق »
 وكثول ابن تمام :

ما للخطوب طفت على كأنها جهلت بأن نداد بالمرصاد

وقول المتبنى للحسن :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

وقوله لسيف الدولة وقد اقتل :

وكيف تعلك الدنيا بشئ وأنت لعلة الدنيا طبيب
وكيف تنوبك الشكوى بداء وأنت المستفاث لما ينوب

وقول شوقى :

ما أنت يا دنيا ؟ أرؤيا نائم أم ليل عرس ، أم بساط سلف ١٩

٢ - النفي :

كقولنا : هل الامتحان إلا لتمييز المجتهد من المهمل ؟ أى ما الامتحان إلا لتمييز المجتهد من المهمل ، وكتقول الله تعالى : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » أى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وكتقول أبي تمام :

هل اجتمعت أحياه عدنان كلها بملتهم إلا وأنت أميرها

وقول البحترى :

هل الدهر إلا غمرة وانجلوتها وشيكاؤها وإلا ضيقه وانفراجها

وقول المتيني :

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال

وقوله :

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم أيحسيط ما يفنى بما لا ينفرد

٣ - التقرير :

وهو حمل المخاطب على الإقرار بأمر يعرفه كقولي لطلابي :

الستم طلاباً جامعيين ؟ وألم أشرح لكم هذا الدرس من قبل .

وكتقول الله تعالى : « ألم نربك فيما ولدك ؟ » وقوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » .

وقوله تعالى : « ألم يجدك يتينا فائعاً » . وقوله تعالى « أليس الله بكاف عبده » . وكتقول جرير :

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقد جعل القزويني الاستفهام في بيت جرير وفي قول الله تعالى « أليس الله بكاف عبده » ؟ للإنكار قال :

« ومن مجى الهمزة للإنكار قوله تعالى : « أليس الله بكاف عبده ؟ » وقول جرير: الاستم خير من ركب المطاييا ؟ أى الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطاييا ، لأن نفي إثبات ، وهذا مراد من قال : إن الهمزة فيه للتقرير ، أى للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء »^(١) .

ونرد عليه بامرین :

أحدھما : أن النصين بعد إخضاعهما للقاعدة النحوية القائلة « إن نفي النفي إثبات » قد صارا من قبيل الخبر لا من قبيل الإنشاء ، ويكون كل منهما في شكله الذي وصل إلينا به إنسانياً لفظاً خبرياً معنى » .

والآخر : أن النون البلاғي يأتی ما ارتاه القزوینی ، فكيف يكون منكراً أن الله كاف عبده ، وأن المدحون خير من ركب المطاييا !!

ولقد كان من قال : إن الهمزة للتقرير عل صواب ، فال்�تقرير كما قال القزوینی نفسه تقرير بما دخل عليه النفي وهو الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطاييا .

ولست أدری لماذا خالقه القزوینی وقال : إن الاستفهام للإنكار ، ولا يشفع له أنه عقب على نفسه بأن التقرير هو المراد ، وإذا كان هو المراد ، فلم لم يقله من أول الأمر ، ويرينا بنفسه عن مواطن الزلل !!

لكن القزوینی يلوی ذراع الآية ، ويلوی ذراع البيت بقوله : « ومن مجى الهمزة للإنكار قوله تعالى وقول جرير ... » ولا عجب فهو القزوینی صاحب الإيضاح ، ويظهر أنه إيضاح بایهام المعنى لا بکشفه وبابحال طالب البلاغة في المتأهّات .

* * *

قام يحلق الشیخ الصعیدی کعادته وهو يعلق على عبارۃ القزوینی « وهذا هو مراد من قال : إن الهمزة فيه للتقریر أى للتقریر بما دخله النفي لا للتقریر بالانتفاء » .

قال الشیخ عبد المتعال میرزا ذلك « لأن التقریر في مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى أدخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفي كقوله تعالى: « أنت قلت للناس اتخوني وأمى إلهين من دون الله » .

(١) بنية الإيضاح ج ٢ من ٦٨ - ٦٩ .

فَلَوْلَا لَيْسَ آيَةً «أَنْتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ ... » كَاتِبًا «أَلِيسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ» فَهَمْزَةُ الْاسْتَفْهَامِ
فِي الْأَوَّلِيَّةِ غَيْرُ مَقْرُونَةٌ بِنَفْسِهِ، وَفِي الثَّانِيَةِ مَقْرُونَةٌ بِنَفْسِهِ، وَالْتَّنْظِيرُ بَيْنَهُمَا لِهَذَا غَيْرُ مُسْلِمٍ بِهِ
لَأَنَّهُ فِي ذَاتِهِ غَيْرُ سَلِيمٍ .

وَثَانِيًّا : أَدَارَ الشَّيخُ ظَهُورَهُ لِلنَّصِينَ الْأَصْلِ ، وَذَهَبَ فِي جَلْبِ نَصَّاً ثَالِثًا مُخْتَلِفًا .

وَثَالِثًا : الْأَحَالُ فِي الْكَلَامِ - أَيُّ كَلَامٍ - عَلَى عِلْمِ الْمَخَاطِبِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ السَّابِقَةِ بِحَقِيقَةِ
الْمَضْوِعِ مِنْ إِثْبَاتٍ أَوْ نَفْسٍ ، وَهُوَ بِهَذَا قَدْ أَعْفَى الْمُتَكَلِّمَ مِنْ عَنَاءِ مَطَابِقَةِ كَلَامِهِ لِمَقْتَضِي
الْحَالِ ، لِيَقُولَ مَا يَقُولُ عَلَى آيَةِ صُورَةِ وَبَائِيِّ شَكْلٍ وَلِيَطْمِئِنَ ، فَعَلَى الْمُتَلَقِّيِّ أَنْ يَصْحِحَ الْخَطَا
فَإِنْ يَعْدِلَ الْمَعْوِجَ ، وَلَيْسَ هَذَا صَوَابًا ؟ لَأَنَّا إِذَا كَانَتْ سَنْحِيلَ فِي التَّوَاصِلِ الْفَكَرِيِّ
وَالْوَجْدَانِيِّ وَالْعَقَائِدِيِّ عَلَى عِلْمِ الْمَخَاطِبِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ السَّابِقَةِ بِحَقِيقَةِ الْمَضْوِعِ مِنْ إِثْبَاتٍ أَوْ
نَفْسٍ ، فَلَمْ يَبْلُغْ إِذَا بَلْ لَمْ الْكَلَامُ أَصْلًا ، وَأَكَادُ أَقُولُ : لَمْ الْمُتَكَلِّمُ نَفْسَهُ ؟

٤ - التَّمْنَى :

كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى : «فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَاءِ فَيُشَفِّعُونَا لَنَا ؟» ، وَكَتَبَ أَبِي الْعَاتِمَةِ مَخَاطِبَهُ
الْأَمِينَ :

تَذَكَّرُ أَمِينُ اللَّهِ حَقِّي وَحْرَمْتِي
فَمَنْ لَيْ بِالْعَيْنِ الَّتِي كَنْتُ مَرَّةً إِلَيْهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْتَظِرُ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

هُلْ بِالظَّلَالِ لِسَائِلِ رَدِّ أمْ هُلْ لَهَا بِتَكَلِّمِ هَدِّ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

يَا طَيُورَ السَّمَاءِ هُلْ مِنْ سَبِيلٍ تَمْسِلُ النَّفْسَ بِاللَّيَالِيِّ السَّعِيدَةِ
٥ - التَّبَهْرَظِيرُ :

كَتَبَ الْمُتَبَهِّرُ :

مِنْ لِلْمَهَافِلِ وَالْجَهَافِلِ وَالسَّرَّى فَقَدْتُ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلُعُ
وَمِنْ اتَّخَذْتُ عَلَى الْفَضِيْفَ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمَتَّكَ لَا يَكَادُ يَضْيِعُ
وَقَوْلُ أَبِي فَرَاسِ :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا إِيْسُومَ كَرِيْهَةَ وَسَدَادَ ثَغْرَ

وقول ابن هانئ :

من فيكم الملك المطاع كائِنَه تَحْتَ السُّوَايَغِ تَبَعُ فِي حَمِيرٍ

وقول الشاعر :

إِذَا الْقَوْمَ قَالُوا : مَنْ فَتَى؟ خَلَتْ أَنْتَنِي دَعَيْتَ فَلَمْ أَكْسُلْ وَلَمْ أَتَلْكَ

٦ - التهويل :

كقولنا مَنْ بَرِئَ مِنْ تَهْمَةِ القَتْلِ الْعَدْمُ : لَقَدْ أَنْقَذْتَ مِنْ الْمَقْصِلَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَقْصِلَةُ ؟
وَلَمْ أَنْقَذْ مِنْ الْفَرْقِ فِي الْبَحْرِ : لَقَدْ نَجَّاكَ اللَّهُ مِنْ الْبَحْرِ وَمَا الْبَحْرُ ؟ وَكَقُولُ اللَّهِ
تَعَالَى : « الْحَاجَةُ مَا الْحَاجَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ الْحَاجَةُ ؟ » .

وقد جعل البلاغيون منه قوله تعالى : « ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهن . مَنْ
فَرَعُونَ » بفتح ميم (مَنْ) على أنها اسم استفهام خبر مقدم و (فَرَعُونَ) بالرفع مبتدأ
مؤخر ، وهي قراءة ابن عباس .

يقول القزويني : « ولما وصف اللَّهُ العذاب بِأَنَّهُ مهين لشدة وفظاعة شأنه أراد أن يصور
كتنه فقال : « مَنْ فَرَعُونَ » أى أتعرفون من هو فى فرط عنده وتجبره ؟ ما ظلمكم بعذاب يكون
هو العذاب به ؟ ثم عرف حاله بقوله : « إِنَّهُ كَانَ عَالِيًّا مِنَ الْمُسْرَفِينَ » (١) .

والتهويل أخوه التعظيم ، وإذا كان بينهما فرق فهو فرق دقيق فحواه أن التعظيم يأتي محل
الأمر المرغوب فيه ، أما التهويل فيأتي مع الأمر المخوف منه .

٧ - الاستبطاء :

كقولك مَنْ نَادَيْتَه لَكَنْه أَبْطَأْتَ فِي الإِقْبَالِ عَلَيْكَ : كَمْ دَعَوْتَكَ ، وَكَقُولَنَا : مَتَى يَعُودُ السَّلَامُ
إِلَى لِبَنَانِ ، وَأَيَّانِ تَقْوِيمِ دُولَةِ فَلَسْطِينِ ، وَمِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ : مَتَى نَصَرَ اللَّهُ » وَقَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

حَتَّى نَحْنُ نَسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سَرَاهُ عَلَى خُفْ وَلَا قَدْمٍ

٨ - الاستبهان :

حسِيَّاً كَانَ كَقُولُ شَوْقِي وَهُوَ فِي مِنْفَاهُ بِالْأَنْدَلُسِ :

أَيْنَ شَوْقُ الْأَرْضِ مِنْ أَنْدَلُسٍ

(١) بغية الإيضاح جـ ٢ من ٦٨ - ٦٩ .

أو، معنويًا كقولك لأستاذك : أين علمي من علمك.

ومن الاستبعاد مطلقاً قول الله تعالى: «أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَيْ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْهُ عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلُومٌ مَجْنُونٌ» وقول أبي تمام:

من لم يأنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه

وقول المتنبي :

وَمَا قُتِلَ الْأَهْرَارُ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرُّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَى
وَالصَّلَةُ بَيْنَ الْاسْتِبْطَاءِ وَالْاسْتِبعَادِ كَالصَّلَةُ بَيْنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْرِيلِ أَىْ قُرْبَىْ ، كُلُّ مَا بَيْنَهُمَا
مِنْ فَرْقٍ أَنَّ الْاسْتِبْطَاءَ يَتَوَقَّعُ الْمُسْتَبْطَنُ مَا يَتَعْلَقُ بِهِ أَمَا الْاسْتِبعَادُ فَلَا يَتَوَقَّعُ الْمُسْتَبْعَدُ مَا
يَتَعْلَقُ بِهِ .

٩ - التشويق:

كقولى لطلابى : أاحكى لكم طرفة لطيفة تنسيكم عناء الدرس وتجدد نشاطكم ، وكتول الله تعالى : « يا أيها الذين امنوا هل أدلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم » قوله تعالى على لسان إيليس « يا آدم هل أدىك على شجرة الخلد وملك لا يليلي » .

١ - التنبه على الحال:

تقول للإخوة المتحاربين « أين يذهب بكم ، لا تعنفوا قبل أن تعرفوا إلى أين تساقون » ،
ويقول الله تعالى : « فلأين تذهبون » .

١٧ - الْوَعْدُ

كقولك لمن يسأليك : ألم أورب فلانا . إذا كان عالماً بذلك ، فعلمه بتذمّيك غيره سيجعله يفهم عبارتك على أنها تهدّي ووعيد ، وعليه قوله تعالى « ألم نهلك الأولين » وقوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربكم بعاد » .

١٢ - التدقيق:

كتولك : ما هذا ؟ تحقيراً للشئ المشار إليه مادياً كان هذا الشئ أو معنوياً ، ومن هذا ؟
 الشخص تعرفه ، تحقيراً له واستخفافاً به ، ويكقول الله تعالى على لسان الكفار « أهذا الذي
 يبعث الله رسولاً » وقول المتن :

من آية الطرق يأتي مثلك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم

وقول الآخر:

فَدْعُ الْوَعِيدِ فَمَا الْوَعِيدُ بِضَائِرٍ أَطْنَنِ أَجْنَحَةَ الظِّيَابِ يُضَيِّرُ

١٣ - التهكم :

وهو عدم المبالغة بالتهكم منه ، ويستوى أن يكون التهكم منه جديراً بالبالغة أو غير جديراً بها .

فمن الأول قوله تعالى حكاية عن الكافرين بشعيب من قومه : « قال أصلاثك تأمرك أن تترك ما يعبد آباءنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » .

كان شعيب كثير الصلة ، وكان الكافرون به إذا رأوه يصلون تصاحبوا عليه وسخروا منه ومن صلاته فقصصوا برسولهم مخرقة هو صلاته .

ومنه أيضاً قوله تعالى : « أهذا الذي يذكر الهتكم » .

ومن الثاني قول إبراهيم عليه السلام : « ألا تأكلون . مالكم لا تنطقون » .

وقول المتتبى متهماماً بالدمستق :

أهى كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الأقدام للوجه لأنم
ويفرق الشیخ عبد المتعال الصعیدی بین التحکیر والتهکم بان التهکم قد يكون بمن هو
عظيم فی نفسه بخلاف التحکیر (١) .

وأمثلة التحکیر تتضمن رأيه ، إذ ماذما يعمل فی قول الله تعالى على لسان الكفار تحکيراً
لله ولهم (٢) : « أهذا الذي بعث الله رسولاً » .

فالأولى أن نقول : إن الفرق بين التحکیر والتهکم يأتي من قبل المتكلم ، فهو في التحکیر
يعبر عما يراه ويعتقد ، أما في التهکم فإنه يعم على سطح الكلام ويتهم بما لا يعتقد أكثر
ما يتهم بما يعتقد .

في أساس البلاغة : تهکم عليه من شدة الغضب ، وتهکم علينا : تعدى . وتهکم به : تهزا
به ، وقال ذلك على سبيل التهکم ، قال حسان رضي الله عنه :

بني أم البنين ألم يرعنكم وأنت من ذوابب أهل نجد
تهکم عامر بابي براء ليحررها وما خطأ كحمد
وعن الأصمى أنه قال في قول زمير : « فتغل لكم هذا منه تهکم (٣) .

(١) بغية الوعاة ج ٢ ص ٧١ هامش / ٤ .

(٢) أساس البلاغة ص ٤٨٦ ، والبيت بتمامه هو :

فتغل لكم مالا تغل لأهلها فرى بالعراق من قفيز ودرهم

ويمكن القول استناداً إلى البيت الثاني من بيتي حسان بأن التهكم وسيلة والتحقير
غاية ، والله أعلم .

١٤ - التسوية :

مصححاً بها كقول الله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تذرهم
لا يؤمنون » ، وغير مصحح بها كقوله تعالى : « وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون » وكقول
المتنبي :

ولست أبالي بعد إدراكي العلا أكان تراثاً ما تناولت أم كسباً

١٥ - الأمر :

كقول الله تعالى : « فهل أنتم مسلمون » أى أسلعوا ، وقوله تعالى : « فهل أنتم
منتهون » أى انتهوا .

ومن خروج الاستفهام إلى الأمر قوله لزميلك : أرأيت ؟ بمعنى أخبرني ، وقد جاء هذا
الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى : « أفرأيت الذي تولى * وأعطي قليلاً وأكدى *
أى أخبرني عن هذا الذي تولى وأعطي قليلاً ثم منع . وقال تعالى « أفرأيتم اللات والعزى *
ومنة الثالثة الأخرى » أى أخبروني عن هذه الأصنام .

١٦ - النهي :

كقوله تعالى : « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه » أى لا تخشوه فالله أحق أن تخشوه ،
وكقول الشاعر :

أتخالنى أرضى الهوان فحاذر واسلم بنفسك من أبي قادر
إذ معناه : لا تخلى أرضى الهوان فحاذر .

١٧ - الإنكار :

وذلك أنه إذا وجد الإنسان نفسه أمام أمر لا يرضي عنه فإنه والحالة هذه يورد كلامه
على سبيل الإنكار لهذا الأمر كقولي لأحد الآخوة : أتصلى منفرداً والجماعة قائمة ، ولا أحد
طلابي : أتكلم وأنا أشرح .

إن الإنكار إما للتقوية ، وإما للتکذيب ، والتقوية إما أن يكون على أمر حصل في الماضي

كتقولك لا بنك أو لا خير أو لصديقه : أخطببت ابن علمي ، أى ما كان ينبغي أن يحصل ذلك ، وإنما أن يكون على أمر حاصل الآن أو يخشى حصوله في المستقبل كقولك لزميك : أتاطر في رمضان ، وذلك إذا كان فاعلاً أو ناوياً أن يفعل ، وقولك للرجل يضيع حقوق الإخوان : أتنسى قديم إحسان فلان ، والرجل يركب الخطأ : أتخرج في هذا الوقت ، أو أذهب في غير طريق ، قاصداً توبيه كي يراجع نفسه فيoglobin ويرتدع عن فعل ما هم به .

والتكذيب كالتوجيه في توزعه على الأزمنة .

فهو إما أن يكون لأمر أدعى حصوله في الماضي بمعنى لم يكن كقوله تعالى : «أَفَاصْفَاكُمْ بِالنِّينَ وَاتَّخِذُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا نَحْنُ

وقوله تعالى : « أصطفى البنات على البنين » .

فإنكار في الآيتين الكريمتين معناه التكذيب لما ادعى المخاطبون أنه حصل فعلًا ، أى لم يكن مازعمتهم ، وإنما أن يكون لأمر كائن الآن أو سيكون في المستقبل كقوله تعالى على لسان نوح لقومه « يا قوم أرأيتم إن كنت على بيبة من ربى وأتائى رحمة من عنده فعميت عليكم أنتلز مكموها وأنتم لها كارهون » أى لا يكون ذلك الآن ولا في المستقبل .

والأصل في الإنكار - توييضاً كان أم تكذيباً - أن يتوجه إلى الإسناد أى إلى مضمون الجملة ، لكنه قد يخصص بأن يوجه إلى المسند إليه أو إلى المسند أو إلى متعلقات المسند .

فمن الأولى قوله تعالى : « أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ » وقوله تعالى : « أَفَأَنْتَ تَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » وقوله تعالى : « أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَدَ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىَ » ومن الثاني قول إبراهيم لأبيه : « أَتَتْخُذُ أَصْنَامًا لِّهُ » وقوله لقومه « أَتَعْبِدُونَ مَا تَنْتَهُونَ » وقول امرأة القيس :

أيقتلنى والمرسى مهاجعى ومسنونة زرق كانياب افوال
وقول عمارة بن عقيل في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :

الأتراك إن قلت دراهم خالد زيارته إنى إذا للنيلم

ومن الثالث قوله الله تعالى : « أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ » ، « أَغْيِرَ اللَّهُ أَنْتُخْذُ وَلِيًّا » ، « أَبْشِرَاً مَنَا
واحِدًا نَتَبِعُهُ » ، « أَنْفَكَا الْهَمَّةُ دُونَ اللَّهِ تَرْبِيَدُونَ » .

ولذا تخصص الإنكار فلابد أن يلى المنكر الهمزة كما لابد أن يليها المقربة في التقرير .

* * *

و قبل أن نغادر الأغراض البلاغية للاستفهام نتبه إلى أنها غير متناهية بل متعددة وليس الاستفهام في هذا وحده ، بل معه الأغراض البلاغية لأساليب الإنسانية الأخرى . هذه واحدة .

والآخرى : أن المثال الواحد قد يؤدي غرضين أو ثلاثة أو أكثر برجحان غرض على غرض أو بغير رجحان ، يقول السكاكي : « أى رجل هو . للتعجب ، وكم أعلم ، للتهديد ، وكيف تؤذى أباك ، للإنكار والتعجب والتوبیخ » ^(١) .

وصح عنده أن يكون قول الله تعالى : « كيف تكفرون ، تعجباً وتعجبياً وإنكاراً وتوبیخاً ^(٢) .

وقد اختصر القزويني أربعة الأغراض السابقة في غرضين اثنين قال : ومنها - ومن الأغراض البلاغية للاستفهام - التوبیخ والتعجب جمیعاً كقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وکنتم أمواتاً فأحیاكم ثم يحييكم ثم إلیه ترجعون » أى كيف تكفرون والحال أنکم عالمن بهذه القصة .

أما التوبیخ فلأن الكفر مع هذه الحال يتبني عن الانبهاك في الغفلة أو الجهل .

وأما التعجب فلأن هذه الحال تأبى إلا يكون العاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر ، وتصور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره قوله تعالى : « أتأنرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » ^(٣) .

ج - التهنى

عرفه سعد الدين التفتازاني بأنه طلب حصول شئ على سبيل المحبة ^(٤) وهو تعريف غير مانع ، وعرفه ابن يعقوب المغربي بأنه طلب حصول الشئ بشرط المحبة ونفي الطماعية في ذلك الشئ ^(٥) وهو تعريف غير جامع وغير مانع .

(١) المفتاح من ١٥١ .

(٢) المفتاح من ١٥١ .

(٣) بغية الإيضاح ج ٢ من ٧٢ .

(٤) مختصره على تلخيص المفتاح ج ٢ من ٢٣٩ .

(٥) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي على هامش مختصر سعد الدين التفتازاني ج ٢ من ٢٣٩ .

وأحسن من هذين التعريفين تعريف صاحبى البلاغة الواضحة قالا : « التمنى هو طلب أمر محبوب لا يتوقع حصوله » ^(١).

والسبب فى أنه لا يتوقع حصوله أحد أمرین هما :

(أ) أنه بطبيعته مستحيل التحقق .

(ب) أنه برغم إمكان تتحققه بعيد الواقع وغير مطموع في نيله ، فال الأول وهو المستحيل قوله العجاج : يا ليت أيام الصبا رواجا ^(٢) .

وقول ابن الرومي في رمضان :

فليت الليل فيه كان شهراً ومرّ نهاره من السحاب

وقول المتنبي :

ليت الحوادث باعنتى الذى أخذت مني بحلمي الذى أعطت وتجربى

وقول الشاعر :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلنى

وقول الآخر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

والثاني وهو المكن الذى لا يرجى حصوله كقول الله تعالى : « يا ليت لنا مثل ما أتيت قارون » وقوله تعالى : « يا ليت بيئى وبينك بعد المشرقين » ، وقول مالك بن الريب متشرقاً إلى وطنه فهو في مرض موته :

برايبة إنى مقيم لياليها
وردى على عينى فضل ردائها
بجنب الغضا أرجى القلاص النواجيا
وابيت الغضا ماشى الركاب لياليها

فيما صاجبى رحلى دنا الموت فاحفرا
وخطا باطراف الأسنة مضجعى
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
فليت الغضالم يقطع الركب عرضه

(١) البلاغة الواضحة من ٢٠٧ .

(٢) رواجاً بالنصب على مذهب الكوفيين . والبصريون على أن خبرها محنف تقديره أقبلن رواجاً ،
وانظر بقية الإيضاح ج ٢ من ٤ هامش رقم (١) .

والأداة التي وضعها العرب للتمني هي (لـ) وهذا يعني أن التمني بها هو التمني الحقيقي كالأمثلة السابقة .

التمنى البلاجىء

لكن التمني يأتي بلافغاً بأدوات أخرى غير لـ ، وهذه الأدوات هي : هل - لعل - لو - هلا - ألا - لولا - لوما .

مثال هل ولعل معاً قول الشاعر :

أسربقطا هل من يغير جناحه علسى إلى من قد هويت أطير

ومثال هل وحدها قول الله تعالى : « فهل إلى خروج من سبيل » وقوله تعالى : « فهل لنا من شفاعة فيشفعوا لنا » وقول ابن الدمية :

هل ترجعن نوى للحى جامعة فيهم أمينة قد فاءت قواصيها

وقول الآخر :

أيا منزلى سلمى سلام عليكم هل الأذمن اللائى مضين رواجع

ومثال لعل وحدها قول الله تعالى على لسان فرعون : « يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب » وقول الشاعر :

عل الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوماً وتجمعه

والمعنى البلاجىء المستقاد من التمنى بكل من (هل) و (لعل) إنما هو إبراز التمنى - وهو مستحيل أو ممكן بعيد - فى صورة المكن القريب الوقوع إظهاراً من المتكلم لحرمه عليه وشغفه به ، لكنه فى زحمة حبه له ورغبته فيه قد نسى أنه مستحيل أو فى حكم المستحيل .

تتمنى الشفاء لمن يحضر أمامك بقولك : هل يشفى أو لعله يشفى ، طمعاً متك فى شفائه ، لأنك تحبه ولا تطيق موته .

أما (لو) فإن سر التمنى بها مضاد لسر التمنى بـ (هل) و (لعل) .

إن (هل) و (لعل) تقريان المتمنى ، أما (لو) فتبعده ربما أكثر مما تبعده (لـ) حقيقة أو ادعاء ، وفي التمنى بها الإشعار بعزة المتمنى وندرته ، والتاكيد على استحالته أو

مسعويته ، لأنها يأصل وضعيها تدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط وهو امتناع مطبق
لدورانه في حلقة مغلقة .

نحن مع (لو) أمام أمر لا نقول :

(لا يتتحقق) كما نقول مع (ليت) بل نقول (لن يتحقق) .

قال تعالى : « فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم . فلو أن لنا كرفة فنكرون من المؤمنين ».
وقال تعالى : « إِذْ تَبَرُّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الظِّنَّةِ وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقْطَعَتْ بِهِمْ
الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرْفَةً فَنَتَبَرُّ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرُّوا مِنْنَا » وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « أَوْ
تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنْ لَنَا كَرْفَةً فَنَكِونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » .

لا نقول إن مطلوبهم مستحيل ونسكت ، فهذا شئ بدھى و (لو) تدل عليه بوضعيها
اللغوى ، أما إيجاؤها ومدلولها البلاغى فهو اليأس الموقىق ، إنهم فى أشد العذاب ولا عجب ؛
فقد اجتمع عليهم ألم الجسم بالعذاب الذى أمامهم ، وألم النفس باليأس الذى زلزلهم ،
والنجاة مستحيلة هنا أكثر من استحالتها مع (ليت) فما بعد بليت بعد واحد وهو خارج
أقطار المتنفس ؟ أمابعد بلو فيعدان : بعد خارجي كالسابق وبعد داخلى لاذع ومؤام .

قال الشاعر :

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع

فلم يترك وسيلة من وسائل عودة الشباب إلا طرقها دون جدوى .

وقال مسلم :

واهاً لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعف بالمقام قليلاً

وهو لم يقل ذلك إلا بعد أن تفلتت أيام الصبا منه وغادرته إلى غير رجعة ، ولهذا قال لو
كان أسعف - بالماضي - إنه كمن وجد نفسه مندعاً ولما أغلقت الطائرة بعن ودعه تنهد قائلًا :
آه لو عدل عن سفره .

* * *

بقيت الحروف الأربع المركبة وهى : هلاً - ألاً - لولا - لوما وأصلها (هل) ، (لو) .

الحقنا (لا) بـ (هل) فصارت (هلاً) وإذا قلبنا الهاء همزة صارت (ألاً) أما (لو)
فإذا الحقنا بها (لا) صارت (لولا) ، وإنما الحقنا بها (ما) صارت (لوما) ، وإنما كانت

من أنواع التمثي البلافي ، لأنه ينطوي منها مع الفعل الماضي التدبر مع الفعل المضارع الحث والحض .

يتقول في التدبر :
ملا أكرمت ضيفك : ألا نهضت من نومك مبكراً
لولا أجبت إجابة صحيحة ، لوما سكت

ويقول في الحث والحض :
ملا تجتهد ، ألا تشتراك معنا في رحلتنا
لوما تحضر حفلنا ، لولا تزورنا

٥ - الترجي

الترجي هو طلب أمر محبوب يتوقع حصوله ، لأنه ممكن قريب لا بعيد .

والترجي - كالمعنى - نوعان : حقيقي وبلغى :
للترجي الحقيقي أداثان هما (لعل) و (عسى) .

يتقول في الترجي بـ (لعل) : على أنجح ، ومن أمثلته قول الله تعالى : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » . وقول الشاعر :

لعل خيال العاصرة زائر فيسعد مهجور ويسعد هاجر
ويقول في الترجي بـ (عسى) : عسى أن أنجح ، ومن أمثلته قول الله تعالى : « عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها » . وقوله تعالى : « عسى الله أن يتيق بالفتح أو أمر من عنده » .
وقول الشاعر :

عسى فرج يأتي به الله إنه لـ كل يوم في خليته أمر
الترجي البلاغي

ويكون الترجي بلاغياً إنما استعملنا فيه الأداة الأصلية للمعنى (ليت) . يقول الطالب الذي لم يجب إجابة تتبع : ليتني أنجح ، ويقول المتباهي :
إن كان يجمعونا حب لطمعنا ثلثت أنا بقدر الصعب نقتسم
وسر الترجي بـ (ليت) إظهار الممكن للتقارب في صورة الممكن البعيد لو في صورة

المستحيل تعبيراً عن ضعف الأمل فيه ، ودلالة على اليأس منه .

٦ - النداء

النداء هو طلب الإقبال حقيقة ، مثل يا بني يا صديقى ، أو حكماً مثل « يا جبال أوى معه » .

يا ناق سيرى عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

وطلب الإقبال بشقيه يتم بحرف من حروف النداء نائب عن فعل هو (أدعوه) أو (أنا نادى) أو (أطلب) وتحوها .

حروف النداء قسمان :

(أ) قسم ينادى به القريب وهو (الهمزة) و (أى) مثل : أبنى إنى حريص على مصلحتك .

أبنى إن أباك كارب يومه فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل
أى زوجتى تفضلى بأخذ هديتك .

أى صديقى إنى قصدتك لما لم أجده في الحياة غيرك شهما
(ب) وقسم ينادى به البعيد وهو (يا) (أيا) (ميا) (أى) (وا) .

وأمثلته على التوالى هي :

يا سارى البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسكننا
أيا أحبابى فى أمريكا كيف أنتم .

هيا غائباً عن وفى القلب عرشه أما أن أن يحظى بوجهك ناظرى
أفيصل العزيز اكتب لى ..

أى أحبابى فى مصر راسلتوى .
واطلابى فى قسنطينة إنى مشرق إليكم .

ما مضى كان النداء الحقيقى ، ومداره نداء القريب بالهمزة وأى نداء البعيد بالأدوات الأخرى .

أما النداء البلاغي فله صورتان :

(١) الصورة الأولى :

وهي تتحقق إذا نادينا القريب بأداة بعيد أو العكس ، فهذا التبادل بلاغي وهو لا يتم إلا لدقائق لطيفة .

ومن الدقائق اللطيفة لمناداة القريب بأداة البعيد الدلالة على علو شأن المنادي أو على انحطاطه ، أو على غفلته .

فمن مناداة القريب بأداة البعيد للدلالة على علو شأنه قول أبي نواس :

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عقوك أعلم
وقول الشاعر :

يا من يرجى للشدائند كلها يا من إليه المشتكى والمفزع

ومن مناداة القريب بأداة البعيد للدلالة على انحطاطه قول الفرزدق لجرير :

أولئك آباءى فجئنى بيتهم إذ جمعتنا يا جرير الماجموع

وقول الشاعر :

أيا هذا أتطمع في المعالى وما يحظى بها إلا الرجال

ومن مناداة القريب بأداة البعيد للدلالة على غفلته قول أبي العتابية :

أيا من عاش في الدنيا غريباً وأمضى العمر في قيل وقال

وقول الآخر :

أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر

* * *

أما مناداة بعيد بأداة القريب فلما فيه من الدلالة على أن ذلك بعيد شاخص أمامنا وحاضر في قلوبنا على حد قول الشاعر :

إن كنت لست معنِي فالذُّكْرُ مِنْكَ مَعِي يراك قلبى وإن غيبت عن بَدْءِي

وعلى حد قوله في رسالة لكتبتها بالرياض ساعة وصولي إليها من القاهرة : أى نرجتني وأبنائي ، عجبًا لي ، إننى حين أغيب عنكم أحسن بالآف حسون لكم في داخلي ، وقد

رأيت - لهذا - أن ألفي من قاموسى كلنتى الوداع والاستقبال وإن تعددت الرحلات وطلال المسافات زماناً ومكاناً .

ومن مناداة البعيد بآدابة القريب هذه الأبيات :

أعلىٌ إن تك بالعراق نسيتنى فأنما بمحضر على هواك مقيم

* * *

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم فى ربوع قلبي سكان

* * *

أى بلادى فى القلب مثواك مهمما طال منفأى عن شراك الحبيب

* * *

ذلك كانت الصورة الأولى من صور النداء البلاغى ، وهى وإن كانت صورة بلاغية إلا أن فيها من النداء الحقيقى معنى الإقبال ، والفرق بينها وبين النداء الحقيقى أن أدوات النداء مستعملة فى النداء الحقيقى استعمالاً عادياً أصلياً ، أى طبق معاناتها الأصلية ودلالةها اللغوية .

أما هنا فهى مستعملة استعمالاً غير عادى وغير أصلى بل عكسى :

ما للقريب ننادى به البعيد ، وما للبعيد ننادى به القريب ، ولو لا هذا العكس فى استعمال الأدوات بدقتائقه اللطيفة ما كان النداء بلاغياً بل حقيقياً .

الصورة الثانية للنداء البلاغى :

وفيها يخرج أسلوب النداء عن معنى الإقبال كلياً ، وينسى القريب والبعيد جملة ، النداء هنا صورة مفرغة من معناها الحقيقى ومن مضمونها الأصلى ، ثم هى تختلف عن الصورة البلاغية الأولى ، فالصورة البلاغية الأولى فيها روح النداء ونكتهه ولها هويته ، أما هذه الصورة فلها أغراض جديدة مخالفة لطلب الإقبال ، ومن هذه الأغراض :

١- التحذير : كقول ابن الرومى :

يا أبا القاسم الذى كنت أرجو ه لدهرى قطعت متن الرجاء

وقوله :

يا شبابى وأين منى شبابى أذنتنى حبائله بانقضاض

وقول الآخر :

فيما قبر معن كيف واريث جورده وقد كان منه البير والبهر مثراها

٢ - الإغواء :

كتقول المتنبي لسيف الدولة :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخدام وأنت الفصم والحكم

وقول الشاعر :

يا بلادى اليوم فاستقبلى النو دوعيشى طليقة يا بلادى

٣ - الزجر :

كتقول الشاعر :

يا قلب ويحك ما سمعت لناصح لما ارتقيت ولا اتقين ملاما

وقول الآخر :

يا قلب حسبك ما قد ذقت من حرق يا قلب حسبك ما قد نلت من تعب

٤ - التهجد :

كتقولنا : يا لجمال الطبيعة ، ويا لطيبة الرجل ويا لعظمة سلوكه .

وكتقول طرفة :

يا لك من قنبرة بمعمر خلالك الجو فبيضي واصفرى

وقول الشاعر :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كاذباً، لم تجزع على ابن طريف

٥ - التربية :

كتقول الزوجة في تشيع زوجها أو ولادها (وازوجي) ، (واولادي) .

٦ - الاستخاثة :

تقول : يا لأهل الحى ، من التهمت النار ببيتهم وشردت أطفالهم ونسائهم ، وتقول : يا للمظلومين . ويقول الشاعر :

يا لقومى ويا لأمثال قومى لأناس عتومم فى ازدياد

٧ - الآيات

والمراد هنا تخصيص حكم منصب على ضمير سابق باسم ظاهر لاحق صورته مدوره المنادي ، وليس منادٍ حقيقةً مثل : على أيها الشجاع يتوقف النصر ، نحن الأساندة نصب الطلبة ، نحن أعضاء هيئة التدريس نرعى مصالح أبنائنا ، هنا : فيصلاً وعلائِكَارماً ومحمدًا وناصرًا يتكون بيت البلاذة . فليس الغرض من النداء الملحظ في الأمثلة السابقة طلب الإقبال ، لأن المراد بالاسم الظاهر فيها ليس المخاطب – فلا يوجد مخاطب – وإنما المراد به المتكلم نفسه ، والمرء لا يطلب إقبال نفسه ، ولهذا حملت صورة النداء على معنى الاختصاص ، وامتنع إظهار حروف النداء معها ، فقد تمضي الكلمة للاختصاص ككلية ، وانفصل عن النداء جملة^(١) .

تفوير

و قبل أن نغادر الإسناد الإنساني ننبه إلى أنه قد يتبدل الموقف مع الإسناد الخبرى كما أن الإسناد الخبرى قد يتبدل الموقف معه ، أريد أن أقول : إن الإسناد الخبرى قد يكون معناه إنسانيةً والعكس صحيح ، لكن ذلك – إن تم – يتم تحت ضوابط معينة ويقران خاصية وأغراض محددة ، وتكون الجملة خبرية لفظاً وهى إنسانية معنى ، أو خبرية معنى وهى إنسانية لفظاً ، وقد جعل السكاكي ذلك إجراً للإنشاء لا على مقتضى الظاهر ؛ مساواياً فى ذلك بينه وبين الخبر .

فكمما خرج الخبر على خلاف مقتضى ظاهر الحال ، ما هو ذا الإنشاء يخرج على خلاف مقتضى ظاهر الحال ، ولندعه هو يتكلم قال : « واعلم أن الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر ، وكذلك الخبر ، فيذكر أحدهما في موضع الآخر ، ولا يصار إلى ذلك إلا لترخي نكت قلما يقطن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا »^(٢) .

فمن النكث التي يؤديها الإنشاء الواقع موقع الخبر :

١- العناية بالشيء :

كقول الله تعالى : « قل ألم ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » لم يقل سبحانه وتعالى : ألم ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد ، إظهاراً لعنابة الله بالصلوة .

(١) انظر المنهاج الواضح ص ١١٩ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٤ .

٢ - الاحتراز عن مساواة المتأخر للمتكلم :

كقول الله تعالى : « قال إني أشهد الله وأشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه » ، لم يقل سبحانه وتعالى « وأشهدكم » تحاشياً من مساواة شهادتهم بشهادة الله سبحانه وتعالى.

٣ - الرضا بالواقع حتى لكانه مطلوب للمتكلم :

كقول الرسول ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوا مقعده من النار » ، لم يقل (تبوا) أو (فقد تبوا) ، إشعاراً بأنه عليه راض بأن يتبع الكاذب عليه مقعده من النار حتى لكان يطلب له ذلك من الله ، بل يأمر بأن يصله ^(١).

ومن النكث التي يُؤديها الخبر الواقع موقع الانشاء :

١ - التفاؤل للمخاطب بحصول الشئ :

كقولي لولدى : نجحك الله يا بنى ، بدلاً من : اللهم نجحك يا بنى .

يقول السكاكي : « ليتفاءل بلفظ الماضي » والأمر كما قال ، لكان ابنى قد نجح فعلاً ، وهأنذا أخبره بنجاحه .

٢ - إلظهار الجرئ على جرسول الشئ :

مثل أن أختم رسالتي لولدى بقولي : ردك الله إلينا سالماً غانماً ، وأسعدنا بلقائك دائمًا ، يقول السكاكي : « فالطالب متى تبالغ حرصه فيما يطلب ربما انتقدت في الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل إليه غير الحاصل حاصلاً » ^(٢) .

٣ - الاحتراز عن تصيغة الأمر تأكباً مع المخاطب واحتراماته :

كقولك في حضرة رئيسك : « ينظر سيدى فى ملتمسى ويقضى فيه بما يراه » . تحرجاً من (انظر) و (اقض) .

٤ - حمل المخاطب على المطلوب أبلغ حمل باللطفة وجهه :

كما إذا سمعت من لا تحب أن ينسب إلى الكذب يقول لك : « تائينى غداً » أو « لا تائينى »

(١) بقية الإيضاح ج ٢ من ٨٠ هامش رقم ٥ .

(٢) المفتاح من ١٥٥ .

فإليك إن لم تفعل ما تحدث به إليك تكون قد كذبته بحسب الظاهر ، لأنَّ أجرى كلامه مجرى الخبر وأنت لا ترضى له ذلك ، أما بحسب الواقع فلا تكذيب هناك ، لأنَّ الكلام في المعنى إنشاء .

٥ - تنبية المخاطب إلى الامتنال على وجه السرعة :

كقول الله تعالى : « وإن أخذنا ميشاق بني إسرائيل لا تعبون إلا الله » في موضع « لا تعبوا » كأنهم نهوا فامتثلوا فأخبر عن امتنالهم ، وكتوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله » في موضع (آمنوا) و(جاهدوا) ^(١) .

طرفاً للإسناد

لإسناد - خبرياً كان أو إنسانياً - طرفاً اثنان هما : المستند إليه والمستند .

ولا يخرج المستند إليه عن أن يكون :

- ١ - الفاعل مثل (محمد) في : نجح محمد .
- ٢ - نائب الفاعل مثل (الضيف) في أكرم الضيف .
- ٣ - المبتدأ الذي له خبر مثل (الطالب) في (الطالب ناجح) .
- ٤ - ما أصله المبتدأ : وهو اسم كان وأخواتها مثل (فيصل) في « كان فيصل مسافراً » واسم إن وأخواتها مثل « محمدًا » في : « لعل محمدًا مسافر » والمفعول الأول للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر مثل « ناصراً » في : ظننت ناصراً مسافراً .

٥ - مرقوم المبتدأ المكتفى به عن الخبر مثل (والدك) في : أم مسافر والدك ؟
ولا يخرج المستند عن أن يكون :

- ١ - الفعل التام مثل (تفوق) في : تفوق محمد .
- ٢ - اسم الفعل مثل (هيئات) بمعنى (بعد) .
- ـ (وى) بمعنى (أتعجب) .
- ـ (بل) بمعنى (دع) .

(١) مفتاح العلوم من ١٥٥ .

٣ - المبتدأ المكتفى بمعرفته عن الخبر مثل (مخلص) في : أملخص أنت لى ؟

٤ - خبر المبتدأ مثل (ناجح) في : علاء ناجح .

، - ما أصله خبر المبتدأ وهو خبر كان وأخواتها وخبر إن وأخواتها ، والمفعول الثاني للأنعال التي تتصبب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر مثل (ناجحاً) في : كان محمد ناجحاً ، و (ناجح) في : إن محمد ناجح ، و (متزوجاً) في حسبت إبراهيم متزوجاً .

٦ - المصدر النائب عن فعل الأمر مثل : اجتهاداً وتقوقاً يا طلاب ، وكقول الله تعالى : « وبالوالدين إحساناً » .

وما زاد على المسند إليه والمسند غير المضاف إليه ومصلة الموصول فهو في المصطلح البلاغي قيد .

والقيود التي تعرض للإسناد أو لطرفه أو لأحد هما هي :

الجار والمجرد ، وأدوات النفي ، وأدوات الشرط : والمفاعيل ، والتوابع ، والحال والتمييز .

أحوال الطرفين

ونقصد بأحوال الطرفين ما يعرض لهما من الذكر والمحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتتكير والتقييد والإطلاق ، يقول السكاكي عن المسند إليه : « يجب عليك أيها العريض على ازيد ياد فضلك أن ترجع إلى فكرك الصائب ، وذهنك الثاقب ؛ ناظراً بنور عقلك وعين بصيرتك في إيراد المسند إليه على كيفيات مختلفة ، وصور متنافية حتى يتائق بروزه عندك لكل منزلة في معرضها ، فتعرف أيما حال يقتضي على ذكره ، وأيما حال يقتضي خلاف ذلك ، وأيما حال يقتضي تعرفه مضمراً أو علمًا أو موصولاً أو اسم إشارة أو معرفة باللام أو بالإضافة ، وأيما حال يقتضي تعقيبه بشئ من التوابع الخمسة والفصل (ضمير الفصل) وأيما حال يقتضي تتكيره وأيما حال يقتضي تقديميه على المسند ، وأيما حال يقتضي تأخيره عنه ، وأيما حال يقتضي تخصيصه أو إطلاقه حال التتكير ، وأيما حال يقتضي تصره على الخبر »^(١) .

ويقول عن المسند : « لابد من الت区分 عن الأحوال المقتضية لأنواع التفاوت في المسند من كونه متراكماً تارة ، وغير متراكماً أخرى ؛ ومن كونه مفرداً أو جملة ، وفي إفراده من كونه

(١) المفتاح ص ٨٤ .

فهلاً ذهو قام زيد ويقوم وسيقتم أو اسمأ منكراً أو معرفاً من جملة المعرفات مقيداً كل ذلك
بنوع قيد نحو ضربت يوم الجمعة ، وزيد رجل عالم ، وعمرو أخوه الطويل ، أو غير مقيد ،
وفي كونه جملة من كونها اسمية أو فعلية أو شرطية أو ظرفية ، ومن كونه مقدماً أو
مؤخراً » (١)

والسياكي هنا وهناك يجعل مدار حسن الكلام وقبحه على انتباهه وتركيبه على متضمني
الحال وعلى لا انتباه .

ولولا عجمته التي تبين من (وعلى لا انتباه) لقال بعبارة تصححة : إن مدار حسن
الكلام وقبحه فيما نحن بصدده من الكلام عن أحوال المسند إليه والمسند إنما هو التوفيق أو
عدم التوفيق في إيراد كل منها بالشكل المعين ، وفي المكان المحدد .

وإذا كان ما سبق من كلام السياكي وكلامي إجمالاً لأحوال الطرفين في الإسناد ، فإن
تفصيله هو :

(١) الذكر

أولاً : **ذكر المسند إليه :**

يذكر المسند إليهواحد أو أكثر من الأمور الآتية :

١ - أن يكون المسند بما يصح إسناده إلى أن مسند إليه لكننا نزيد
إسناده إلى مسند إليه مغير ، أقول : محمد جاء وعلامة ذهب وكaram في العيادة .
فالمعنى يمكن إسناده إلى علام وإلى كارم لكننا لا نزيد إسناده إلا إلى محمد ، والذهب يمكن
إسناده إلى محمد وإلى كارم لكننا لا نزيد إسناده إلا إلى علام ، والتواجد في العيادة يمكن
إسناده إلى محمد وإلى علام لكننا لا نزيد إسناده إلا إلى كارم .

وهذا هو معنى قول السياكي : « وأما الحال التي تتضمن إثبات فهى أن يكن الغير
عامماً بالنسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعين كقولك زيد جاء وعمرو ذهب وغالد
في النهر . وقوله :

الله أنتج ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل

(١) المفتاح من ٩٦ .

وقوله :

والنفس راغبة إذا رغبتها **وإذا ترد إلى قليل تقنع** ^(١)

ويخالف القزويني السكاكي فيما ذكره من ربط ذكر المستند إليه بعموم الخبر وإرادة تخصيصه بمعنى ، معملاً في ذكره أو عدم ذكره على القريئة فإن وجدت جاز حذفه ولو كان الخبر عاماً وأريد تخصيصه بمعنى : وإن لم توجد وجوب ذكره بصرف النظر عن أي شيء آخر ^(٢).

٢ - يذكر المستند إليه احتياطاً لضيق التعبويل على القريئة في إرجاعه في ذهن السامع كأن يسأل صديقك الذي طلب منك معرفة رأي والدك في تقدمه لخطبة شقيقتك قائلاً : ما رد والدك ؟ أو ماذا قال والدك ؟ فتشغل عنه ثم تجيب : قال والدك كذا وكذا .

وهذا المثال يصبح التمثيل بما قاله السكاكي من أن :

٣ - الأصل في المستند إليه أن يكون منكورة : وهو ما عبر عنه القزويني

بقوله :

إن الذكر هو الأصل ولا مقتضى للحذف .

كما يصبح التمثيل به بما قالاه من :

٤ - زيارة الإيفاح والتقرير :

ومن ذكر المستند إليه لزيادة الإيضاح والتقرير قول عمرو بن كلثوم :

ونحن التاركون لما أردنا **ونحن الآخذون لما رضينا**

٥ - التنبيه على غباؤه السامي :

كأن نقول لسامع القرآن : القرآن كلام الله . وكأن يذكر الاستاذ رأياً في مسألة فيسأل طالب : من صاحب هذا الرأي ؟ فيجيب الاستاذ في تواضع : من قاله هو صاحبه : فيقول الطالب : ومن قاله ؟ فيزيد الاستاذ : أنا قلت وأنا صاحبه .

٦ - إظهار تعزيمه :

كتوك لم سألك : هل حضر الدكتور علاء ؟ حضر الدكتور النابه ، وكتووك لم سألك :

هل عاد الزعيم إلى أرض الوطن ؟ : عاد السيف إلى جرابه وحل الليث منيع غابه .

ويقول دون سؤال : سمو ولي العهد ونائب جلالة الملك صلى مع المسلمين صلاة الاستسقاء .

(١) المقباح من ٨٥.

(٢) بنية الإيفاح ج ١ ص ٧١.

٧ - إلْظَهَارُ تَحْقِيرِهِ :

كتوك : حضر الشعبان . من سألك : هل حضر فلان ؟ وكتوك : مثل المجرم أمام القاضي . من سألك : هل مثل المتهم أمام القاضي ؟ وتقول دون سؤال : السارق بين الطلاب . تزيد طالباً معيناً .

٨ - إلْظَهَارُ التَّعْجِبِ بِهِ :

مثل : خالد أنجب ، ردأ على من سأله : هل أنجب خالد ؟ وذلك إذا كان معلوماً أن الأطباء قد قرروا أن مثل خالد لا ينجب .

٩ - التَّبَرُّكُ بِنَكْرِهِ :

كتوك من سألك : هل قال الرسول ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » الرسول ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات » .

١٠ - التَّلْكُكُ بِنَكْرِهِ :

أقول من سألفني : هل كملت أولادك في أمريكا ؟ أولادي في أمريكا كلمني ، فيصل كلمني . رشا كلمنتني . نهى كلمنتني ، نهلاة كلمنتني . نيرة كلمنتني .

وكلقول عباس العقاد :

الحب أن نصعد فوق الذرى الحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثث لذاتنا وأن نرى آلامنا آثرا
وقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

١١ - التَّهْوِيلُ وَالتَّخْوِيفُ :

تنقل : جلالة الملك أمر بمنع التدخين في المكاتب الحكومية . تهول المخاطب بنكر المسند إليه طلباً لامتثاله ورغبة في استجابته .

١٢ - التسجيل على المستند إليه حتى لا يتبعه ما شهد به عليه.

يقول القاضى للشاهد . هل أقر هذا بأن عليه لناصر مبلغ كذا ؟

فيجيب الشاهد : نعم محمد هذا أقر بأن عليه لناصر مبلغ كذا .

ذكر الشاهد اسم المستند إليه وهو محمد حتى لا يتبع له فرصة التوصل من شهادته عليه .
كأن يقول للقاضى : لقد فهم الشاهد أنك أشرت إلى جاري لا إلى فهو قد شهد على جاري
لا على .

١٣ - بسط الكلام افتراها :

أى انتهازاً للفرصة . وذلك إذا كان إصياغه السامع مطلوباً للمتكلم كقول موسى عليه
السلام : « هي عصاى » وكان يتم الجواب بمجرد أن يقول (عصا) لكنه ذكر المستند إليه
وزاد فقال : « هي عصاى أتوكأ عليها وأمش بها على غنمى ولى فيها مارب أخرى » (١) .

ثانياً : ذكر المستند

ينذر المستند لواحد أو أكثر من الأمور الآتية :

١ - ألا يكون المستند إليه دالاً على المستند ولا موحياً به ، كما إذا قلت ابتداء : زيد
عالم (٢) .

٢ - كون الذكر هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كقولك : النابفة أول ناقد عربي
محكم (٣) .

٣ - زيادة التقرير كقول الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون
خلقهن العزيز العليم » أعاد سبحانه وتعالى ذكر المستند وهو (خلقهن) لزيادة الإيضاح
والتقرير .

٤ - التعريض بفجوة سامعك كقولك : محمد نبينا ، جواباً لمن سألك : من نبيك ؟ فقد
ذكرت المستند وهو (نبينا) برغم دلالة السؤال عليه .

(١) مفتاح العلوم من ٨٥ .

(٢) المفتاح من ٩٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

ومن ذكر المسند للتعریض بفباء السامعين قول الله تعالى : « أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْثَنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالَ بَلْ فَعَلْتُ كَبِيرَهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ ». .

ذكر الله سبحانه وتعالى المسند (فعله) على الرغم من دلالة السؤال عليه ديناً لقول إبراهيم بالغباء .

٥ - الاحتراز من فهم ماليس مراداً للمتكلّم كقولهم « عقل في السماء وحظ مع الجزاء » فلو حذفنا « مع الجزاء » وهو المسند في الجملة الثانية لاحتتمل أن يكون الحظ عائداً كما هو حال الكثيرين من رجال الفكر والآدب فمن المعروف المأثور أن الأرزاق لا تجري على الحجا ، وقد ذاع هذا وشاع حتى صار من الحقائق العرفية .

٦ - التلذذ بذكر المسند مثل : هي نهله . جواباً لمن سأله : هل هذه نهله ؟ ومثل : هي أم كلثوم . جواباً لمن سأله : هل هذه أم كلثوم ؟

٧ - التعجب من المسند إليه بذكر المسند إذا دلت قرائن الأحوال على ذلك كقولك : خالد يقام الأسد .

٨ - تعظيمه أو تحقيره . تقول : أحمد ذررة إخوه وإبراهيم أقلهم قيمة ، فتكون قد عظمت أحمد وحقرت إبراهيم ، تحديداً وتعيناً لا تعيناً وتهويماً .

٩ - بسط الكلام والمقام مقام بسط ، كقولك لمن سألك : من زاركم ؟ زارنا ناصر وزارنا محمد وزارنا كارم وزارنا علاء وزارنا نبيصل . وكقولك لمن سألك . من يدرس لنا البلاغة ؟ يدرس لنا البلاغة الدكتور عبد قلقيلة .

(١٠) تعين كون المسند اسمأً نحو زيد عالم فيستفاد الثبوت صريحاً أو كنه فعلاً نحو زيد علم فيستفاد التجدد ، أو ظرفاً نحو زيد في الدار فيورث احتمال الثبوت والتجدد بحسب التقديرين وما حاصل أو حصل^(١) .

ومن ذلك قول الله تعالى : « يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فالفعل (يخدعون) يفيد التجدد ، أما الاسم (خادعهم) فيفيد الثبوت .

وقد ختم السكاكي دواعي ذكر المسند بقوله : « ويصلح لشمول هذه الاعتبارات قوله عند

(١) المرجع السابق نفسه .

المخالف : الله إلينا و محمد نبينا والإسلام ديننا والتوحيد والعدل مذهبنا والخلفاء الراشدون أئمتنا ، والناصر لدين الله خليقنا ، والداعاء له والثاء عليه وظيقنا »^(١).

٢ - الحرف

أولاً : حرف المسند إليه :

المسند إليه الذي يمكن حذفه هو المبتدأ في الجملة الاسمية ، والفاعل في الجملة الفعلية .

حرف المسند إليه المبتدأ :

نوعي حذف المسند إليه المبتدأ كثيرة منها :

(١) الاحتراز عن العبث :

وذكر المسند إليه يكن عيناً إذا اكتشف للمخاطب بقرينة من القرآن ، وعلى حد قول السكاكي : « إذا كان السامع مستحضرأ له عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند » ، ولأن البلاغة ضد العبث فإنها ترجع حذف المسند إليه المبتدأ في المواطن الآتية :

(٢) إنما وقع في جواب الاستفهام :

كقول الله تعالى : « وما أدرك ماهية ، نار حامية » فالتقدير في نار ، وقوله تعالى : « وما أدرك ما الحطمة ، نار الله المؤقة » فالتقدير : هي نار الله المؤقة ، وقوله تعالى : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، في سدر مخصوص » أي هم في سدر مخصوص .

(٣) إنما وقع بحسب القول :

كقول الله تعالى : « وقالوا : أساطير الأولين اكتبها » أصل الكلام وقالوا : القرآن أساطير الأولين ، وقوله تعالى : « سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » .

التقدير : يقولون : هم ثلاثة ويقولون هم خمسة ويقولون هم سبعة .

وقوله تعالى : « فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم » أي أنا عجوز عقيم .

(١) المفتاح ص ٨٤ .

**(ج) إِنَّا جَاءَ بَعْدَ الْفَاءِ الْمُقْتَرِنَةِ بِالْجَمْلَةِ الْأَسْمَيَةِ الْوَاقِعَةِ جَوَابًا
لِلشَّرِطِ :**

كقول الله تعالى « من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعلها ، أى فعله لنفسه ، وإساعته عليها ، وقوله تعالى : « لا يسام الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيتوس قنوط » أى فهو يتونس قنوط ، وقوله تعالى : « وإن تخاطلهم فإنكم » أى فهم إخوانكم .

**(ح) إِنَّا اسْتَطَرَطَ الْمُتَكَلِّمُ إِلَىٰ غَيْرِ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ ثُمَّ عَانَ إِلَىٰ مَا
كَانَ فِيهِ :**

كقول عبد الله بن الزبير الأسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان :
سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيدى لم تُمنن وإن هى جلت
فتى غير محظوظ الفنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

إذ لم يقل هو فتنى ، وقول أبي الطحان القينى :
أحسنت لهم أحسابهم ووجوههم دجي الليل حتى نظم الجزع ثاقبها
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كركب تلئى إليه كواكبها
حين لم يقل : هم نجوم سماء .

وقول آخر :

قالت سمعية قد غويت يأن رأت حقاً تتساوب مالنا ووقفوا
غنى لعمراك لا أزال أعوده ما دام مال عندنا موجوداً
أى : هو غنى .

(هـ) إِنَّا كَانَ الْمُسْنَدُ لَا يَصْلَحُ إِلَّا لِهِ حَقِيقَةً :

كقولنا : خالق لما يشاء فاعمل لما يريد . وكقول الله تعالى : « عالم الغيب والشهادة » أو ادعاء كقولك : وهاب الآلوف . تريد كريماً شهراً بين الناس بسخائه وعظم عطائه ، وكما كانوا يقولون : (فاتنة المعادى) يعنون الفنانة : ليلى فوزى ، وكما لا يزد الون يقولون : كوكب الشرق ، يعنون أم كلثوم ، وسيدة الشاشة العربية ، يعنون : الفنانة فاتن حمامه .

٢ - تخيل أن في جرفه تحويلاً على شهادة العقل ، وفي ذكره تعريلاً

على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بين الشهادتين ^(١) كأن تكون في انتظار زائر كبير
فيأتي من يقول : (حضر ..) .

٣ - تغيير المقام عن ذكره بسبب شهر أو صدر أو خوف فوات فرصة :

فالاول قوله الشاعر :

على أننى راض بآن أحمل الهوى وأخرج منه لا على ولا لى
أى لا على شى ولا لى شى وإنما حذف الشاعر المسند إليه وهو شى لنلا يختل وزن
البيت .

والثانى قوله الآخر :

قال لي : كيف أنت قلت علييل سهر دائم وحزن طويل
فالتقدير : أنا علييل ، حالى سهر دائم وحزن طويل .

والثالث قوله لرفيقه الصياد : غزال ، أى هذا غزال ، وكقولك مستفيضاً : حريق ، أو
غريق أى هذا حريق أو هذا غريق .

٤ - تحجيم المسيرة بالمسند :

مثل : دينار . أى هذا دينار ، ونحو : جائزى أى هذه جائزى ، وكأن يتتفحص الأبناء
شخصاً قادماً وبهتف أحدهم مبشرأً إخوه بقوله : أبونا ، أى هو أبونا أو هذا أبونا .

٥ - جهل التراجع كما قلناه به ولكن بتفسيره تفسيراً مهيناً :

مثل أن يأتي ذكر شخص في معرض الكلام فيقول أحد الحاضرين : منافق جبان كذاب
ثم تدعوه الضرورة إلى سحب كلامه فيسحبه ذاهباً إلى أنه لم يقصد به هذه الأوصاف ، ولو
أنه كان قد صرخ بذلك المسند إليه لما أتيحت له فرصة الفروج من هذا المأزق .

٦ - إنشاء الملح أو النثر أو الترجم :

فالمدح قولهنا : الحمد لله أهل الحمد ، أى هو أهل الحمد ، وكتعليقك على بر شخسم
للناس بقولك : أهل الخير أى هو أهل الخير .

^(١) المفتاح ص ٨٤ .

والذم مثل أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِرُفع الرجيم أَى هو الرجيم .

وَكَتُولُ الْأَقِيشِرُ فِي ذِمَّةِ ابْنِ عَمِّهِ كَانَ قَدْ مَنَعَهُ يَلْطَمُهُ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِ يَلْطَمُهُ خَدَّهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ
حَرِيصٌ عَلَى الدِّينِ يَمْضِي لَدِينِهِ وَلَيْسَ لَمَا فِي بَيْتِهِ بِمَضِيعِ

وَالْتَّرْحُمُ كَتُولُكُ : اللَّهُمَّ ارْحُمْ عَبْدَكَ الْمُسْكِنَ بِرُفعِ الْمُسْكِنِ أَى هُوَ الْمُسْكِنُ ، وَكَتُولُ الْأَمَّ :
اللَّهُمَّ اشْفُ ابْنِي الْمَرِيضِ بِرُفعِ الْمَرِيضِ أَى هُوَ الْمَرِيضُ .

٧ - إِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى الْإِسْتِهْمَالِ الْوَارِثِ بِتَرْيِكِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ :

يَقُولُ السَّكَاكِيُّ كَتُولُهُمْ « نَعَمُ الرَّجُلُ زَيْدٌ » ، عَلَى قَوْلِ مَنْ يَرِى أَنَّ أَصْلَ الْكَلَامِ نَعَمُ الرَّجُلُ
هُوَ زَيْدٌ » وَنَعْطُفُ عَلَى كَلَامِ السَّكَاكِيِّ قَاتِلَيْنِ : وَكَالْأَمْثَالِ مَحْنَوْفَةِ الْمُبْتَدَأِ قَالَ أَبُو عَبِيدَ قَالَ
الْأَصْعُمُيُّ : مَنْ أَمْثَالَهُمْ قَوْلَهُمْ « فَتَى وَلَا كَمَالَكَ » أَى هُوَ فَتَى ، قَالَ الْأَصْعُمُيُّ : وَلَا أَدْرِي مَنْ
مَالِكُ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ هُوَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ زَهِيرٍ (١) .

وَكَالْأَمْثَالِ السَّابِقِ قَوْلَهُمْ : رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ . وَشَنَشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ (٢) .

جَنْفُ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ الْفَاعِلُ

وَدَوَاعِي حَذْفِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ الْفَاعِلُ كَتُورَاعِي حَذْفِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ الْمُبْتَدَأِ كَثِيرَةُ مِنْهَا :

١ - تَكْرِيمُ الْأَفَاتِكَةِ مِنْ تَذْكِرَهُ :

كَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقْسِحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسِحُوا »
لَمْ يَقُلْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقْسِحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسِحُوا ذَلِكُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ
زَادَتْهُمْ إِيمَانًا » بِبَيْنَهُ (ذَكْرُ) وَ (تَلِيَّ) لِلْمُجَهُولِ : لِعَدْمِ تَعْلُقِ غَرْضِ مَا بِشَخْصِ الْذَّاكِرِ
وَبِشَخْصِ التَّالِيِّ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرِزَدِقِ فِي مَدْحُ عَلَى بْنِ الْحَسِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

(١) فَصِلُ الْمَقَالَ فِي شَرْحِ كَتَابِ الْأَمْثَالِ لِابْنِ عَبِيدِ الْبَكْرِيِّ تَحْقِيقُ إِحْسَانِ عِيَاسِ وَعِيدِ الْجَيْدِ عَابِدِيِّينَ
بِبَرْيُوتِ ١٩٦١هـ / ١٩٧١ مـ ص ٢٠٢ .

(٢) انْظُرْ هَامِشَ رقم ٤ مـ ص ٨٥ وَهَامِشَ رقم (١) مـ ص ٨٦ مِنَ الْمَهَاجِ الْوَاضِعِ جـ ٣ .

**يفضي حباءً ويفضي من مهابته فلام يكلم إلا حين يبتس
٢ - الخلل بالفاعل :**

كقول الله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » أى فإذا قضيت الصلاة، قوله تعالى : « وعرضوا على ربكم صفا » أى عرضهم الله عليه صفا .

٣ - الجهل بالفاعل :

كقول القائل : كسر باب داري ، وسرق مالي ، وخطف ولدي . بالبناء المجهول في الأفعال الثلاثة لعدم معرفة من فعل ذلك .

٤ - الخوف من الفاعل :

كقولنا : قتل فلان إذا كنا نعرف القاتل لكننا نخاف على أنفسنا منه أو من أحد أعزائه .

٥ - الخوف على الفاعل :

كان تقول الأم لزوجها : كسر زجاج المكتبة ؛ خوفاً على ابنتها الذي كسره من عقاب والده .

٦ - الإيهام بتصوّن اللسان عن ذكره :

كقولك عن زميلك الذي زين له الشيطان خطيبته : زين له فعلته الشنيعة ؛ صوننا للسانك عن ذكر كلمة (الشيطان) وكقولك : من علامات الساعة أن يظهر ، ولا تقول : المسيح الدجال .

٧ - الإيهام بتصوّنه عن اللسان :

وما أكثر ما نقول : قال تعالى ، وقال عليه السلام ، الأصل قال الله تعالى ، وقال رسول الله عليه السلام ، لكننا نجل اسميهما عن ألسنتنا التي تتحرك بالشر أكثر مما تتحرك بالخير .

* * *

انتهى ما أردنا إثباته من نوعي حذف المسند إليه مبتداً كان أو فاعلاً .

وقد أحسن السكاكي صنعاً حين ترك باب حذف المسند إليه مفترياً ورامة لمن يأتيه بعده ، عليه يستتبط عللاً أخرى لحذفه بقوله : « وإنما لأغراض سوى ما ذكرنا مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات لا يهتدى إلى أمثالها إلا العقل السليم والطبع المستقيم ، وقلما

ملك الحكم هناك شيء غيرهما فراجعهما^(١) .
وأنا مع السكاكي فيما قاله ، وهأنذا أترك مثله بباب الاجتهاد مفتوحاً ، واللهم سدى على
هذا الدرب كل من جاء بعدَ . أمين .

ثانياً : حذف المسند

المسند المحفوظ كالمسند إليه المحفوظ يكثر أن يكون خبراً لمبتدأ أو فعلًا لفاعل .

حذف المسند الخبر

ودواعى حذف المسند الخبر كثيرة منها :

١ - الاحتراز عن العبث :

ويترجح حذف المسند الخبر لهذا السبب في ثلاثة حالات هي :

(ا) إذا جاءت جملته بعد إذا الفجائية وكان الخبر دالاً على معنى عام مفهوم من الكلام .

تقول : دخلت المكتبة فإذا صديق قديم . أى فيها أو بها أو أمامي .
وخرجت من البيت فإذا المطر . أى من هر .

ونزلنا من الطائرة فإذا المستقبلون أى متظرون .

(ب) إذا كانت جملته جواباً على استفهام دال على الخبر .

كأن يسألني سائل : من معك ؟ فأجيب : زوجتي . وكان أسأل طالباً : من ذلك على
مراجع بحثك ؟ فيجيب : أبي . وكان أقول لأبني : من قال لك ذلك ؟ فيجيب أمن .

(ج) كذلك يترجح حذف الخبر إذا كانت جملته معطوفة على جملة اسمية أو معطوفاً
عليها جملة اسمية والمبتدأن مشتركان في الحكم .

فمن الأول قوله لأحد الصديقين : (عبد العزيز مشعل وعبد الحميد ناصر) : أنت ناج
وصديقك ، أى وصديفك ناج .

وقول الله تعالى : « أكلها دائم وظلها » أى وظلها دائم .

(١) مفتاح العلوم ص ٨٤ .

وقول ضالع؛ بين الحارث البرجمي:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فانسى وقيار بها لغريب
أي فاني لغريب وقيار غريب .

وقول الفرزدق :

وليس قوله من هذا يضافه العرب تعرف من أنكرت والعم

أو كما قال السكاكي : « تخيل أن العقل عند الترك هو معرفة ، وأن اللفظ عند الذكر معرفة من حيث الظاهر ، وبين المعرفتين بون ، ولك أن تأخذ من هذا القبيل قوله عز وعلا : « اللهم سل لـ أـ حـ قـةـ ، أـ نـ بـ ضـ وـهـ ، أـ يـ إـ لـ لـ حـ قـةـ ، أـ نـ بـ ضـ وـهـ ، سـ وـ لـهـ كـ ذـكـرـ ».

٣- ينفي المقام مع قوله الاختصار كقول المتنبي:

قالت وقد رأت اصطفاري من يه وتنهدت فاجبته : المتنهد

(من به) تعنى : من المطالب به ، أى بتعريض هذا الاصغرار وتحويله إلى لون الصحة والسعادة ، ولا يكون المحنوك هنا خيراً إلا إذا جعلنا التقدير (المتنهد هو المطالب به) . أما إذا جعلنا التقدير (هو المتنهد) فإن البيت يكون مثلاً لحنف المسند إليه لا المسند .

• • •

بـواعـم، حـذف المسـند الفـعل كـدواعـم، حـذف المسـند الخـير كـثـيرة مـنـها :

١- الاحتراز عن العيش:

وأكثُر ما يَكُون ذَلِك إِذَا وَقَعَتْ الجَمِيلَةُ الْفَعْلِيَّةُ الْمُحْنَفَةُ الْفَعْلُ جَوابًا عَنْ سُؤَالٍ مُنْصَوصٍ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ » التَّقْدِيرُ : خَلَقُهُنَّ اللَّهُ ، وَقَرْلَهُ تَعَالَى : « وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَأَخْيِهِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ » التَّقْدِيرُ لِيَقُولَنَّ نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً .

أو غير منصوص عليه في الكلام بل مقدر كقول الحارث بن خرار النهشلي في رثاء أخيه يزيد :

ليبيك يزيدُ خارعَ لخصومةِ ومحبطةٍ معاً تطبيعَ الطواعنةِ

الشارع : الضعيف عن الخصومة ، والمحبطة : طالب العطاء دون معرفة ولا قرابة كان
سئلاً سألاً : من يبيكِه ؟ فأجيب : ضارع ومحبطة أى ليكِه ضارع ولديكِ محبطة ، وكاليت
فرامة من قرأ : « يُسَبِّح لِهِ فِيهَا بِالْفَدْوِ وَالْأَصْنَالِ رِجَالٌ » وقراءة : « كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى
الذين من قبلكِ الله العزيز الحكيم » .

يبناء الفعلين (يسبح) و (يُوحى) للمفعول ، يقول الفزويين :

«وفضل هذا التركيب على خلافه أعني نحو «لَيْكَ يَزِيدُ حَسَارَع ...»

- بناء الفعل للفاعل ونحيب (يزيد) من وجده:

أحداها : أن هذا التركيب يفيد إسناد الفعل إلى الفاعل مرتين : إجمالاً ثم تفصيلاً.

الثاني : أن نحو (يزيد) فيه ركن الجملة لا فضلة ، وكونه ركناً في الجملة يفيد الاعتناء به ويناسب مقام رثائه .

الثالث : أن أوله غير مطبع للسامع في ذكر الفاعل ، فيكون عند ورود ذكره كمن تيسرت له غنية من حيث لا يحتسب ، وخلافه بخلاف ذلك (١)

(١) بقية الإيضاح ج ١ من ١٦٨ .

التحقّيق والتأثّر

مکالمہ

معلوم أن المستد إليه والمستد هما العنصران الأساسيان في الجملة العربية اسمية كانت ألم فعلية ؛ والأصل في الجملة الفعلية أن يأتي الفعل أولاً والفاعل ثانياً والمفعول به أو غيره من القيد ثالثاً ، والأصل في الجملة الاسمية أن يأتي المبتدأ أولاً والخبر ثانياً .

وكان المنتظر أن الكلام إذا جاء على الأصل يكون شيئاً طبيعياً لا يحتاج إلى تعليل .
لكن الاعتبارات البلاغية - وهى جمالية - قد تجد لتقديم ما حقه التقديم ولتأخير ما حقه
التأخير وجهاً أو أكثر من وجوه الحسن فتقوله بل تقرره ، وأكثر من ذلك ترحب فيه وتدعو
إليه ، كما قد تجد فى جريان الكلام على خلاف الأصل دقائق بلاغية ومؤشرات أدائية
فتقولها بل تقررها وأكثر من ذلك ترحب فيها وتدعو إليها .

ولأن السبب في تقديم المقدم هو بعينه السبب في تأخير المؤخر كان تعليل هذا العمل المزدوج تعليلاً واحداً يقال مرة واحدة ولا يتكرر.

لكن ما سبق الإشارة إليه من أن البلاغة تعلل الأصل مثلاً تعلل الفرع ، قد جعلنا نقف عند تقديم المستند إليه وهو الأصل مثلاً نقف عند تأخيره وهو الفرع (في الجملة الاسمية) وأن نقف عند تقديم المستند وهو الأصل مثلاً نقف عند تأخيره وهو الفرع (في الجملة الفعلية) وإن فسدرس التقديم والتأخير على الوجه الآتي :

التقديم : } تقديم المستند إليه .
} تقديم المستند .

التأخير : } تأخير المسند إليه .
} تأخير المسند .

والارتباط قائم بين الأول في التقديم وهو تقديم المسند إليه والثاني في التأخير وهو تأخير المسند ، فإن دواعي تقديم المسند إليه هي التي أخرت المسند .

كما أن الارتباط قائم بين الثاني في التقديم وهو تقديم المسند والأول في التأخير تأخير المسند إليه ، فإن نوعي تقديم المسند هي التي أخرت المسند إليه ، ولهذا قلنا ما قلناه من أن تعليل العمل المزبور تعليلاً واحداً .

وها هو ذا القزويني يفيض في نوعي تقديم المسند إليه من ص ١٠٧ إلى ص ١٣٤ حتى إذا جاء إلى نوعي تأخيره اكتفى بقوله : « أما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند » ص ١٣٤ ويفيض في نوعي تقديم المسند من ١٩٩ - ٢٠١ حتى إذا جاء إلى نوعي تأخيره اكتفى بقوله : « وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه - أى أولاً - أهم »^(١) .

ولا عجب ، فأغراض تأخير المسند هي أغراض تقديم المسند إليه ، وأغراض تأخير المسند إليه هي أغراض تقديم المسند ، والله أعلم .

التقديم

أولاً : تقديم المسند إليه

لا يفوتني التعجب من كثرة ما أورده البلاغيون تبريراً لتقديم المسند إليه مع أن تقديمها هو الأصل بل هو الأمر الحتم إذا كانت الجملة اسمية لم يتقدم فيها الخبر على المبتدأ لأسباب نحوية .

لكنها البلاغة وجمالياتها ، ولكنهم البلاغيون وفتياهم ، ولا أبرئهم من أنهم كانوا نحويين أكثر منهم بлагعين في بعض تبريراتهم كقولهم : « وأما الحالة التي تتضمن تقديمها على المسند فهي متى كان ذكره أعم ؛ ثم إن كونه أعم يقع باعتبارات مختلفة ، إما لأن الأصل ولا مقتضى للعدول عنه »^(٢) ، وهذا اعتبار رهن بكون المسند إليه مبتدأ غير مؤخر وإن ن فهو اعتبار نحوى بحت ، وكقولهم : « وإنما لأنه ضمير الشأن والقصة ، نحو هو زيد منطلق »^(٣) ، فهذا اعتبار نحوى أكثر منه بلافى إن لم يكن نحوياً صرفاً ، لأن تطبيق القاعدة نحوية الثالثة « إن ضمير الشأن ملائم التقديم » .

* * *

(١) أراد أن يقول : « فلن تقديم المسند إليه أعم ، لكن ثانته الدقة .

(٢) المفتاح من ٩٣ وبنية الإيضاح ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) المفتاح من ٩٣ .

ولا أقف عندما زحموا به أسباب تقديم المسند إليه على المسند من أصول علم المنطق
وقضاياه وقواعدة ، وتصورهم عن هذا كله فيما هم بعده ، وإلا خرجت بما أوردت من ذلك
عما جعلته شرط كتابي بل اسمه .

فلا يقتصر على التعليقات البلاغية لتقديم المستند إليه على المستند عملاً بالمثل القائل «ما الله له وما ليقسر لقيصر» ومن ذلك ما يأتي :

١- تمكن الخير في ذهن السامع ، لأن في المبدأ تشويقاً إليه كقول المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

تقديم المسند إليه هنا وهو اسم الموصول؛ لأن صلته تشوق النفس وتشير فضولها إلى معرفة المسند، والحاصل في النفس بعد التشويق إليه أوقع فيها وأمكن منها.

٢- تعجيل المسرة أو المساءة بالمسند إليه المتقدم نحو : السعد في دارك أو النحس في دارك ونحو : النجاح ثلته أو الرسوب أصابك .

(٣) تعجّيل التبرك به نحو اسم الله عليك ، ونحو المصطفى عليه يفرح بزواره في
روضته .

(٤) تعجيل الأمان به مثل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٥) تعجیل التلذذ به کقول جمیل:

**بثنية ما فيها إذا ما تبصرت معاب ولا فيها إذا نسبت أشب
نكتول قيس :**

بِاللَّهِ يَا ظَبَابَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لِيَلَى مَنْكُنْ أَمْ لِيَلَى مِنَ الْشَّرِ

(٦) التعجيل بتعظيمه أو بتحقيره :

فالاول كقول الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمة بيئتهم » .

.. والثاني كقول الرسول عليه السلام: « الدنيا لا تساوى عند الله حنام بعوضة »

(٧) الإشعار بأن اتصافه بالخبر هو المطلوب لا نفس الخبر ، كما إذا سـ -
عن الشيخ الحاج فلان : ماباله ؟ وكيف حاله ؟ فتأجبت الشيخ الحاج فلان يشرب ويطرد
ويطهرونيلعب .

(٨) إفادة تخصيص المسند إليه بالخبر الذي هو جملة فعلية ، وذلك إذا ولى إليه المتقدم حرف النفي ، يقول عبد القاهر « وقد يقدم المسند إليه ليقيد تخصيصه بالخبر الفعلى إن ولى حرف النفي كقولك : مأثنا قلت هذا ، أى لم أقله مع أنه مقول ، فافتاد نفي الفعل عنك وثبتته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا في شئ ثبت أنه مقول ، وأنت ت يريد نفي كونك قائلًا له ، ومنه قول الشاعر :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جَسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

إذ المعنى أن هذا السقم الموجود ، والضرم الثابت ما أنا جالبًا لهما ، فالقصد إلى نفس كونه فاعلاً لهما لا إلى نفيهما ، وللهذا لا يقال مأثنا قلت ولا أحد غيري ، لمناقشة منطق الثاني (ولا أحد غيري) مفهوم الأول (ما أنا قلت) ، لأن مفهومه أن غيره قاله ، بل يقال ما قلت أنا ولا أحد غيري ^(١) .

(٩) إفادة زيادة تخصيص المسند إليه المتقطم بالمسند المتأخر.

كتقول الشاعر :

مَتَى تَهَذِّبُ بَنِي قَطْنٍ تَجْدِهِمْ سَيِّوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيِّوف
جَلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ وَإِنْ ضَيْفَ الْأُمِّ فَهُمْ خَفَّوْف

يقول السكاكي « والمراد هم خفوف يقصد أن الشاهد (هم خفوف) فقد زاد الضمير (فهم) من اختصاص بنى قطن بالكرم ، ربما ، لأن هنا ملفوظ ، أما في صدر البيت فملحوظ ، وقد قيل إن زيادة المبني تستلزم زيادة المعنى . والله أعلم .

(١٠) تقوية الحكم :

تقول : محمد نجع فتكون قد قررت الحكم بإسناد النجاح إلى محمد مرتين مرة إلى اسمه ومرة إلى ضميره ، وللهذا كان محمد نجع أبلغ من نجع محمد .

ويسبيل من تقوية الحكم بتقديم المسند إليه الفاعل الكلمتان (غير) و (مثل) وذلك إذا استعملناها في إثبات الحكم بطريق الكناية ، تقول : مثلك لا يكذب ، وغيرك لا يفني ، دون أن تقصد التعريض بشخص معين في المثالين ، وإنما تزيد نفي الكذب عن مخاطبك في

(١) بقية الإيضاح ج ١ ص ١١١ .

المثال الأول ، وإثبات الوفاء له بطريق الكناية ، لأنك إذا أردت العموم في (مثل) و (غير) فقد نفيت الكذب عن كل من كان مثل المخاطب ، ولزم من ذلك نفي الكذب عنه ، ونفيت الوفاء عن كل ما سواه ، ولزم من ذلك إثبات الوفاء له ، لأن الوفاء حينئذ لا يكون له محل يحل به غيره.

ومن ذلك قول المتنبي يعني سيف الدولة :

متك يثنى الحزن عن صوبه ويسترد الدمع من غربه

وقوله عن نفسه :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

* * *

ووجه إثابة الكناية للتقوية أن الكناية بأشد وضوها البلاغي تفيد تقوية الإسناد ، لأننا ننتقل فيها من الملزوم إلى اللازم ، وقد قلنا في فضلها إنها التفضية ويرهانها والدعوى ودليلها ، فإذا اتضاف إلى ذلك أن التقديم ولو لم يكن عن طريق الكناية يفيد تقوية الحكم ، يكون قد اجتمع لنا هنا سببان لتقوية الحكم مما :

تقديم المسند إليه أولاً ، ومجون هذا التقديم على سبيل الكناية ثانياً .

وهذا التعليل المزدوج هو السبب في مجيء المسند إليه (مثل) والمسند إليه (غير) مقدمين دائماً .

(١١) إثابة شامل النفي أي عموم السلب ، وإثابة نفي الشامل أي سلب العموم .

ويتحقق الأول إذا كان المسند إليه المقدم دالاً على العموم وأعقبته إثابة نفي لا تطوله أي لا يقع المسند إليه في حيزها ، وذلك كقولك : كل مهملاً لا ينجح .

هنا المسند إليه كلمة (كل) الدالة على العموم ، وهي ليست داخلة في حيز النفي الذي أفادته (لا) بل خارجة عنه ، وقد صار الكلام بهذا ينفي شامل النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه ، لكننا قلنا « لا ينجح أحد من المهملين » ، والسبب في ذلك أن كلمة (كل) قد تسلطت على النفي فاكتسبته العموم .

ولو أردنا العكس وهو نفي الشامل بما علينا إلا أن نقدم النفي على المسند إليه الدال على العموم كقول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تستهى السفن

وقول أبي العناية :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا لك رأى مشكل فـ
والفرق بين هذا والذى قبله أن النفى هنا لا يشمل جميع أفراد المسند إليه بل بعضهم
فقط ، فالمعنى فى بيته المتبني بأبي العناية ، أن الإنسان لا يحقق كل أماناته بل بعضها ،
وأن آرائه موزعة على الصواب والخطأ ، أما النفى فيما سبق فيشمل كل أفراد المسند إليه
لتسلط (كل) على النفى لا العكس .

ثانياً : تقييم المسند

عمل السكاكي تقديم المسند على المسند إليه بثمان علل ، أولها نحوى هو « أن يكون
المسند متضمناً للاستفهام كنحو « زيد؟ وأين عمرو؟ ومتى الجواب؟ » .

وآخرها كذلك نحوى هو « أن يكون المراد بالجملة إفاده التجدد دون الثبوت فيجعل
المسند فعلاً ويقدم أدلة على ما يسند إليه » ^(١) .

ونزد الأول بأن لزوم الاستفهام صدر الكلام لزوم نحوى لا بلاهى ، ونزد الثاني بأن ما
قاله إنما هو الأصل في الجملة الفعلية معنى ومبين .

وسوء ووفقاً على رأينا هذا أو خوالقنا فيه فقد ذكرنا السببين الأول والأخير من أسباب
تقديم المسند على المسند إليه من وجاهة نظر السكاكي ، ولم يكن بوسعينا أن نرفضهما لو أنه
قرئ كلامهما بوجه بلافى .

أما الحال بالنسبة للأخرى فهو :

١ - تشخيص المسند المتقدم بالمسند إليه المتأخر كقول الله تعالى : « لكم دينكم ولـ
دين » وقوله تعالى : « لله ملك السموات والأرض » وقوله تعالى : « لا فيها غول » ، وقولك لمن
يقول : زيد إما قائم وإما مقاعد فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحد هما -
قائم هو ، وقول بعضهم « تميى أنا » وقول الشاعر :

رضينا قسمة الجبار فيما لنا علم وللأعداء مال

وقول الآخر :

لك القلم الأعلى الذي يشباته يُصاب من الأمر الكلى والمقابل

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٠ .

**٢ - التقنية ابتداء على أن المسند المقدم خير للمسند إليه المؤخر
لأنه له :**

كقول الله تعالى : « ولهم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » وكقولك : تحت رأسى
وسادة وعلى جسمى عباءة ، وكقول حسان بن ثابت في مدح النبي ﷺ :

له هم لا منتهى لكتارها وممتـه الصفرى أجل من الدهـر
له راحـة لو أن معاشر جودها على البر كان البر أندى من الـبحر
وقول الخنساء في أخيها صخر :

أغـر أبلـع يـاتـم الـهـدـاـة بـه كـانـه عـلـم فـي رـاسـه نـار

وقول الشاعر :

لـكـ جـديـد لـذـة غـير أـنـتـي وجـدتـ جـديـد الـموـت غـير لـذـيد
٣ - الاشـهـار باـقـ قـلـبـ السـامـع مـعـقـوـبـ بـه :

كقولك : قد هلك خصمك ، وقد ظهرت نتيجة امتحانك ، وقد تحددت إجازة الصيف ،
وحجزنا لك ذهاباً وإياباً .

٤ - البـالـة عـلـى أـهـمـ مـنـ المسـنـد إـلـيـه عـنـ التـكـلام :

كقولك : عليه من الرحمن ما يستحقه .

وكقول الشاعر :

سـلـام اللـه يـا مـطـرـ عـلـيـها وـلـيـسـ عـلـيـكـ يـا مـطـرـ السـلـام
فـيـ الفـرقـ بـيـنـ هـذـهـ الـعـلـةـ ،ـ وـالـعـلـةـ السـابـقـةـ :

أـنـ هـذـهـ مـنـظـورـ فـيـهاـ إـلـىـ الأـدـبـ ،ـ أـمـاـ السـابـقـةـ فـمـنـظـورـ فـيـهاـ إـلـىـ مـتـقـىـ الأـدـبـ .
٥ - التـفـاؤـلـ بـهـ إـلـاـ كـانـ حـالـ حـالـ لـكـ :

كقول ابن الرومي :

يـمـنـ اللـهـ طـلـعـةـ الـمـهـرجـانـ كـلـ يـمـنـ عـلـىـ الـأـمـيـرـ الـهـمـانـ
وقول الآخر :

سـعـدـ بـغـرـةـ وـجـهـكـ الـأـيـامـ وـتـزـينـتـ بـبـقـائـكـ الـأـعـوـامـ .

٦ - التـشـوـيقـ إـلـىـ الـمـسـنـدـ إـلـيـهـ الـمـتـأـخـرـ :

وـذـكـ إـذـاـ كـانـ فـيـ الـمـسـنـدـ الـمـقـدـمـ مـاـ يـشـوـقـ إـلـىـ الـمـسـنـدـ إـلـيـهـ وـيـجـعـلـ السـامـعـ مـسـتعـجاـ

معرفته ، كقول محمد بن وهيب في مدح أبي إسحق المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الفضى وأبو إسحاق والقمر ^(١)
وقول المعري :

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان

وقول الشاعر :

ثلاثة ليس لها إياب الوقت والجمال والشباب

وقول القائل :

ثلاثة يذهب عن المرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

يقول السكاكي : « وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند وإلا لم يحسن ذلك
الحسن » ^(٢).

انتهت العلل التي ذكرها السكاكي لتقديم المسند .

ويمكن تلمس علل أخرى من نصوص أخرى . كاالقصد إلى علم المتعجب منه وإنما الإنكار
له ، يقول الله تعالى : « أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم » ؟ ويقول الشريف من اتهمه
بالسرقة : أصل أنا ؟

وكم يباء التائم والتاذم

يقول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًا له ما من صداقته بد

ويقول صديقي : من سوء حظى أني تزوجت امرأة لاذعة .

التأخير

أولاً : تأخير المسند إليه :

يقول السكاكي : « وأما الحالة التي تقتضي تأخيره عن المسند فهي إذا اشتمل المسند

(١) جعل بعضهم هذا البيت وأمثاله من تقديم المسند إليه على المسند وهو خطأ إذ لا يخبر بالمعرفة عن التكرا.

(٢) مفتاح العلم ص ١٠٦ .

على وجهه من وجوه التقديم «^(١)».

ووجوه تقديم المسند على المسند إليه هي وجوه تأخير المسند إليه عن المسند، وهي ما قد فرغنا منه تواً.

ثانياً: تأخير المسند:

يقول السكاكي: «وأما الحالة المقتضية لتأخير المسند فهي إذا كان ذكر المسند إليه أعم كما مضى في المسند إليه، وإياك أن تظن بكون الحكم على المسند إليه مطلوبًا استيجاب صدر الكلام له، فليس هو هناك فلاتتفق»^(٢).

والسكاكي في هذه العبارة المختصرة ينهى إلينا أن ثمة علا بلا غية لتقديم المسند إليه على المسند، أى لتأخير المسند، ويمضي فيحذر من الظن بأن كون المسند إليه مطلوبًا للحكم عليه مستوجب وحده تقديمها.

التحريف والتنيكير

التحريف

أولاً: تحريف المسند إليه:

أشار محمد بن علي الجرجاني إلى فائدة تعريف المسند إليه بقوله:

«فائدة تعريف إجمالاً أن المعرفة أخص من النكرة، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد، لكنه أقل احتمالاً لغير المراد من النكرة»^(٣) وهي فائدة عامة وملحوظة في أي مسند إليه معرفة، ولو أن عبارة الجرجاني قد غمضت يجعله ضمير المسند إليه مؤنثاً مرة في (كانت) – يقصد المعرفة – ومؤنثاً مرة في (لكنه) – يقصد المسند إليه – ولا عجب؛ فهو أعمى فارسي ليس العربية لغة الأصلية.

والسكاكي أغمض من الجرجاني في هذا الصدد، لكنه وضح كلامه بأخرة في قوله:

(٢) مفتاح العلوم ص ٩٤.

(١) مفتاح العلوم ص ١٠٥.

(٣) الإشارات والتنبيهات ص ٣٦.

« وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قوله : شيئاً ما موجود ، وفي قوله : فلان ابن فلان حافظ للتوراة والإنجيل ، يتضح لك ما ذكرت »^(١) .

ولم يكن الأستاذ أحمد مصطفى المراغي موقفاً في قوله : « والتعيين في المعرفة إما أن يكون بنفس اللفظ كما في الأعلام . وإما بقرينة خارجية كما في غيره من بقية المعارف »^(٢) ، فجميع المعرف يتم التعيين فيها بنفس اللفظ لا فرق في ذلك بين علم وضمير واسم إشارة واسم موصول . . . ، والقرينة الخارجية قاسم مشترك بينها كلها ، فمحمد علم على الشخص المعنى بمحمد ، ونهاية علم على الفتاة المسماة بهذا الاسم .

كما أن الضمير دال على صاحبه متكلماً كان أو مخاطباً أو غائباً ، واسم الإشارة دال على المشار إليه ذكراً كان أو أثني ، ومفرداً كان أو مثنى أو جمعاً .
ولأن الضمير أعرف المعرف فإننا سنبدأ به .

والحق أن اللغة تسبق البلاغة في جعل المستند إليه ضميراً أو لا ، وفي جعله ضميراً تكلم أو خطاب أو غيبة ثانية ، ولو كان الأمر بيدي ما جعلت للبلاغة هنا مدخلاً ؛ فلا مندوبة - متى كان المقام مقام تكلم - من أن أقول (أنا) أو من أن نقول (نحن) .

قال النبي ﷺ : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

وقال عمرو بن كلثوم :

ونحن التاركون لما سخطنا ونحسن الآخذون لما رضينا

ولا مندوبة - متى كان المقام مقام غيبة - من أن نقول بلا أي جهد بلاغي :

هو نجح وهي نجحت وهما نجحا أو نجحتا وهم نجحوا وهن نجحن ، ولقد جمع القاسم ابن حنبل البرى في بيته الآتيين بين أربعة خسمائة لغبية قال :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستحضر بهم أحسأوا
وهم حلو من الشرف المعلى ومن حسب العشيره حيث شاعوا
وقات الله تعالى : « اعدوا هو أقرب للتقوى » أى العدل ، وقال تعالى : « ولا يوبئه لكل

(١) مفتاح العلوم ص ٨٥ .

(٢) علوم البلاغة ص ١٣٣ دار الباز للنشر والتوزيع - المروءة - مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

واحد منها السادس « يقصد أبوى الميت ، وقال « حتى توارت بالحجاب » يعني الشمس ؟ كذلك لا مندورة - متى كان المقام مقام خطاب - من أن أقول : أنت نجحت وأنتِ نجحتِ وأنتما نجحتما وأنتم نجحتم وأنتم نجحتم .

وما قالوه عن تمثيل البعيد من أن استحضاره ومخاطبته بعد حضوره الاعتباري مفید عموم المخاطب ، فإنما هي فائدة لغوية تقع من البلافة على حافتها لا في صميمها فلا ضرورة بل لا حاجة إلى أن يقول القزويني بعد السكاكي : « وأصل الخطاب أن يكون معين ، وقد يترك إلى غير معين كما تقول : فلان لنیم إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تزيد مخاطباً بمعينه بل تزيد : إن أكرم أو أحسن إليه فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم ، أي سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد ، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم » أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم ، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاها فلا تختص بها رؤية راء ، بل كل من تناهى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب »^(١) .

ويسبيل مما مثل به القزويني قول الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا
وقول الآخر :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنتم ومالك الدنيا سواه

* * *

وكالتعریف بالإضمار التعريف بالعلمية في أن فوائد البلاطية هامشية ومصطنعة ومنوعة وهذه نماذج منها :

(١) إيجنار المسمى في يندهن المخاطب باسمه الخاص به تبييزاً له
كن غيره كقول الله تعالى : « وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » .

وفي رأيي أن العلم هنا مستعمل استعمالاً لغرياً لا بلاغياً .

٩١ بفيه الإيضاح ج ١ ص ٧٤ وانظر المفتاح من ٨٦ .

(٢) التحيط أو الإهانة:

يتاتي ذلك إذا تمت التسمية بكنى أو ألقاب محمودة أو مذمومة ، تقول : أبو المعالى حضر وأنف الناقة ذهب .

ويثل الكنى والألقاب في ذلك الأعلام المنقوله عن معان مشعرة بمدح أو ذم تقول في التعظيم : جمال الدين مصلح ، وسيف الدولة بطل ، وصلاح الدين رفع رأس المسلمين . وتقول في الإهانة : ضرار أضر بنا ومتعب أتعينا وعشاء لا تعرف طريقها .

وعندى أن لا إهانة بل مناسبة ، وحتى لو سميينا شخصاً بـ (عدس) أو (شحات) أو (بطة) أو (قطة) كما يفعل بعض الناس في ريف مصر ليعيش صاحب هذا الاسم ، فلا إهانة بل علمية مجردة عن أي معنى سوى الدلالة على المسمى باسمه الذي أطلق عليه ابتداء ، وكل مثل ذلك في التعظيم ، وكان على البالغين إلا يتكلموا هذا المبحث .

(٣) التبرك:

وذلك إذا كان من أفراد هذا العلم من يتبرك بهم لتقواهم وصلاحهم ، أقول : الحسن ابني والحسين أخي وعائشة زوجتي وفاطمة ابنتي .

وذلك إذا كان في الإمكان التحدث عنهم بغير العلمية لكنني أثرتها تبركاً بهذه الأسماء التي تشبه أن تكون دينية .

(٤) التفاؤل أو التشاور:

مثل : سعد في داري ، وسعيد صهري ، السفاح في حيكم ، والشيطان في بيتك . وما قلناه في التعظيم والإهانة قوله في التفاؤل والتثاؤل ، إنما هي المناسبة أو الصدفة .

(٥) التلذذ:

قول قيس :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلى منكن أم ليلى من البشر
كان المنتظر أن يقول : « أم هي من البشر » لكنه أظهر في مقام الإضمار تلذذاً باسم حبيبته .

ويزحم (وزن الشعر) (التلذذ) فى التبرير لإحلال (ليلي) محل (هى) بل إن وزن الشعر يسبق التلذذ .

(٦) التسجيل على السامع لقطع طريق الإنكار عليه :

يقول القاضي للشاهد : هل افترض إبراهيم المكي من أحمد المدنى ألف ريال أمامك ؟
فيجيب : نعم افترض إبراهيم المكي من أحمد المدنى ألف ريال أمامى ، وذلك بدلاً من أن
يقول : نعم ، ويسكت ، أو يقول : نعم هو افترض المبلغ منه .

(٧) الكنایة عن معنى يصلح العلم للکنایة عنه :

بأن يكون العلم منقولاً عن أصل هذا المعنى ، فلا تنسى فيه - وهو علم - دلاته ولا تزايده
نكته . تقول : الجبالي نو حصاة كنایة عن رزانته ، وينوى له من اسمه تصيب كنایة عن
خشونته وغفلته وتقول : كان أبو لهب شديد العداوة لرسول الله ﷺ ، فأنبو لهب باعتبار
أصل وضعه مشعر بملابسية الهب ، وفي التسمية به كنایة عن جهنميته ، وقل مثل ذلك في:
أبو الشر أشعل الحرب ، ولو قلت : أبو الفضل أتجنب خالد الذكر ، وأبو الخير كسب جماع
الشر ، فإن استعمال (أبو الفضل) و (أبو الخير) استعمالاً علمياً يسمح بأن تلمع المعنى
الأصلى لهما وأن نكتى عنه بهما .

التحريف بالمسؤولية

وعله بلاغية لا نستثنى منها إلا أولها وهو :

(١) عرّاف معرفة شيءٍ عن المسند إليه سوى الصلة :

كقوله تعالى : « فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه » ، وكقولك لنفسك أو لغيرك :
الذى حل المسألة طالب كفاء ، وكقولك لشقيقك : ما عثثنا عليه ونحن نحرث الأرض شيئاً
ثمين ؛ إذ لا سبيل لك إلى غير ذلك ، فهو متعين عليك ولا يمكنك أن تعرف ، إلا بهذه الصلة .
لا بلاغة إذن ، لأن البلاغة تكون حيث يكون بوسعك أن تعيّر بهذا أو بذلك أو بذلك ،
فتفضل بينها وتختر أحدها .

(٢) استهجان التصریح بالاسم الدال على المسند إليه كقول الفقهاء : ما يخرج من السبيلين ينقض الوظيفة .

(٣) زيارة تقرير الغرب من الكلام:

كقول الله تعالى : « وراثته التي هو في بيتها عن نفسه » ، فالفرض من الكلام إنما هو تزية يوسف عن الفحشاء ، والتعبير بالمسؤولية أدل على هذا الفرض من التعبير بأمرأة العزيز أو زليخا ، لأنه إذا كان في بيتها سهل عليه ثبيرة طلبها ، فإذا لم يستجب لها كان ذلك أدل على عفته وزمامته ، وكقول أبا العلاء :

أعياد المسيح يخافُ صحبى
ونحن عبيد من خلق المسيحنا
فـ (عبيد من خلق المسيح) أدل على غرض المعنى ، وهو نفي الخوف عن المسلمين مما
لوقال « ونحن عبيد الله »

(٤) التفخيم:

كقول الله تعالى : « فغشיהם من اليم ما غشيم »

وقوله تعالى : « فغشاما ما غشى » .

وقول عبد الله الريسي يصف الخمر وأثرها :

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي
(٥) تحليل المستند مع الإيحاء به قبل مجئه ثواباً كائناً أم عقاباً :

فال الأول كقول الله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » ،
والثاني كقول الله تعالى : « إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » .

المحصلة في الآيتين إلى المسند ، وعلت استحقاق المسند إليه له ، أو نقول : إنها
في الآية الأولى بكرت ببشرت ، وفي الآية الثانية بكرت فأنذرت .

(٦) التنبيه على الخطأ:

سواء كان خطأ المخاطب أم خطأ غيره .

فمثال الأول قول الله تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أموالكم » فقد ثببت
محصلة المسند إليه على خطأ المخاطبين وهو أنهم يدعون من دون الله عباداً لا يفذون لهم بل

هم مثلكم ، وقول عبدة بن الطبيب لبنيه :
إن الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل مدورهم أن تصرعوا
ومثال الثاني قول الشاعر :

إن التي زعمت فؤادك ملئها خلقت هواك كما خلقت هوئ لها
هنا أفادت الموصولة التنبية على خطأ المحبوبة في زعمها أن قلب الشاعر ملئها ،
ولنلاحظ أن الشاعر لا يخاطب محبوبته بل يخاطب نفسه .
(٧) اتخاذ المسؤولية وسيلة إلى تعظيم الخبر أو تحقيمه .
فمن تعظيم الخبر قول الفرزدق :

إن الذي سمع السماء بني لنا بيته دعائمه أعز وأطول
في (الذي سمع السماء) إيحاء بأن الخبر المحكوم به من جنس الصلة السابقة ؛ ولم
يقصد الشاعر هذا الإيحاء لذاته ، بل ليتخذه وسيلة إلى تعظيم شأن بيته ولا عجب ، فبيانه
هو الذي رفع السماء .

ومن تحقيمه الخبر قول القائل :
إن الذي لا يحسن التأليف قد ألف كتابا .

ففي المسند إليه الموصول بإيماء إلى أن الخبر المترتب عليه من نوعه ، وقد جعل القائل
هذا الإيماء وسيلة إلى تحقيمه الكتاب المؤلف ، ولا عجب ، فهو صادر عن لا يحسن التأليف .

(٨) اتخاذ المسؤولية وسيلة إلى تعظيم غير الخبر أو تحقيمه :
فمن تعظيم شأن غير الخبر قول الله تعالى : « إن الذين كذبوا شيئاً كانوا هم
الخاسرين ». المقصود هو تعظيم شأن شعيب ، لأن تكذيبه جعل الأذكيين خاسرين ، وشعيب
قد أتى في الكلام قبل الخبر .

ومن تحقيمه غير الخبر قول الأستاذ لطلايه : الذي يصادق المهملين يفقد احترامي له .
غرض الأستاذ إنما هو تحقيمه شأن المهملين ، لأن من يصادقونهم يفقد احترامه لهم .
لكن كلمة (المهملين) قد جاءت في صلة الموصول لا في الخبر ، وهي التي استقطبت
التحقيمه لا الخبر .

(٩) جعل الموصولة وسيلة إلى الإشعار باق الخبر أمر ثابت ومحقق:

نجد ذلك في قول عبدة بن الطيب :

إن التي ضربت بيتاً مهاجرة بکوفة الجند غالٰت ودها غول

إذ في ضرب البيت بکوفة الجند ، والانتقال إليه للإقامة به دليل أكيد على انتفاء الود وانتهاء الحب ، بل على البغض ، فالإنسان لا يهجر وطنه إلا وقد قلّاه وقلّ من كان فيه معه .

(١٠) تشويق السامع إلى الخبر ليتمكّن في نفسه:

كتقول المعري :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

(١١) إخفاء الأمر على غير المخاطب : كقولك لوالد عروسك : ما أعطيته لك بالأمس من مال هو مهر ابنته ، والذى اتفقنا عليه سأتفذه .

* * *

(١٢) ونخت بنكبة سكاكيّة مزدوجة هي التعریض - عن طريق الموصولة - بتعظيم المسند إلى نفسه أو بياهانته .

تقول في التعظيم : الذي يرافقك يستحق الإجلال والرفع ، والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع .

وإن أردت أن تهين المسند إليه الموصول بدلاً من أن تعظمه قلبت الخبر في جملتي التعظيم فقلت : الذي يرافقك يستحق الإذلال والصفع ، والذي يفارقك يستحق الإجلال والرفع (١) .

يقول السكاكي مقسماً العدول عن التصريح بعامة ، وواصفاً له بأنه باب من البلاغة يصار إليه كثيراً وإن أورث تطويلاً . أجل . إنه قد خرج من الموصولة ودخل فيما يشبه الإلگاز وهو يحکى هاتين الطرفتين :

أقرَّ رجل عند شریع ثم رجع ينکر فقال له شریع : « شهد عليك ابن أخت خالتک » ابن أخت خالتک هو المخاطب نفسه : لأن ابن أخت خالتک هو أنت .

(١) مفتاح العلوم من ٨٧ .

أثر شرط التطويل لتعديل عن التصريح بنسبة الحماقة إلى المنكر .

وسائل أحد المتناهيين شريحاً قاتلاً له : على من قضيت ؟ فأجاب : « على ابن أمك »

عدل شریع عن لفظ (عليك) لذلا يجبه بما يشتمل على المخاصم من القضاء عليه .

التعریف بالاشارۃ

وطائفه البلاغية لا تكاد تنضبط على حد قول السكاكي ، وهو يقصد أنها من الكلمة بحيث لا تكاد تحصى ، لكنها - كغيرها مما سبقها وما سيلحقها من أصناف التعريف - مزيج مما هو لفوي لا فضل فيه لقائه ، لأنه لا غنى له عن أن يقوله ، وما هو بلاجي يقوله قائله ، لأنه يفضل غيره مما يمكن أن يحل محله ويؤدي أداءه لكن بدرجة أقل وبجمالية أخفت.

فمن الأول قولهم ترددأ لما قاله السكاكى قبلهم :

(١) ألا يكون لك إلى إحضار المسند إليه في ذهن قارئك أو سامعك سوى اسم الإشارة ،
بأن يكن حاضراً محسوساً ، والمتكلم والسامع لا يرتفان اسمه ولا شيئاً آخر يعينه .

وتصور مثل هذا الموقف سهل ، والتمثيل له أسهل ، تقول لجارك في الحفل : هذا الرجل من يكون ؟ وهذه المرأة زوجة من ؟

لكن أيكون مالا مندوبة لك عنه ، وما ليس في وسعك سواه خربياً من البلاغة !!؟ وإذا تصادف مع ذلك أو يرغم ذلك أن جاء بليغاً ربما بأصل وضعه ، وربما للظروف التي قلته فيها ، أو لاعتبار آخر لم ترده بل لم تلحظه ، أتكون بمثيل هذا القول ونحوه بليغاً ؟ طبعاً لا ، وهأنذا أسقطه من حساب البلاغة .

(٢) أن تقصد بيان حاله فى القرب والتوسط والبعد كقولك هذا وذاك . وأسائل :
ماذا فيما قلت من البلاغة ؟ إن هذا القول وأمثاله ~~مثلا~~ على المتكلم لا حيلة له فيه ، ولا
اختيار له معه .

ومن الثاني ما ياتي:

(١) تمييز المسند إليه أكمل تمييز للحالات على أنه في بُورة الله فهو
ذلك وينبغي أن يكون كذلك من قارئك أو سامعيك ، كقول الفرزدق في زين
العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب : ادعى هشام بن عبد الملك أنه لا يعرفه :

والبيت يعرفه والمل والصرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
بجده أنبياء الله قد ختموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطاته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

وقول ابن الرومى فى مدح أبي الصقر الشيبانى :
هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه عن نسل شيبان بين الفضال والسلم
وقول الحطينة :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البناء وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وقول واصف حاتم :
متسربل سربال ليلى أغبر
نحرتني الأعداء إن لم تنحرى
وإذا تأمل شخص ضيف مقبل
أوما إلى الكدماء هذا طارق
وقول الملensis :

إلا الأذلان غير الحي والوتد
وذا يشج فلا يرشى له أحد
ولا يقيم على ضييم يراد به
هذا على الفسف مربوط برمته
وقول الروينى :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم التعرير زنديقا

وبسبيل من تميز المسند إليه أكمل تميز تنزيل العقول منزلة المحسوس ملباً لإياضاحه ،
ورغبة في إحاطة المخاطب علماً به عن طريق حواسه ، قال تعالى : « ذلكما مما علمتني
ربى » وقال تعالى : « وذلكم ظنكما الذى ظننتم بريكم أرداكم » وقال تعالى : « ذلك تأويل مالم
تسنط عليه صبراً » وتقول لحديثه : هذا ما يفهم من كلامك .

ونغير بعيد عن تنزيل العقول منزلة المحسوس ، تنزيل الغائب منزلة الحاضر كقول الله
تعالى : « تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » .

(٢) القىلى إلى أن السامح غبى لا يتميز الشىء عنته إلا بالحس كقول الفرزدق :
أولئك آباءى فجتنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع

(٣) التحذير بالقرب:

كقول الله تعالى : « أهذا الذى بعث الله رسولا » و قوله تعالى : « أهذا الذى يذكر
آياتكم ». .

وقول المذلول بن كعب العنبرى واصفاً حال امرأته وقد رأته يطعن :

تقول : ودقت صدرها بيمنها أبعلى هذا بالرحي المتلاعس .^{١٩}

(٤) التحذير بالقرب:

كقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتي هى أقرب » .

و كقول جرير :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا

(٥) التحذير بالبعض:

كقول الله تعالى : « فذلك الذى يدع اليتيم » .

وكقولك : ذلك اللص سرقنى ، وأولئك المجان يجب ردعهم .

(٦) التحذير بالبعض:

كقول الله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

وقوله تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » ، و قوله تعالى على لسان
زليخاً : « فذلكن الذى لتننى فيه » .

لم تقل (وهذا) - وهو حاضر - رفعاً لمنزلته فى الحسن ، و تمهيداً للعذر فى الافتتان به .

(٧) التنبيه على استحقاق اسم الإشارة لما جاء بعده بسبب ما جاء قبله :

كقول الله تعالى : « فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و مَا
رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وهم بالأخرة هم يوفون *
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

جاء المسند إليه فى الآية اسم إشارة مع أن المقام لضمير لتقدير مرجعه ، تنويهاً بالمتقين

المشار إليهم بأولئك ، وتنبيهاً على استحقاقهم من أجل أوصافهم التي سبقت اسم الإشارة
ما جاء بعد اسم الإشارة .

وكل حاتم الطائني :

ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً
فتقى طلبات لا يرى الخمس ترحة
إذا ما رأى يوماً مكارم أغرضت
فذلك إن يهلك فحسب شفاعة
ولا شعبة إن نالها عدد مفيناً
تيعم كبراهمن ثنت صنعاً
 وإن عاش لم يقدر ضعيفاً مذمماً

فقد عدد حاتم للصلوك خصاً بـ فأضلاه من المضاء على الأحداث مقدماً ، والصبر على
الم جوع ، والأئمة من أن يعد الشعبة مفيناً ، وتيعم كبرى المكرمات ثم عقب على ما عدد
بقوله : (فذلك) فأقاد أنه جدير بما بعد (فذلك) .

تحريف المسند إليه باعتدال التحريف (أ) (أ)

وهو يتم في الحالات الآتية :

(١) إنما أريده بالمسند إليه الحقيقة نفسها :

أى بصرف النظر مما ينطوى تحتها من أفراد .

كقولك : الماء مبدأ كل حي ، والرجل أفضل من المرأة ، والكل أعظم من الجزء ، والحرير
أفضل من القطن ، وقول المعنى :

والخل كالماء يهدى لى هضمائه مع الصفاء ويغفيها مع الكدر

وقول الآخر :

الناس أرض بكل أرض وأنت من فوقهم سماء

وتسمى اللام في هذا الاستعمال لام الحقيقة أو لام الجنس .

(٢) إنما أريده بالمسند إليه بمعنى م بهم من أفراد الحقيقة :

كقول الله تعالى : « وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون » ، فالل في الذئب متصل على
أن يعقوب عليه السلام كان يخشي أن يأكل يوسف ذئب ما من أفراد حقيقة الذئب .

ومثل لام (الذئب) لام (الغراب) في قول الشاعر :

ومن طلب العلوم بغير كد سيدركها متى شاب الغراب

وتسمى اللام في هذا الاستعمال لام العهد الذهني .

(٣) إِنَّا أَرْيَطُ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ حِجَةً مُهِينَةً مِنَ الْحَقِيقَةِ :

كقول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري » ، وكما إذا قال لك قائل : جانبي رجل من قبيلة كذا ورجلان من قبيلة كذا ، ورجال من قبيلة كذا فقلت له : الرجل أعرفه والرجلان أعرفهما والرجال أعرفهم ، وكقول الله تعالى ، « وليس الذكر كالأنثى » أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي ولدت ، وتسمى اللام في هذا الاستعمال لام العهد الخارجي .

(٤) إِنَّا أَرْيَطُ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ الْعَمُومَ وَالْإِسْتَخْرَاقَ بِحَسْبِ الْحَقِيقَةِ أَوْ بِحَسْبِ الْعَرْفِ :

فالأول كقولك : الغيب يعلمه الله ، وكقول الله تعالى : « والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قوله تعالى : « ولا يفتح الساحر حيث أنت ». والثاني : مثل : قابل العمال وزير العمل ، وقابل القضاة وزير العدل . فالاستغراق هنا ليس استغراقاً على الحقيقة ، وإنما هم عمال البلد الذي منه الوزير ، وقل مثل ذلك في القضاة الذين قابلوا وزير العدل ^(١) .

* * *

و قبل أن نمضى عن المسند إليه المعرف بـ (أول) نقول مع محمد بن علي محمد الجرجاني : « إن (أول) موضوعة للدلالة على تعيين المسمى كما أن التنوين موضوع للدلالة على عدم تعيينه ، وإفادتها الجنس أو استغراق الجنس أو العهد ، لا تكون إلا بقرينة لفظية أو معنوية فإذا لم توجد القريئة لم تخرج (أول) عن دلالتها على تعيين المسمى » ^(٢) .

وعندى أن هذه الإفادات أمور زائدة على تعريف المثلى بـ (أول) وتعيينه : وكان مقتضى ذلك أن تكون لطائف بلاغية أو سبباً في لطائف بلاغية لولا أنها مسار مسلمات علمية : نحوية أو منطقية أو أصولية ، ومن هنا بطل فحواها البلاغي أو نقول في عبارة معتدلة بهت لونها البلاغي . والله أعلم .

(١) انظر السكاكي ص ٨٨ - ٨٩ والقزويني ج ١ ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) الإشارات والتبيهات ص ٤٠ .

تعريف المسند إليه بالإضافة

نوعي تعريف المسند إليه بالإضافة كثيرة منها :

١ - **الإضافة لمن المتكلم طريق سواها لاحتقاره في ذهن السامع** كقوله : غلام زيد مسافر ^(١).

هذا كلام السكاكي ، ونقل له : إن تعريف المسند إليه بالإضافة فيما قلته ومثلت له مفروض علينا ، وليس أمامنا طريق آخر نسلكه ، والبلاغة تكون حيث يكون الاختيار ، ولا يكون الاختيار إذا كان إجبار .

٢ - **الإضافة من المتكلم إلى إحتقاره في ذهن السامع طريق أخضر من الإضافة** ، وكان الموقف يستدعي الاختصار كقول جعفر بن علبة الحارثي :

هواى مع الركب اليماني مصعد جنب وجثانتى بمكة موشق
نهواى أخضر من الذى أهواه ونحوه ، وهو لهذا أنساب لجعفر الذى كان سجينًا بمكة عندما خادرتها حبيبه .

٣ - **إغفاء الإضافة عن تفصيل متغير** كقول مروان بن أبي حفصة من قصيدة ، يمدح بها معن بن زائدة :

بنو مطر يوم اللقاء كانواهم أسود لها في غيل خفان أشبل
(بنو مطر) : قوم معن ، وهم بطن من شيبان ، الغيل : الشجر المجتمع ، خفان :
مأسدة قرب الكوفة ، والأشبل : أولاد الأسود .

والشاهد في قوله (بنو مطر) فقد أغفت الإضافة فيه عن تفصيل متغير وقد يكون التفصيل متعرضاً إما بسبب الكثرة نحو ظاهر سكان القاهرة وإما بسبب الحرج من تقديم بعض على بعض دون مبرد مقنع نحو : أفتى علماء المذهب بكذا .

وقد يكون التفصيل مرجحاً كقول الحارث بن وعلة الذهلي :

قومى هم قتلوا أمير أخر فإذا رميت يصيّبوني سهمى

(١) المفتاح ص ٨٩ .

فقد ألغت الإضافة في (قومي) عن تفصيل تركه أرجع من ذكره اجتماعياً وعملياً.

٤ - **أُنْ تَفِيتَ بِالإِنْسَافَةِ تَحْزِيلِمْ شَانِ الْمَنَافِعِ** كقول الله تعالى : « إِنْ عَبَادِي لِيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » وكتولك : رسول الخليفة في البلدة .

أو تعظيم شأن المضاف إليه كقولك : جاء خادمي ، فتعظم شأنك بأن لك خادماً . وقولك : عمارتي ضخمة فخمة ؛ فتعظم نفسك بأن لك عمارة ضخمة فخمة .

أو تعظيم غير المضاف وغير المضاف إليه ، كقولك : مندوب الملك استقبلني ومحافظ العاصمة زارني .

٥ - **أُنْ تَفِيتَ بِالإِنْسَافَةِ تَحْقِيرِ شَانِ الْمَنَافِعِ** كقولك : أبو الخائن حضر ، أو تحقر المضاف إليه كقولك : أخوه إبراهيم لص .

أو تحقر غير المضاف وغير المضاف إليه مثل : أم الخائن خالتك .

٦ - **أُنْ تَؤْكِلِي إِلَيْهِ الْإِنْسَافَةَ نِكْتَةً لَطِيفَةً** كقول الشاعر :

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل أذاعت غزلها في القراءات
أضاف الكوكب إلى المرأة الخرقاء هزاً بها وسخرية منها لكنه كوكبها الخاص بها
والذى لا يطلع إلا لها ، وذكر أنها - لفرقها - لا تتذكر كسوة الشتاء إلا إذا طلع سحراً وهو
لا يطلع سحراً إلا في الشتاء ، يشفع عليها بفقلتها وكسلها ويقعودها عن تدبير أمرها في
الوقت المناسب .

ولا تبعد دلالة الإضافة في البيت السابق عن دلالتها في قول الله تعالى على لسان
فرعون : « إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِي أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ جَنَّنِنِ » فهو لم يضف المسند إليه (رسول) إلى
ضمير المخاطبين (كم) على سبيل الإقرار برسالة موسى ، لكن على سبيل المعرفة والتهكم
بموسى وبمن صدقه وأمن به ^(١) .

ثانياً : تحرير المتن

في أسلوب حواري شيق عالي السكاكي تعريف المسند بقوله : « وأما الحالة المقصبة
لكونه اسمًا معرفًا فهي إذا كان عند السامع متشخصاً بإحدى طرق التعريف معلوماً له .

(١) السكاكي ص ٨٩ وبيغية الإيضاح ج ١ ص ٩٠ - ٩١ وعلوم البلاغة للمراغي ص ١٤٤ .

وكأنك أسمعته تقول : فالمستند إذا كان متشخصاً عند السامع معلوماً له استلزم لا مسند .
كون المستند إليه معلوماً له أيضاً ، وإذا كانتا معلومين عنده فماذا يستفيد ؟ .

ويجيب : يستفيد إما :

لازم الحكم (لازم فائدة الخبر) كما ترى في قوله من أثني عليك بالغيب : « الذي
أثني على بالغيب أنت معرفاً أنك عالم بذلك . »

أو الحكم (فائدة الخبر) كقولك من تعرف أن له أخاً ويعرف إنساناً يسمى زيداً أو
يعرف بحفظ التوراة أو تراثه بين يديه لكن لا يعرف أن ذلك الإنسان هو أخيه إذا قلت له :
أخوك زيد ، أو أخوك الذي يحفظ التوراة وأخوك هذا ، فقدمت الأخ ، أو إذا قلت : زيد
أخوك ، أو الذي يحفظ التوراة أخوك أو هذا أخوك فأخرت الأخ ، معرفاً له في جميع ذلك أن
أحدهما أخوا الآخر » (١) .

وكلام الله كاكى واضح كأنه من كلام أهل العصر ، ونستخلص منه ما يأتي :

(أ) تعريف المستند يستلزم تعريف المستند إليه ، فليس في كلام العرب مستند معرفة
لمستند إليه نكرة .

ابداً أغراض تعريف المستند إما :

١ - إفادة المخاطب الحكم به على مستند إليه معرفة :

وذلك إذا كان يجهل هذا الحكم قبل أن تقوله له كما في المثال الثاني من كلام السكاكي .
وقد سبق أن البالغين يسمون هذا الفرض فائدة الخبر .

**٢ - وإنما إفادة المخاطب أن المتكلم يعلم حقيقة الحكم بالمستند
المعرفة على المستند إليه المعرفة :**

وذلك إذا كان المخاطب يعلم هذه الحقيقة ، ولكنه يجهل أن المتكلم أيضاً يعرفها كما في
المثال الأول من كلام السكاكي ، وقد سبق أن هذا الفرض هو ما اصطلاح البالغين على
تسميته لازم فائدة الخبر .

٣ - إفادة قصر المستند المعرفة على المستند إليه المعرفة قسراً إضافياً ، ولا يتاتي ذلك

(١) مفتاح العلوم ص ١٠١ - ١٠٢ .

إلا إذا كان المسند معرفاً بـأجل الجنسية كقولك : فيصل المسافر وعلم العاقل وكامل الجامل ومحمد المجتهد وناصر الذكي ، فاصدأ قصر كل صفة من الصفات المذكورة على مصاحبها . ونحن مع الفرضين الأول والثاني (فائدة الخبر) و (لازم فائدة الخبر) أمام الفرضين الحقيقيين من أغراض الخبر .

والأغراض الحقيقة في العقل البالغ تقابل بالأغراض البلاطية ، وهي الأغراض ذات الطائف الدقيقة والاعتبارات النوقية .

أما الفرض الثالث وهو قصر المسند على المسند إليه تصرأ إنسانياً لا حقيقياً ، فهو جزء صغير من (هيولا) أسلوب التصر . وستاتي دراسته دراسة مستقلة منفصلة .

التنيكير

أولاً: تنيكير المسند إليه :

ينكر المسند إليه تحقيقاً لغايات بلاغية كثيرة منها :

١ - **النيللة على واحدٍ منهم من الظاهر يتحقق، عليهم لفظ المسند إليه :**

إما لقصد الأفراد كقولهم « ويل أهون من ويلين » ، وإما لعدم تعلق الغرض بتعيينه كقول الله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسمع » ، فالغرض إنما هو أن موسى بلغ بما ذكره فرعون له . لا يمن بلغه .

٢ - **التنبيه على نوع معيين من أنواع المسند إليه :**

كقول الله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » أي نوع خاص من أنواع الأغشية هو غشاء التعامس عن الحق ، وكتقول الشاعر :

لكل داء دواء يستطبه به إلا الحماقة أعيت من يداويها
أي دواء خاص بهذا الداء .

٣ - **التكثير:**

كقول الله تعالى : « قالوا : أئن لنا لاجرأ ، أى لاجرأ كبيراً ، وكتقولهم : « إن لنا إبلأ ، وإن لنا لغنمأ » ، يقتربون بكتلة إبلهم وغنمهم .

٤ - التقليل:

كقول الله تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَرَضِوانُ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ » أى ومقدار يسير من رضوان الله أكبر من كل ما مرّ ، لأن رضاه سبب كل سعادة وفرح ، وكقولك لسائل طرق بابك : لو كان عندي شيء لاعطيتكه .

(٥) التخفيض:

كقول الله تعالى : « وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ أَيْ حَيَاةٌ وَادِعَةٌ يَأْمُنُ فِيهَا إِنْسَانٌ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ ، وَكَقُولُكَ لَابْنِكَ النَّاجِعُ لَكَ عِنْدِي هَدِيَّةٌ » أَيْ عَظِيمَةٌ .

(٦) التحقيير:

كقول الله تعالى : « وَلِئَنْ مُسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابٍ رِّيكَ » أَيْ نَفْحَةٌ خَفِيفَةٌ مِنَ العَذَابِ ، وقوله تعالى : « إِنْ نَظَنَ إِلَّا ظَنَّا » أَيْ ضَعِيفَاً .

ومن التعظيم والتحقير معاً قول مروان بن أبي حفصة مادحاً :

إِلَى بَابِهِ أَلَا تَفْسِي الْكَوَاكِبِ	فَتَسِي لَا يَبْلُو الْمَدْلُجُونَ بِنَارِهِ
إِذَا ذُكِرْتِ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبِ	يَصْمُ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَانَهُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعِرْفِ حَاجِبِ	لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشِينُهُ

فتتکیر (فتی) و (حاجب) الأولى للتعظيم ، وtentکیر (حاجب) الثانية للتحقير .

ومن التعظيم والتحقير معاً أيضاً قول الشاعر :

وَلِلَّهِ مِنْ جَانِبِ لَا أَضْيِعُهُ وَلِلْهُ مِنْ مَنْ وَالخَلْعَةُ جَانِبُ

فتتکیر (جانب) الأولى للتعظيم ، وtentکیر (جانب) الثانية للتحقير .

وقد يجتمع التعظيم والتکثير كقول الله تعالى : « وَإِنْ كَذَبُوكَ فَقَدْ كَذَبْتَ رَسُلَّنَا مُحَمَّدَ » أى رسُلُّنَا عَزَّوَجَلَّ عدد كثير ثم هُم رسُل أى صفة ، كما قد يجتمع التحقير والتقليل كقول الله تعالى : « لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » أَيْ شَيْءٌ أَيْ شَيْءٌ ولو كان قليلاً وحقيراً . والفرق بين التعظيم والتکثير أن الأول ينظر فيه إلى الكيف والثاني ينظر فيه إلى الكم وهو هو الفرق بين

التحقير والتقليل^(١).

للم يفرق السكاكي بين التعظيم والتکثير ولا بين التحقير والتقليل . ولعله نظر في ذلك إلى أن التعظيم كما يكون بالكيف يكون بكثره العدد ، وإلى أن التحقير كما يكون بالضعة يكون بالقلة .

والحق أنت لو نظرت في أمثلة التقليل لوجدت الكثير منها يحتمل التحقير وبالعكس ، كما أنت لو نظرت إلى أمثلة التکثير لوجدت الكثير منها يحتمل التعظيم وبالعكس .

٧) التهويل:

كقول الله تعالى على لسان إبراهيم : « يا أبتي إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » . ويكقولك : دهم المؤسسة التي أعمل بها حريق .

(٨) إخفاء المسند إليه عن المخاطب خوفاً عليه منه كقولك لمن تسأله : أبلغنى شخص أنت سرقت ، وقال لي قائل إنت قلت .

(٩) أن يمنع من تعريفه مانع ذوقى مثل :

إذا سئمت مهندسه يمين لطول العهد بدلها شمالاً
نكر (يمين) لثلا ينسب السأم إلى يمين ممتوحه^(٢) .

ثانياً : تنكير المسند

ينكر المسند لأغراض بلاغية كثيرة منها :

(١) القصد إلى انتقاء حصر المسند في المسند إليه ، وإلى عدم العهد والتعيين في المسند .

تقول لصاحبك : أنت مخلص ، ولا تقول له : أنت المخلص ، لأنك لا... له ذلك لأنك
كلامك أن صاحبك هو المخلص الذي لا مخلص سواه ، أو هو المخلص المنهود في الأصدقاء
المخلصين ؛ وأنت لا ت يريد أحد المعنيين بل ت يريد مجرد الحكم بإخلاصه .

(١) انظر علم البلاغة للمراغي ص ١٥٠ .

(٢) السكاكي ص ٩٢ والقزويني ص ٩٢ - ٩٦ رجموع الأدب ص ٢٢ - ٢٣ والمنهاج الواضح ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) القصد إلى تفخيم المستد وتعظيمه:

كقول الله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فقد أفاد تكير (هدى) تفخيم هداية القرآن وتعظيمه إلى درجة لا يكتبه كنهها على حد قول السكاكي ، وكتره تعالى : « إن زلزلة الساعة شئ عظيم » .

(٣) القصد إلى تحذيره وتقليله بقولك : « نصبي من الترفة شئ » أى شئ حقيق قليل ، وكقول قيس بن جردة يخاطب عمرو بن هند : غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا إلينه وبينس الشيمة الفدر بالعهد وقد يتوك الفدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى حلبة من دم الفهد أى وطعامه قليل حقير ^(١) .

أحوال متعلقات الفعل

في باب متعلقات الفعل وما في معناه مما يعمل عمله استوقفني أن البلاغيين عللوا لحذف أحد قيوده ، وهو المفعول به ، علما بأنه ليس ركتاً من أركان الجملة إذ هو ليس مستنداً إليه ولا مستدراً ، وكان المنتظر العكس وهو أن يعللوا لذكره لا لحذفه . قد يقال : إن الفعل إما متعد وإما لازم ، وهم قد عللوا لحذف مفعول الفعل المتعد . فاقرأ : وماذا تركوا للتحويين ^{١١٩}

ولأن لحذف مفعول الفعل المتعد علاً بلاغية دقيقة جاريت البلاغيين في عرض هذا الموضوع هنا مع تقديرى للتحويين ويفتقى بأننا لو تركنا ذلك لهم لامتنوا وحدمنا إليه . ومن المعروف أن عبد القاهر الجرجانى كان من كبار التحويين ، وأنه كان يقول عن علم المعانى الذى نحن فيه : علم معانى النحو .

ومن العلل البلاغية لحذف مفعول الفعل المتعد ما يأتي :

(١) انحصر الضرر في النسبة الفاعلية ، أى في إسناد الفعل إلى الفاعل دون نظر إلى تعلقه بمفعول ، كأن أقول : ذاكر الطلاب أو الطلاب يذاكرون ، وكأن يقول الآباء لأهلهما التي تتطلب منهم أن يأكلوا : ألا ننتظر حتى نأكل مع والدنا ؟ فتجيبهم : ولا كم أكل ، ومن ذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : « ولما ورد ماء مدين وجد عاشه أمة من

(١) المفتاح من ١٠١ - ١٠٠ وبيفية الإيضاح ج ١ من ١٨٩ .

الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تندان قال ما خطبكما ؟ قالتا : لا ننسى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير فسكنى لهما .

فالأفعال «يسقون» و«تندان» و«نسقي» و«فسقي» قد حذفت مفاعيلها لأنصار المقصود منها في النسبة الفاعلية بالمعنى الذي شرحته في مطلع هذه الفقرة .

(٢) إرادة العموم في المفعول به ، وأنه لا يقصد به فرد معين من أفراده كقولهم : فلان يحل ويربط ويأمر وينهى ويضرر وينفع ويعطى وينعن ، ويصل ويقطع ويبني ويهدم . وكقول الله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكي ، وأنه هو أمات وأحيا » وقوله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

هذا ما قرره البلاغيون ، والفرق دقيق بين الفقرتين ١ ، ٢ حتى ليمكن القول بأنهما علة واحدة مزدوجة الغرض ، دليل ذلك أننا لو مثلنا بأمثلة العلة الأولى للعلة الثانية ، وبأمثلة العلة الثانية للعلة الأولى ما كنا مخطئين ، وفي كتب البلاغيين مصدق ما نقول (١) .

(٣) دفع أن يتورّم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول البحترى :

وكم ذلت عنى من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم
إذ لو قال : « حزنن اللحم » لجاز أن يتورّم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحزن كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من هذا الوهم ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحزن مضى في اللحم حتى لم يرده إلا العظم .

(٤) أن يكون في ذكر المفعول به خروج على أداب المدح ونوع من سوء الأدب في حق المدح .

وقد نجا البحترى من ذلك في بيته الذي خاطب به الخليفة المعزز قال :

قد طلبنا فلم نجد لك في السوق دد والمج د والمك سارم مثلما يقول الجرجاني : « فإنه لو بدأ بقوله : قد طلبنا مثلاً لكان فيه ما فيه » (٢) وصدق .
فلم يكن القزويني موافقاً وهو يعلل حذف المفعول به في هذا البيت بأنه أريد ذكره ثانية

(١) انظر المفتاح ص ١١٠ والإيضاح ج ٢ ص ٣ - ١٣ والإشارات والتبيّنات من ٨١ - ٨٢

(٢) الإشارات من ٨٢

على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه »^(١) .
فأولاً : لم تذكر (مثلاً) في البيت إلا قافية ، ولا يقون أحد إنها مقدرة ، فلما يقدر لم يذكر .

وثانياً : كمال العناية بالمنسج قد تمثلت في حذف (مثلاً) لا في إيقاع الفعل على لفظ (مثلاً) ، وكلام القزويني بناء على ذلك في غير محل .

(٥) أن يكون في ذكر المفعول به نوع قبح للدلالة على مالا ينبغي التصريح به كقول عائشة رضي الله عنها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ في إماء واحد فما رأيت منه ولا رأى مني » تعنى العورة .

٦ - أن يحذف للاختصار ، أو لأمر لفظي كرعاية الفاصلة في التشو والوزن في الشعر .

فالأول كقولك : أصفيت إليك أى أذنى ، وأغضبت عنه ، أى بصرى . ويكمل الله تعالى : « أرنى أنظر إليك » أى ذاتك ، وقوله تعالى : « أهذا الذي بعث الله رسولًا » أى بعثه .
والثاني : كقول الله تعالى : « والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى »
فالاصل « وما قلاك » ويكمل الشاعر :

بناما فاعلى والقنا يقرع المقا ومسوچ المنایا حولها متلاطم
أى فاعلاما .

٧ - الإيضاح بعده الأبهاء تقريراً للمعنى في نفس القارئ أو السامع ، ويكثر ذلك في فعل المشينة وما في معناه إذ الواقع شرطاً ، وإذا لم يكن في مفعوله غرابة ، تقول : لو شئت جنت أو لم أجي .

أى لو شئت المجى ، أو عدم المجرى ، يقول القزويني : « فإنك متى قلت : لو شئت علم السامع أنك علقت المشينة بشئ فيقع في نفسه أن هنا شيئاً تعلقت به مشينتك بأن يكون أولاً يكن ، فإذا قلت : جنت أو لم أجي عرف ذلك الشئ .

ومنه قوله تعالى : « فلو شاء لهداكم أجمعين » وقوله تعالى : « فإن يشا الله يختم على قلبك » وقوله تعالى : « من يشا الله يضلله » ، وقول طرفة في وصف ناقته :

(١) بنية الإيضاح ج ٢ ص ٨ .

فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوى من القد مُحْمَدٌ
لم ترقل أى لم تسرع ، والملوى : السوط ، والقد : الجلد المشقق . والمحمد : المقتول
المحكم » وقول البحترى :

لو شنت عدت بلاد نجد عودة فحملت بين عقيقه وزروره

(العقيق والزبود : موضعان بنجد) وقوله (البحترى) :

لو شنت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم ما ثار خالد
(حاتم هو حاتم الطائى ، أما خالد فهو خالد بن إصبع النبهانى) ^(١) .

* * *

ومن أمثلة حذف المفعول به لفعل في معنى فعل المشيئة قول الشاعر :
ولو أني استطعت خففت طرفى فلم أبصر به حتى أراكا
يقصد : لو أني استطعت خفض الطرف خففت طرفى ، والمفعول المحذف لأفعال
المشيئة وما في معناها إنما هو المصدر المقدر من فعل الجواب يقول الجرجانى : « وإن كان
في المفعول به غرابة فلا بد من ذكره كقولك مظهراً عزك : لو شنت أن أرد على الأمير
أردت ، وعليه قول الشاعر :

ولو شنت أن أبكي دماً لبكيره عليه ولكن ساحة الصبر أوسع ^(٢)
٨ - إِمْكَانٌ إِنْكَارٌ أَنَّهُ مُقْتُوْرَدٌ :

كتوك : (لعن الله وأخزى) تقصد شخصاً معيناً ، فإذا أخذت أمكنك القول بأنك
لا تقصده .

٩ - تحينه حقيقة مثل : تحمد ونشكر ، أى الله سبحانه وتعالى ، أو ادعاه نحو نحب
ونكر ، تزيد شخصاً معيناً لكنك حذفته مدعياً تعينه بأن أحداً لا يستحق الحب والإكرام
غيره .

(١٠) رحونه عن لسانك لرفحته ، أو رصونه لسانك عنه لضئنته .

فال الأول مثل : نحب ونجل تزيد المصطفى علمه .

والثاني مثل : لعن الله وطرد .. تزيد الشيطان الرجيم .

وواضح أن الفهم للعلل الثلاث السابقة متوقف على القراءة ، وغالباً ما تكون قرينة حالية
لا لفظية . والله أعلم .

(١) بغية الإيضاح ج ٢ من ٦ .

(٢) الإشارات من ٨٢ .

تقدير متعلقات الفعل وما في معناه عليه

تردد الأغراض التي يتحققها هذا التقديم بين أن تكون أغراضها حقيقة لا دخل للبلاغة فيها وأن تكون أغراضها بلاغية تعرض لها هنا من حيث هي كلام بلغة ومقابل يتضمنه المقام.

فمن الأغراض الحقيقة تصحيح خطأ المخاطب : كقولي لمن اعتقد أنت صادقت إنساناً وأنه غير محمد: محمداً صادقت، وإذا أردت تأكيد كلامي وتقريره في نفس سامعه قلت: محمداً صادقت لا غيره.

ومن الأغراض البلاغية التخصيص:

والشخصيّن هو القصر، والقصر مبحث مستقل من مباحث علم المعانٍ مكانه بعد ما نحن فيه وما نحن فيه هو متعلقات الفعل، ولكن ما هو ذا القرؤيني يستعجله ويبشر به في قوله: « والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم، ولذلك يقال في قوله تعالى: « إياك نعبد وإياك نستعين » معناه: نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك، وفي قوله تعالى: « إن كنتم إيمان تعبدون » معناه إن كنتم تخصونه بالعبادة وفي قوله تعالى: « إلٰى الله تتحشرون » معناه: إليه لا إلى غيره.

وقد أخرت صلة الشهادة في قوله تعالى: « لتكنوا شهداء على الناس » وقدمت في قوله تعالى: « ويكون الرسول عليكم شهيداً » لأن الغرض في الأولى إثبات شهادتهم على الأئم، وفي الثانية اختصاصهم بكلن الرسول شهيداً عليهم،^(١).

* * *

ولا يقتصر التقديم على إفاده التخصيص، بل يقىد مع التخصيص الاهتمام بشأن المقدم كقول الله تعالى: « قل أغير الله أبغى ربياً » وقول الشاعر:

أكلُ أمرٍ تحسّبَنِ امرءاً وناراً توقَدَ فِي اللَّيلِ ناراً

ولهذا يقدر المحنف في « باسم الله » مؤخراً، وعلى حد قول السكاكي: « فعل المعنون في نحو (باسم الله) إذا أراد تقدير الفعل معه أن يقْعُد الفعل نحو « باسم الله أقرأ أو أكتب »^(٢).

(١) بنية الإيضاح ج ٢ ص ١٥ - ١٧ طبعة ٢.

(٢) مفتاح العلوم ص ١١٣.

ولما اعترض على ذلك بقول الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » أجب بـأن تقديم الفعل هنا أهم ، لأنها أول سورة نزلت « فأجاب السكاكى بـأن « باسم ربك » متعلق باقرأ الثاني » اقرأ ربك الأكرم » أما « اقرأ » الأول فمعناه : افعل القراءة وأوجدها ^(١) .

وعلى ذكر السكاكى نقرر أنه أصل كل ما قاله القرزينى ، لكن بـرز عنده غرض طريف لتقديم بعض متعلقات الفعل عليه ، وهذا الغرض هو :

التحريم :

ولندعه هو يتكلم قال : « وفي معنى قوله تعالى : (وبـالآخرة هم يوقنون) ، نذهب إلى أنه تعرىض بأن الآخرة التي عليها أهل الكتاب فيما يقولون إنها لا يدخل الجنة فيها إلا من كان هوداً أو نصارى ، وأنها لا تمسهم النار فيها إلا أياماً معدودات . وأن أهل الجنة فيها لا يتذذلون إلا بالنسيم والأرواح العبة والسماع اللذيد ، ليست بالآخرة ، وإيقانهم بمثلها ليس من الإيقان بالـتي هي الآخرة عند الله في شيء » .

ويسبيـل مما مر قوله مستطرداً ، بل عائداً إلى التـعرىض بعد أن كان قد مضى عنه : « وـتسـمعـهم فيـ قوله تـعـالـى : « لا فيـها غـول ولا هـمـ عنـها يـنـزـفـون » يـقـولـون : قـدـمـ الـظـرـفـ تـعرـيـضاً بـخـمـورـ الدـنـيـاـ وـأـنـ المـعـنىـ : هـىـ عـلـىـ الـخـصـوصـ لـاـ تـغـتـالـ الـمـقـولـ اـغـتـيـالـ خـمـورـ الدـنـيـاـ وـيـقـولـونـ فـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « الـمـ ذـلـكـ الـكـتـابـ لـاـ رـبـ فـيـهـ » .

يمتنع تقديم الظرف على اسم لا ، لأنـهـ إـذاـ قـدـمـ أـفـادـ تـخـصـيـصـ نـفـيـ الـرـبـيـبـ بـالـقـرـآنـ ، وـيـرـجـعـ دـلـيـلـ خـطـابـ عـلـىـ أـنـ رـبـيـاـ فـىـ سـائـرـ كـتـبـ اللـهـ .

وعلى هذا متى قلت : إذا خلـوتـ قـرـأتـ الـقـرـآنـ أـفـادـ تـقـدـيمـ الـظـرـفـ اـخـتـصـاصـ قـرـاعـتـكـ بـهـ ، وـرـجـعـ إـلـىـ مـعـنـىـ : لـاـ أـقـرـأـ إـلـاـ إـذـاـ خـلـتـ فـاـفـهـمـ » ^(٢) .

وقد أضاف الشـيخـ عبدـ المـتعـالـ الصـعيـدىـ إـلـىـ مـاـ سـبـقـ مـنـ الـأـنـراـضـ الـبـلاـغـيـةـ :

التـبرـكـ بـالـقـدـمـ ، أوـ اـسـتـلـازـهـ ، أوـ موـافـقـتـهـ لـكـلـامـ السـائـلـ مـثـلـ :

محمدـاـ اـتـيـعـتـ ، وـمـنـىـ أـحـبـتـ ، وـنـاصـرـاـ أـكـرـمـتـ ، فـىـ جـوابـ مـنـ أـكـرـمـتـ ؟ـ قـدـمـتـ (ـنـاصـرـاـ)

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) مفتاح العلوم ص ١١٢.

ليوافق مقابله في كلام السائل وهو (من) الاستفهامية ، فمن المقرر أن الاستفهام له الصدارة في الكلام^(١).

وأما الشيخ حامد عونى فقد أضاف الفائدة التالية لتقديم متعلقات الفعل عليه وهي :

رعاية الفاصلة أو النزول على حكم الوزن والقافية:

فمن رعاية الفاصلة قول الله تعالى : « خنوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في مسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ». .

وقوله تعالى : « فاما اليتيم فلا تنتهز ، وأما السائل فلا تنهز » ، وقوله تعالى : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ». .

ومن النزول على حكم الوزن والقافية قول الأقيشير الأسدى :

سرير إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسرير
حريص على الدنيا مضيق لدنه وليس لما فس بيته بمضيق

وقول العباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما خضر بي داع يكثر أسلقامي وأوجاعي

وقول أحمد بن محمد الشامي في مطلع قصيدة التي أنشدتها في ندوة الرفاعي بالرياض بمناسبة فوز صديقه الشيخ محمود محمد شاكر بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب سنة ١٤٠٤ هـ .

على دبع سلمى عج مع الركب زائراً وحيى به من كان للعهد ذاكراً^(٢)
وكن تقدير بغير متعلقات الفعل على بغير نقول :

إنها لا تختلف عن تقديم بعض متعلقات الفعل على الفعل من حيث إن منها تقديمها واجباً ، وهو لذلك حقيقى لا بلاغة فيه ، لأنه لا اختيار معه .

(١) بذبة الإيضاح ج ٢ من ١٧ هامش رقم ٢ .

(٢) المنهاج الواضح ج ٢ من ٢٤٣ وصحيفة الشرق الأوسط العدد ١٩٢٨ السنة السابعة ١٤٠٤/٦/١٧ م. ١٩٨٤/٣/١٩

وعندى أن المقدم لا يصح أن يسمى - من وجهة نظر البلاغة ... مقدماً إلا إذا كانت رتبته التأخير ، ولكنه قدم عن موضوعه الذى كنا نتلقى أن نراه فيه ، أما أن تأتى إلى الجملة الفعلية مثل : نصح محمد محموداً في السر ، وأعطيت العامل الأجر الزائد أمام الناس .

ونعمل لتقديم الفعل على الفاعل ، ولتقديم الفاعل على المفعول به ، ولتقديم المفعول به على الجار وال مجرور في الجملة الأولى .

ولتقديم المفعول الأول على المفعول الثاني ، ولتقديم صاحب الحال على الحال ، ولتقديم الحال على الظرف في الجملة الثانية .

فهذا كله ومتى لا يمت إلى البلاغة بصلة ولو واهية .

فلنسقط من مفتاح السكاكي ومن إيضاح القزويني ذلك الركام الكبير الذي نجده فيهما عند كل منها عن تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض .

ولست أدرى كيف غاب ذلك عن السكاكي فقال : « أن يكون أصل الكلام هو التقديم ، ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو إلى العدول عنه كالمبتدأ المعرف فإن أصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف (لاحظ أن هذا من تقديم المسند إليه على المستند وليس من تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض لتدرك مقدار حاجة كتب البلاغة القديمة إلى غريلة شديدة) وكذى الحال المعرف ، فأصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكباً ، وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله نحو عرف زيد عمراً ، وكان زيد عارفاً ، وإن زيداً عارف ، ومن زيد ؟ وغلام زيد » (١) .

لقد ابتعد السكاكي عن موضوعه أكثر وأكثر بل لقد خرج عن جملة فلنضرب صفحأ عن ذلك ، ولنقف من التقديم أو التأخير عند ما هو بلا غنى ! حقيقى .

يقول القزويني صاحب تلخيص المفتاح وصاحب شرحه المسمى بالإيضاح ، والحق أن المفتاح والإيضاح مفتاحان لقليل واحد هو قفل البلاغة العربية ، ومفهوم أن عمل أي مفتاح إنما هو عمل مزدوج ، فهو يفتح متىما يفلق ، ويغلق متىما يفتح « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » . يقول القزويني :

(١) مفتاح العليم من ١١٣ .

(١) وإنما لأنكـه أهـمـ والـعـنـيـةـ بـهـ أـتـرـ فيـقـيمـ المـفـحـولـ عـلـىـ الـفـاعـلـ :

إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعاش في البلد وكثير منه الآذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله فتقول : قتل الخارجى فلان .

إذ ليس للناس فائدة في أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذي يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل على المفعول به إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ، ولا يقدر فيه أن يقتل ، فقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول : قتل فلان رجلاً بتقدیم القاتل لأن الذي يعني الناس من شأن هذا القتيل نوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل حيث كان واقعاً ممن وقع منه ، رسليه قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية ، لأن الخطاب في الفقرة الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى : « من إملاق » فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم .

والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله تعالى : « خشية إملاق » فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل ، فكان رزق أولادهم أهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

(٢) وإنما لأنـ فيـ القـاتـخـيرـ إـخـلـاـلـ بـبـيـاجـ المـعـنىـ :

كقوله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » ، فإنه لو أخر (عن آل فرعون) عن (يكتم إيمانه) لأوهـمـ ذلكـ أنـ (ـ مـنـ)ـ مـتـعـلـقـةـ بـ «ـ يـكـتـمـ »ـ فـلـمـ يـقـهـمـ آنـ الرـبـلـ منـ آلـ فـرعـونـ ،ـ وـالـمـطـلـوـبـ بـبـيـاجـ آنـهـ مـنـهـ ،ـ فـكـوـنـهـ مـنـ آلـ فـرعـونـ ثـمـ يـنـتـصـرـ لـمـوسـىـ دـلـيـلـ عـلـىـ عـنـيـةـ اللهـ بـمـوـسـىـ وـرـعـاـيـتـهـ لـهـ .ـ

(٣) أو لأن في التأخير إخلالاً بالتناسب :

ومن التناسب رعاية الفاصلة في النثر ، ورعايتها الوزن والقافية في الشعر ، فالأول كقوله تعالى : « فأوجس في نفسه خيفة موسى » .

قدم فيه الجار والجرور ، والمفعول لأجله على الفاعل ، مراعاة للتناسب بين الفواصل المختومة بـ«اللف» لتكون على نسق واحد .

والثاني كقول العباس بن الأحتف :

وكستنى من الهموم ثياباً	سلبتنى من السرور ثياباً
فتخت لى إلى المنية باباً	كلما أغلقت من الوصل باباً
دُعْمَا ذقت كالصدود عذاباً	عذيبينى بكل ما شئت سوى الصدود

والشاهد أن الشاعر قدم الجار والجرور على المفعول الثاني في شطري البيت الأول .

وقدم الجار والجرور على المفعول في شطري البيت الثاني .

وقدم صفة المفعول به عليه في الشطرة الأخيرة من البيت الثالث .

القصر

لا يبعد المعنى الاصطلاحى للقصر من المعنى اللغوى له ، فمعنىه اللغوى هو الحبس فى أساس البلاغة « قصرته » : حبسه ، وقصرت نفسها على هذا الأمر ، إذا لم تطبع إلى غيره ، وقصرت طرفه : لم أرفعه إلى مالا ينفعني ، وهن قاصرات الطرف : قصرته على أزواجهن ، وقصر الستر : أرخاه . قال حاتم :

وَمَا تَشْتَكِينِي جَارِتِي غَيْرُ أُنْتِي إِذَا غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا لَا أَزُورُهَا
سَبِيلُهَا خَيْرٌ وَيَرْجِعُ بِعْلُهَا إِلَيْهَا وَلَمْ تَقْصُرْ عَلَى سَيْرِهَا^(١)

* * *

أما فى الاصطلاح البلاغى فالقصر هو تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص .

والشئ الأول هو المقصور ، والشئ الثاني هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدوات القصر .

والمقصود بتخصيص الشئ بالشئ إثباته له ونفيه عن غيره .

فإذا قلت : ما حج من بيتنا هذا العام إلا أخي الأكبر ، فهمنا تخصيص الحج بالأخ الأكبر ونفيه عن بقية أفراد البيت ، وبهذا تكون جملة القصر بمثابة جملتين ، ففى القصر إيجاز ، وهو مع إيجازه يفيد التوكيد والمبالفة . والإيجاز والتوكيد والمبالفة من أسرار بلاغته .

وقد وضح من تعريفه أنه يتكون من عنصرين أساسيين هما : المقصور والمقصور عليه ، ويسمى البلاغيون هذين العنصرين (طرفى القصر) . وأى قصر باعتبار طرفيه قسمان : قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة .

والصفة فى القصر أعم من الصفة فى النحو ، فهي فى القصر المعنى الذى يقوم بغيره ، وبعبارة أخرى : هي ما ليس ذاتاً ، أما الموصوف فهو فى الغالب ذات جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً ، وقد يكون الموصوف معنى مثل : ما التفكير إلا نشاط ذهنى ، وإنما الحب عاملقة .

أدوات القصر

أدوات القصر أى طرقه ، وهى كثيرة منها :

(١) أساس البلاغة من ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(١) المعرفة باذواته مختومة بهـى: (لا) و(لكن) و(بل)؟

أما (لا) فتائى فى المثبت مثل : محمد ناجع لا راسب ، وكارم كريم لا بخيل فى قصر الذات على المعنى أى فى قصر الموصوف على الصفة ، والمسافر فيصل لا ناصر والخاطب علاء لا خالد فى قصر المعنى على الذات أى فى قصر الصفة على الموصوف .

والمقصور عليه مع (لا) هو المذكور قبلها مباشرة ، وبعبارة أخرى هو المقابل لما بعدها .

وأما (لكن) فتائى فى المثل مثل : ما محمد راسباً لكن ناجع ، وما كارم بخيلاً لكن كريماً فى قصر الذات على المعنى أى فى قصر الموصوف على الصفة ، وما المسافر ناصر لكن فيصل ، وما الخاطب خالداً لكن علاء ، فى قصر المعنى على الذات أى فى قصر الصفة على الموصوف .

والمقصور عليه مع لكن هو المذكور بعدها ذاتاً كان أو معنى .

ومثال (لكن) (بل) .

إذ يمكنك أن تطعها محل (لكن) فى الأمثلة السابقة ، وستجد أن الأداء البلاغي لـ يختلف عنه مع (لكن) لا مبني ولا معنى ، كما ستجد أن المقصور عليه فى العطف بها هو ما بعدها مثل لكن .

تقول : ما الحجرة مظلمة بل مضيئة فى قصر الذات على المعنى أى فى قصر الموصوف على الصفة ، وما المسافر أبى بل عمى فى قصر المعنى على الذات أى فى قصر الصفة على الموصوف .

(٢) النفي والاستثناء:

تقول ما محمد إلا ناجع ف تكون قد قصرت محمدأ على النجاح قصر ذات على معنى أى قصر موصوف على صفة ، وتقول : ما ناجع إلا محمد ف تكون قد قصرت النجاح على محمد قصر معنى على ذات أى قصر صفة على موصوف .

والمقصور عليه فى تلك الطريقة هو ما بعد أداة الاستثناء .

وليس يلزم أن تكون أداة النفي هي (ما) بل قد تحل محلها (لا) أو (إن) أو (ليس) ونحوها .

قال عليه : « لا يحل للمرأة أن تتسافر ثلاثة ليالٍ إلا و معها نور حم » وقال تعالى : « إن أنت إلا نذير » ، وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » كما أنه ليس بالازم أن تكون أداة الاستثناء هي (إلا) بل قد تحل محلها (غير) أو (سوى) وما في معناهما ، قال ابن الروبي :

لعمرك ما الحياة لكل حيٌ إذا نفذ الشباب سوى عذاب

وقال محمد حسن فقي :

ما ينجب الصيد الا شا وش للملاحم غير صيد

وقال البحترى :

لا أدعى لأبى العلام فضيلة حتى يسلّمها إلى عداته

ومن الجمع بين (لا) و (غير) قول ابن نباتة :

ولا عيب فيه غير أنى قصدت فأنستنى الأيام أهلاً وموطناً

وقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب
إإنما :

وهى تتحل فى المعنى إلى النفي والاستثناء . فإذا قلت : إنما محمد ناجح كان معنى ذلك : ما محمد إلا ناجح ، وإذا قلت : إنما الناجح محمد ، كان معنى ذلك : ما الناجح سوى محمد .

وبالاستقراء لاستعمالات (إنما) فى كلام العرب عرفنا أنها تأتى لإثبات ما بعدها ونفي ما عداته ، وقد علل السكاكي ذلك بتضمينها معنى (ما) و (إلا) .

وبما نقله عن على بن عيسى الريعي النحوى البغدادى قال : « لما كانت إن تأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ؛ ناسب أن تُضمن معنى القصر ، لأن نصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد » (١) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٤٠ .

والمحصور عليه مع (إنما) هو ما ختمت به جملة القصر ، ففي قول الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » المقصور عليه هو العلماء .

يقول القرزيوني عن (إنما) : « وإذا استقررت وجدتها أحسن ما تكون موقعاً إذا كان الغرض بها التعریض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها كما في قوله تعالى : « إنما يتذكر أولى الألباب » فإنه تعریض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذى عقل ، فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويستدركوا كمن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله تعالى : « إنما أنت منذر من يخشاها » وقوله تعالى : « إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب » .

المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل ، فالإنتشار معه كلام إنتشار .

ويتفقى القرزيوني في التمثيل لـ (إنما) الدالة على التعریض بما مثل لها به عبد القاهر من قول العباس بن الأحلف :

أنا لم أرْزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

فإنه تعریض بأنه قد علم أنه لا مطبع له في وصلها فيئس من أن يكون منها إسعاف به ، وقوله :

وإنما يعذر العشاق من عشقها

إذ معناه : يتبين للعشاق ألا ينكر لهم من يلومه فإنه لا يعلم كنه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فعذر .

ويقول الباحرني :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نجح الأمور بقوة الأسباب
فالليوم حاجتنا إليك وإنما يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

يقول في البيت الأول : يتبعى أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب إليه ، ويقول في البيت الثاني : إنما قد طلبنا الأمر من جهة حين استعننا بك فيما عرض لنا من الحاجة وعلينا على فضلك ، كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب في فعله ، (١) .

(١) بقية الإيضاح ج ٢ ص ٤٢ - ٤٤ ودلائل الإعجاز ص ٢٧٢ .

(٤) التقدیم:

وهو ثلاثة أقسام:

(١) تقديم المستند على نحو ما سبق في تقديم المستند ، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومن أضحي علىها ونبيتش حين نبطيش قادرينا

(ب) تقديم المسند إليه على نحو ما سبق في تقديم المسند إليه كقول أبي الطيب:

وَمَا أَنَا أَضْرَبْتُ فِي الْقُلُوبِ نَارًا
وَلَا أَنَا أَضْرَبْتُ جَسَمًا بِهِ

(ج) تقديم بعض القيود على نحو ما سبق في تقديم بعض متعلقات الفعل أو ما في معناه عليه كقول الله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » وقوله تعالى « عليه توكلت وإليه أنسى » ، وكقول الشاعر :

حياته أعطي الشهيد لقومه أترى أجل من الحياة عطا

وقول الآخر :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أفتني أنى الأرض تبقي والأخلاء تذهب

والمقصور عليه في التقديم هو المقدم وهو:

(لنا) في مثال (أ) قصر موصوف على صفة : فالاصل : الدنيا كانت أو حاصلة أنا .

و (أنا) في مثال (ب) قصر صفة على موصوف .

و (إياك) و (عليه) و (إليه) و (حياته) بو (إلى الله) في أمثلة (ج) وهي من أمثلة قصر الصفة على الموصوف .

* * *

وطرق القصر السابقة تتفق من وجه وتخالف من وجوه .

أما اتفاقها: ففي أن المخاطب بها لا بد أن يكون قد حكم حكماً مشوياً بضوابط خطأ، وأنت تطلب بها تحقيق صوابه ونقى خطئه، قرر السكاكي ذلك ووضحه بقوله: «تحقق في قصر القلب كون الموصوف على أحد الرصفين، أو كون الوصف لأحد الموصوفين، وهو صوابه، وتتنفس تعين حكمه وهو خطقه، وتحقق في قصر الإفراد حكمه في بعض وهو صوابه وتتنفسه عن البعض وهو خطقه»^(١).

١٤١ صفحات المفتاح

أما اختلافها فيتلخص في أمور هي :

- ١ - الطرق الأول الثلاث تدل على القصر بوساطة الوضع وجذب العقل ، أما التقديم فدلالة عليه بوساطة الفحوى وحكم النون .
 - ٢ - الأصل في القصر بالعطف النص على المثبت والمنفي كما ترى في قولك محمد ناجح لا راسب ، في قصر الموصوف على الصفة .
والمسافر فيصل لا ناصر ، في قصر الصفة على الموصوف .
- أما الطرق الثلاث الأخرى ، فالالأصل فيها النص على المثبت فقط كقولك :
- ما أنا إلا سعودي ، وإنما أنا سعودي ، وسعودي أنا . في قصر الموصوف على الصفة .
وقولك لا يحج إلا المسلم ، وإنما يحج المسلم ، والمسلم يحج ، في قصر الصفة على الموصوف .
- ٣ - الأصل في النفي والاستثناء أن يستعمل فيما يجهله المخاطب وينكره أو يشك فيه كقولك لصاحبك وقد رأيتما شيئاً من بعيد ما هو إلا فيصل ، إذا وجدته يعتقد أنه غير فيصل ويصر على إنكار أنه فيصل أو على التقليل يشك في أنه فيصل .
وذلك على العكس من الأصل في (إنما) .

فالالأصل فيه أن يكون مما يعلمه المخاطب ولا ينكره ولا يشك فيه كقولك لخاطبك : إنما هو أخوك أو إنما هو صديقك ، فالمخاطب هنا عالم بالأخوة وبالصداقة ، وما قصدت إلا أن ترقق ، وإلا أن تتباهي لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصديق .

على أنه قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له النفي والاستثناء كقول الله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » أي أنه يُلْهَى مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرير من الهلاك .

نزل سبحانه وتعالى إنكارهم موتة منزلة إنكارهم رسالته ، وك قوله تعالى : « وما أنت بسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير » فإنه يُلْهَى كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في معرض من ظن أنه يملك ج صفة الإنذار صفة إيجاد الشيء المستحيل وجوده .

* * *

كما قد ينزل المجهول منزلة المعلم لادعاء المتكلم ظهوره فسيستعمل له (إنما) كقوله تعالى على لسان اليهود : « إنما نحن مصلحون » .

ادعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلى ، ولذلك جاء قوله تعالى في الرد عليهم « إلا إنهم هم المفسدون » مؤكداً بما نراه من اسمية الجملة ، وتعريف الغير بـالـبـالـوـنـيـسـيـطـ خـمـيـرـ الفـصـلـ ، والـتـصـدـيـرـ بـحـرـفـ التـبـيـبـ ، ثم بيان .

ومثله قول عبد الله بن قيس الرقيات في مدح مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعوا أن كون مصعب كما ذكر جلي معلوم لكل أحد ، على عادة الشعراء إذا مدوا أن يدعوا في كل ما يصفون به ممدوحاتهم الجلاء ، وأنهم قد شهروا به حتى لا يدفعه أحد .

٤ - القصر بالعاطف أقوى في الدلالة على التخصيص من القصر بالألوان الأخرى ، ويليه النفي والاستثناء . فإذا ، فالتقديم .

وفي المقابل : للقصر بالألوان الثلاث الأخرى مزية على القصر بالعاطف ، وهي أنه يفهم منها إثبات الشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العاطف .

٥ - لا يجتمع النفي والاستثناء مع النفي بلا العاطفة ، فلا يصح أن تقول ما شوقي إلا شاعر لا كاتب ، لأنك إذا قلت : ما شوقي إلا شاعر ، تكون قد نفيت كل صفات شوقي غير الشاعرية ، وبهذا تكون الكتابة قد نفيت ضمن الصفات المنافية الأخرى ، فإذا أردت ما سبق بقولك (لا كاتب) تكون قد نفيت بلا العاطفة أمراً هو منفي قبلها بما النافية .

يقول السكاكي : « والطريق الأول (القصر بلا العاطفة) لا يجامع الثاني (القصر بالنفي والاستثناء) فلا يصح : ما زيد إلا قائم لا قاعد ، ولا ما يقوم إلا زيد لا عمرو ، والسبب في ذلك هو أن (لا) العاطفة من شرط منفيها إلا يكون منفياً قبلها بغيرها من كلمات النفي ، نحو جاشي زيد لا عمرو ، ونحو : زيد قائم لا قاعد أو متحرك لا ساكن أو موجود لا معدوم ، ويمتنع تحقق شرطها هذا في منفيها إذا قلت : ما يقوم إلا زيد لا عمرو ، ما زيد إلا قائم لا قاعد ^(١) .

* * *

(١) انظر السكاكي من ١٤١ - ١٤٢ ، وينية الإيضاح ج ٢ من ٢٨ - ٤٢ : والإشارات والتبييات من ٩١ -

و قبل أن نغادر أدوات القصر نتبه إلى أن ما ذكرناه منها ليس إلا أظہرها وأشهرها ، وقد أصلها السیوطى في الإتقان إلى أربعة عشر طریقاً^(١) منها :

- ١ - ضمیر الفصل مثل ناصر هو الأول .
- ٢ - التصريح بلفظ (وحده) أو (ليس غير) أو (فقط) ، تقول : عرفت فلاناً وحده أو ليس غير أو فقط .
- ٣ - تعريف المسند إليه والمسند مثل : محمد الناجع ، خير الزاد التقرى .
- ٤ - استعمال مادة خص وقصر ونحوها . أقول خصصت فلاناً بحبى وقصرت احترامى على فلان ، وعکفت على التأليف ، ووقتى الآن وقف على إنجاز البلاغة الاصطلاحية . ومع أن هذه الأساليب ونحوها تتوزع على المعينين اللغوى والاصطلاحى للقصر ، فإن ما يتبارى إلى الذهن عند سماع (أدوات القصر) ليس سوى الأدوات الأربع الأولى ، ولا عجب فهي التي دار البحث فيها وخلوها بشكل مكثف .

أقسام القصر

أقسام القصر ثلاثة :

- ووجه كون أقسامه ثلاثة أن الأسس التي قام عليها التقسيم ثلاثة :
- (أ) فتقسيم أساسه مبني جملة القصر وهو طرفا القصر .
 - (ب) وتقسيم أساسه دلالة جملة القصر على الإثبات والتنفي .
 - (ج) وأخيراً تقسيم للإضافي باعتبار حال المخاطب إلى قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعين .

وعن التقسيم الأول وهو القائم على مبني جملة القصر نقدر أن جملة القصر تتكون لا محالة من طرفي القصر وهما المقصور والمقصور عليه ، وكل منها إما أن يكون ذاتاً وإما أن يكون معنى ، والقصر بهما ومعهما إما أن يكون قصر صفة على موصوف ، وإما أن يكون قصر موصوف على صفة .

(١) الإتقان ج ٢ ص ٥٠ .

وإدراك ذلك سهل فيهما ؛ فقد سبقت أمثلة كثيرة لهما .

أما التقسيم الثاني وهو القائم على دلالة جملة القصر على الإثبات والنفي فقد نتج عنه ما سمي في الاصطلاح البلاغي بالقصر الحقيقى والقصر الإضافى ، لأن الشق الثاني من دلالة جملة القصر وهو النفي إما أن يكون عاماً وإنما أن يكون خاصاً ، فإن كان عاماً كان القصر حقيقياً ، وإن كان خاصاً كان القصر إضافياً .

في القصر الحقيقى :

يختص المقصود بالمقصور عليه : بمعنى أنه يثبت له ويتنفى عما عداه انتفاء عاماً ومطلقاً ، أقول : لا يروى مصر إلا النيل ، ف تكون قد قصرت إرادة مصر على النيل قسراً حقيقياً ، لأننى نفيت خمناً إرادة مصر عن غير النيل من سائر الأنهار ، ويقول أحد الطلاب : لا يدرس لنا الفيزياء إلا الدكتور فلان فيكون قد قصر تدريس الفيزياء له ولزملائه على هذا الدكتور دون غيره من أعضاء هيئة التدريس في جامعة وفي غير جامعة ، ولأن النفي هنا مطلق وعام كان قصر الصفة على الموصوف في المثالين السابقين قسراً حقيقياً .

وفي القصر الإضافى :

يتم تخصيص المقصود بالمقصور عليه كالحقيقى ، ولكن نفى المقصور عن غير المقصور عليه لا يكون عاماً ومطلقاً كالحقيقى ، بل يمكن خاصاً ومقيداً ، وبلغة البلاغيين يمكن إضافياً أى بالإضافة إلى صفات أخرى معينة ومحددة أو إلى موصوفين آخرين معينين ومحددين :

نقول في قصر الصفة على الموصوف قسراً إضافياً : لا ذكر من الطالب إلا على .
وإذا تأملت وجدت أن الذكاء مقصور على علىٌ قسراً إضافياً أى بالنسبة إلى زملائه فقط ، فلم تنف الذكاء عن غير علىٌ نفياً مطلقاً بل نفياً مقيداً بأنه بالنسبة للطلاب الذين يدرسون معه .

ونقول في قصر الموصوف على الصفة قسراً إضافياً : ما علىٌ إلا ذكر ، فتنفى عنه صفة معينة أو مجموعة محددة من الصفات كالاتصال بالحكم ، والاطلاع على خفايا الأمور ، ومعرفة خبايا الصدور ، وتقرر مؤكداً أنه ذكر فقط أى ما هو إلا مستنطق الأحداث ومدرك من مقدماتها نتائجها ؛ فقد نفيت عن علىٌ غير الذكاء نفياً مقيداً بأنه لا ذات المداعاة له ، وبالإضافة إليها وحدها ، فلم تنف عنه الكرم ، ولم تنف عنه الشجاعة ، ولم تنف عنه الإخلاص ، وغير ذلك من الصفات .

والخلاصة أن الإطلاق والتقييد في النفي المفهوم من جملة القصر هما السمتان المميزتان للقصرين الحقيقى والإضافى .

ما كان النفي فيه عاماً أى مطلقاً كان قصراً حقيقياً ، وما كان النفي فيه خاصاً أى مقيداً كان قصراً إضافياً .

والقصرين : الحقيقى والإضافى تفرعات شتى .

فالقصر الحقيقى قد يكون حقيقياً تحقيقاً أى بحسب الحقيقة والواقع كالمثالين السابقين في الحقيقى وهما : لا يرى مصر إلا النيل ولا يدرس لنا الكيمياء إلا فلان وزيند على هذين المثالين قولنا لا رازق إلا الله ، ولا أمير للشغراء إلا شوقى ولا يشغل هذا المبني إلا فلان وأسرته إذا كان فلان وأسرته قد تفردو بالسكن في المبنى المذكور فعلاً .

وقد يكون القصر الحقيقى غير تتحققى بأن يكون ادعائياً مجازياً أساسه الغلو والمبالغة، أقول إنما الشاعر صلاح عبد الصبور قاصداً نفي الشاعرية عن غيره لعدم اعتداله بشاعرية غيره ، ولا عجب ، فشاعرية غيره من وجهة نظرى عدم .

ولأن هذا ليس هو الحقيقة والواقع كان هذا القصر حقيقة ادعائياً أى على سبيل الادعاء والمبالغة لا على سبيل التحقيق والواقع .

ولتنبه إلى أن القصر الحقيقى يكون قصر صفة على موصوف ، ولا يكون قصر موصوف على صفة ، وهذا هو العقول ، فلا يمكن أن نقول على سبيل القصر الحقيقى التحقيقى : ما محمد إلا موظف .

فمن غير المتصور أن يقصر محمد نفسه على وظيفته فلا يذهب إلا إليها ولا يعود إلا منها ، ولا يمارس شيئاً سواها طول عمره الوظيفى ، بل يوماً واحداً من عمره الوظيفى ، ولا فائين هو من فمه وبيقظته ومن أكله وشربها ، ومن حركته وسكنه ومن فرحة وحزنه ومن رضاه وسخطه ومن حلمه وغضبه ومن قيامه بواجباته الأسرية والاجتماعية إلخ .

* * *

بقي التقسيم الأخير من تقسيمات القصر وهو تقسيم القصر الإضافى منه باعتبار حال المخاطب إلى قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعين ، ولأن أساس التقسيم هنا إنما هو حال المخاطب سواء صاحب الإشارات والتبيهات : القصر في المحاربات قال :

والقصر في المحاورات إما قصر إفراد أو قصر قلب أو قصر تعين .

الأول : في الموصوف نحو ما زيد إلا عالم ، وفي الصفة نحو ما العالم إلا زيد ، يخاطب به من يعتقد أن للموصوف صفة أخرى ، أو للصفة موصوفاً آخر .

الثاني : يخاطب به من يعتقد اتصف الموصوف بغير تلك الصفة ، أو اتصف غير ذلك الموصوف بتلك الصفة .

والثالث : يخاطب به من يتساوى عنده الموصوف المذكور وغيره في الصفة المذكورة أو الصفة المذكورة وغيرها في ذلك الموصوف .

وشرط الأول : عدم تنافي الوهفين حتى يكون المنفي في قوله ما زيد إلا شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفهماً يعجز عن قول الشعر .

وشرط الثاني : تنافيهما حتى يكون المنفي في قوله ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو غير ذلك لا كونه أبيض أو أسود وإنحو ذلك .

وشرط الثالث : أعم من ذلك ، أي من التنافي وعدم التنافي ، فكل مثال يصلح لقصر الإفراد أو القلب يصلح لقصر التعين من غير عكس «^(١)» .

انتهى كلام صاحب الإشارات والتنبيهات .

واستشعاراً مني لما عساه أن يكون فيه من خموض فإني أوضحه بالأمثلة الآتية :

تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد : ما محمد إلا كاتب ، ردأ على من يعتقد أنه كاتب وشاعر معاً .

وتقول في قصر الصفة على الموصوف قصر إفراد : ما كاتب إلا محمد ، ردأ على من يعتقد أن محمد كاتب وأن أحمد أيضاً كاتب .

* * *

وتقول في قصر الموصوف على الصفة قصر قلب : ما ناصر إلا ذكي ، ردأ على من يعتقد اتصفاته بالغباء .

(١) الإشارات والتنبيهات من ٨٩ - ٩٠ .

وتقول في قصر الصفة على الموصوف قصر قلب : ما ذكر إلا ناصر ، ردًا على من يعتقد أن الذكر خالد لا ناصر .

* * *

وتقول في قصر الموصوف على الصفة قصر تعين : ما سعد إلا ناجح . خطاباً من تردد بن نجاح سعد ورسوبيه .

وتقول في قصر الصفة على الموصوف قصر تعين : إنما العظيم ناصر خطاباً من تردد بين ناصر وغيره في ثبوت العظمة له .

وقد سكت السكاكي عن اشتراط عدم التنافي في قصر الإفراد ، وعن التنافي في قصر القلب^(١) .

وسكت السكاكي هذا من ذهب ، فعدم التنافي في قصر الإفراد معلوم بما ذكر في تعريفه من أن المخاطب به من يعتقد الشركة ، والشركة لا تتضمن إلا في وصفين غير متنافيين .

والتنافي في قصر القلب يخرج به قوله « إنما محمد شاعر » لمن يعتقد أنه كاتب ، وال الصحيح أنه لا يخرج ، فهو قصر قلب لا ريب ، لأنك قلبت ما علمه عن محمد رأساً على عقب والله أعلم .

(١) المفتاح ص ١٣٦ .

الوصل والفصل

الوصل في الاصطلاح البلاغي عطف جملة على جملة بالواو ، والفصل ترك هذا العطف . فلا يدخل في الوصل عطف مفرد على مفرد ، كما لا يدخل فيه عطف جملة على جملة بغير الواو من حروف العطف الأخرى كالفاء وثم و حتى ويل ولكن ولا وأما وأ OEM وأي . ثم إن عدم وجود هذه الحروف بين الجمل المجاورة لا يسمى فصلاً .

وقد انحرت بالتحديد المزدوج في تعريف الوصل والفصل إلى جمهور البلاغيين .
(عبد القاهر في الدلائل ، والتزويني في الإيضاح ، والعلوي في الطراز ، وابن القيم في الفوائد) .

أما السكاكي فقد ذهب إلى أن كلا من الوصل والفصل يأتي في عطف الجمل والمفردات وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف (١) .
ويظهر أنه قد وقف من الوصل والفصل عند معناهما اللغوي فعمم .

وعندى أن عطف مفرد على مفرد لا يخرج عن كونه عطف جزء على جزء ، والجزء واحداً أو متعدداً لا يؤدى معنى كاملاً لعدم تضمنه نسبة بين مستند إليه ومستند فلا يتعلق به غرض بلاغي بالمعنى الاصطلاحي للبلاغة في مقابلة المعنى الاصطلاحي للفصاحة .

ولإنما اقتصرت الدراسة على الواو وجوهها في الوصل وعدمها في الفصل ، لأنها الأداة الوحيدة التي تقيد الجمع فقط أي الجمع مطلق الجمع ، أما غيرها من حروف العطف الأخرى فإن منها ما يفيض معانى أخرى غير الجمع وما يقيض مع الجمع معنى آخر هو الترتيب مع التعقيب في (الفاء) ، والترتيب مع التراخي في (ثم) وترتيب الأجزاء ترتيباً ذهنياً في (حتى) .

وقد ترتب على ذلك أن مرسل الأدب إذا وصل جملتين بالواو كان على متلقيه أن يبحث عن سر هذا الوصل ، وإذا لم يصلهما بها كان عليه أن يبحث عن سر هذا الفصل ، وهكذا جاء هذا الدرس من دروس البلاغة في علم المعانى ، وهو درس دقيق : لأنه محتاج بعد الفهم العام إلى فهم خاص ، محتاج إلى نوق وعقل .

(١) بنية الإيضاح ج ٢ ص ٨٣ هامش رقم (١) وفتاح العلوم ص ١٢٠ وما بعدها .

مواضخ الفصل

يتم الفصل بين الجملتين المجاورتين في خمسة مواضع :

الموضع الأول:

كمال الاتصال بينهما

وهو يتحقق في ثلاثة مواطن من :

(١) أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى .

كقول الله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » .

يقول القرزييني : « فإن وزان (لا ريب فيه) في الآية وزان (نفسه) في قوله : جانبي الخليفة نفسه ، فإنه لما يبلغ في وصف الكتاب ببلوغ الدرجة القصوى من الكمال ، يجعل المبتدأ (ذلك) الدال على العظمة وعلى الدرجة ، ويتعريف الخبر بأداة التعريف الدالة على الانحصار حتى صار المعنى أنه وحده الكتاب الكامل ، وأن ما عداه من الكتب ناقص ، بل ليس بكتاب أصلاً ، جاز أن يظن السامع أو القارئ أن جملة (ذلك الكتاب) مما يرمى به جزافاً من غير تحقق ، فتأتيها (لا ريب فيه) نفياً لذلك ، إتباع (الخليفة) (نفسه) إزالة لما عسى أن يتوهם السامع أنك في قوله (جانبي الخليفة) متوجون أو ساء » (١) .

وكالآية السابقة قوله تعالى : « كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ » ، فإن الثانية مقررة للأولى ؛ وقوله تعالى : « إنما معكم إنما نحن مستهزئون » لأن قولهم : (إنما معكم) معناه الثبوت على اليهودية ؛ وقولهم : « إنما نحن مستهزئون » رد للإسلام ودفع له .

ومن ذلك قوله : تنزوج محمد هنداً عقد عليها ، وقول المتنبي :

وَمَا الْدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رَوَاهُ قَصَائِدِي .. إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبِحُ الدَّهْرَ مُنْشَدًا

وقول الآخر .

يهوى الثناء ميرز ومقمر .. حب الثناء طبيعة الإنسان

وسر بلاغة الفصل في التوكيد أن التاكيد المؤكّد كالثني الواحد ، فعطّف التاكيد على المؤكّد يكون كعطف الشيئ على نفسه وهو غير وارد .

(١) بغية الإيضاح ج ٢ ص ٩٢

(ب) أُنْ تَكُونُ الْجَمْلَةُ الثَّانِيَةُ بِيَانَ الْأُولَى.

وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبعه في إفاده الإيضاح كقول الله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أذلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » فصل جملة (قال) عن جملة (فوسوس ...) لأنها مبينة لها وزانها وزان (عمر) في قول عبد الله ابن كيسة : أقسم بالله أبو حفص عمر .

فكم جعل (عمر) بياناً وتوضيحاً لأبي حفص لأنه كنية يقع فيها الاشتراك جعلت جملة (قال ...) بياناً لجملة (فوسوس ..) .

ومن ذلك قوله : الأستاذ أب لطلابه يحبهم . أو الطالب أبناء لاستاذهم يحبونه ، وقول المجرى :

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
وقول الآخر :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتنى

وسر بلاغة الفصل بين جملة البيان والجملة المبينة هو ما سبق من سر بلاغة الفصل بين جملة التأكيد والجملة المؤكدة .

(ج) أُنْ تَكُونُ الْجَمْلَةُ الثَّانِيَةُ بِبَدْلٍ بَعْضٍ أَوْ اشتمالٍ مِنَ الْجَمْلَةِ الْأُولَى :

فمن أمثلة بدل البخرين قولنا : يربى الأب أبناءه تربية إسلامية : يأمرهم بالصلة لسبعين . فإن أمرهم بالصلة لسبعين بدل بعض من تربيتهم تربية إسلامية ، قوله تعالى : « أدمكم بما تعلمون ، أدمكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون » ، فإن الأنعام والبنين والجياثات والعيون بعض ما يعلمون أن الله تعالى أدمهم به ، قوله تعالى : « يدبر الأمر يفصل الآيات » فإن تفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر وبدل بعض منه .

وقوله تعالى : « يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم » لأن تذبح الأبناء بعضهم يسومونهم من العذاب ، وزان الثانية من الأولى في الأمثلة الأربع السابقة وزان (وجه) في قوله « أعجبني الصديق وجهه » .

ومن أمثلة بيدل الاتصال:

قول الله تعالى : « اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرًا » .

وقول الشاعر :

أقول له (ارحل) (لا تقيمن عندنا) !، إلا فكن في السر والجهر مسلما
فوزان الجملة الثانية في كل من الآية والبيت وزان (حسنها) في قولك أعجبتني الدار
حسنها .

وسر بلاغة الفصل في البديل أن المبدل منه في نية الطرح ، والعطف عليه لذلك يكون
كالعطف على غير مذكور .

وقد عُلل الفصل في كمال الاتصال جملةً بأن العطف بالواو يقتضي المفارقة بين
الجملتين ولا مفارقة فيما بينهما كمال الاتصال ، فلو عطفنا بالواو لحصل التنافي بين ما
تقضيه الواو من المفارقة ، وما بين الجملتين من كمال الاتصال (١) .

**الموضع الثاني من مواضع الفصل بين الجملتين المتباورتين هو شبهه
بكمال الاتصال بينهما :**

وهو يتحقق إذا كانت الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الجملة الأولى فتنزل منزلته
فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال .

ويسمى الفصل لذلك استئنافاً ، وتسمى الجملة الثانية كذلك استئنافاً ، وال الاستئناف
ثلاثة أطربه ، يقول القرني : لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى ، إما عن سبب
الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قال لي كيف أنت قلت علييل (سهر دائم) وحزن طويل
أى ما بالك علييلاً أو ما سبب علتك .

وإما عن سبب خاص له كقول الله تعالى:
« وما أبرئ نفس إن النفس لأمارة بالسوء » .

وإما عن غيرهما بأن يكون عن شيء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير السببية كقوله
تعالى : « قالوا سلاماً قال سلام » كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال

(١) المنهج الواضح ج ٢ ص ١٣٣ .

سلام ، ومنه قول الشاعر :

نعم العوازل أنتي في غمرة صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى
فإنه لما أبدى الشكایة من جماعات العذال ، كان ذلك مما يحرك السامع ليسأله :
أصدقوا في ذلك أم كذبوا ؟ فآخر الكلام مخرج له إذا كان ذلك قد قيل له ففصل .
كما أن منه قول المتنبي :

وَمَا عَفْتُ الرِّيَاحَ لِهِ مَحْلًا عَفَاهُ مِنْ أَهْدِا بَهْمٍ وَسَاقًا

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل .

ولأنما سمع هذا الضرب من أضرب الفصل بين الجملتين المجاورتين شبه كمال الاتصال لما فيه من ارتباط الجواب بالسؤال ، وهو ارتباط شبيه بالارتباط القائم بين الجملتين المجاورتين في المواطن الثلاثة المكونة لكمال الاتصال ، فكما أن الجملة الأولى في المواطن الثلاثة مستتبعة للثانية ، وكما أن الثانية لا ترتجد بدون الأولى ، كذلك السؤال مستتبع الجواب ، ولا يوجد الجواب بدون السؤال ^(١) .

* * *

والذى قعد بشبه كمال الاتصال عن أن يكون اتصالاً كاملاً إنما هو ما بين السؤال والجواب من عدم الاتحاد فى المعنى ، أجل . إنهم متلازمان لكنهما مختلفان ، فالسؤال شيئاً والجواب شيئاً آخر .

أما فى كمال الاتصال فالجملة الثانية معناها هو معنى الجملة الأولى كاملاً فى البيان والتوكيد وبدل الاشتغال ، وغير كامل فى بدل البعض .

المورفج الثالث من مواضع الفصل بين الجملتين المجاورتين هو :

كمال الانقطاع بينهما

وكمال الانقطاع بينهما وصف يطلق عليهم إذا كانتا من التباعد اللفظي والمعنى بحيث لا يصح ربطهما بعضهما ببعض ، وهذا يتحقق فى حالتين :

(١) بغية الإيضاح ج ٣ من ١٤٧ .

الحالة الأولى : أفع تختلفا خبرا وإنشاء .

بأن تكون إداهما خبراً لفظاً ومعنى أو معنى فقط .

وتكون الثانية إنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط .

ولهذه الحالة صور كثيرة منها :

لا تطلبن بالله حاجة قلم البليغ يغير حظِّ مغزل

تم الفصل بين الجملتين في البيت لأن الأولى إنشائية لفظاً ومعنى ، والثانية خبرية لفظاً ومعنى . وكهذه الصورة قول الله تعالى : « وأقسطوا : إن الله يحب المقسطين » ، وقول الصديق أبي بكر رضي الله عنه : « أيها الناس إنني وليت عليكم » .

ومنها :

لست مستمطراً لغيرك غيشاً كيف يظما من قد تضمن بحرا

تم الفصل بين جملتي البيت : لأن الأولى فيه خبرية لفظاً ومعنى ، والثانية إنشائية لفظاً ومعنى ، أي عكس الوضع في البيت السابق .

وكهذه الصورة قوله تعالى : « وإياك نستعين . اهدانا الصراط المستقيم » . وقولي لأبني : آخرك أخطأ انصحه .

ومنها ، نجع علاء في الامتحان وفقه الله .

والفصل هنا لأن الجملة الأولى خبرية لفظاً ومعنى ، والثانية خبرية لفظاً إنشائية معنى .

ومنها :

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقي

فالأولى خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والثانية خبرية لفظاً ومعنى أي عكس الوضع السابق .

**والحالة الثانية أفع تتفق الجملتان خبراً وإنشاء لكن لا تكون هنارك
 المناسبة بينهما في المعنى أو في السياق .**

الأول : مثل : محمد نجح خالد قصير ، إذ لا مناسبة بين نجاح محمد وقصر خالد .
ومنه قول الشاعر :

وإنما المرء بأصفريه كل امرئ رهن بما لديه

والثاني : كقول الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم . الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمنتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفحون . إن الذين كفروا سواء عليهم أذنرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » .

لم يعطف (إن الذين كفروا) على ما قبله مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد ، حيث إنه مبين لحال الكفار ، وما قبله مبين لحال المؤمنين ، لأن بيان حال المؤمنين غير مقصود بل ذكر على سبيل الاستباع لبيان حال الكتاب وليس بين حال الكتاب وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل .

* * *

ويلزم التنويه بأن سبب الفصل في الحالتين المكتوبتين إكمال الانقطاع أمر ذاتي لا يمكن تقاديه وهو اختلاف الجملتين خبراً وإنشاء في الحالة الأولى وعدم التنااسب بينهما في الحالة الثانية ، وأن سبب الفصل بين الجملتين في الحالتين أمر ذاتي أى مستكן في تكوينهما وليس أمراً طارئاً عليهما كان الانقطاع كاملاً وكان عدم ربطهما بالواو واجباً ، لا نستثنى من ذلك إلا حالة واحدة هي حالة إبعام الفصل خلف المقصود واستئناس في مواضع العمل .

الموضع الرابع

من مواضع الفصل بين الجملتين المتجاورتين هو :

تشبه كمال الانقطاع بينهما

ويؤسفني أتنى لم أجده لشبه كمال الانقطاع هذا إلا مثالاً واحداً يحتمله ويحتمل أن يكون شبه كمال الاتصال أى من الضد إلى الضد ، وهذا المثال هو :

وتظن سلمى أنتي أبيض بها بدلاً أراها في الضلال تهيم
في بين الجملتين الرئيسيتين في البيت وهما (وتظن سلمى أنتي أبيض بها بدلاً) و (وأراها
في الضلال تهيم) .

أقول بين هاتين الجملتين مناسبة مزدوجة شقها الأول : اتحاد المستدين أو شبه اتحادهما وهم (تظن) و (أراها) ، وشقها الثاني : شبه التضاد بين المسند إليه فيهما للزومهما لبعضهما ، فهما المحب والمحبوب . ولقد كانت هذه المناسبة المزدوجة مبرراً لعطف (أراها) على (تظن) لكن ترك العطف لثلا يتوهم أنه عطف على (أبغى) فيكون من مظنونات سلمى ، وهو خلاف المقصود ، إذ المقصود تخطئة سلمى في ظنها أن الشاعر يبيغي بها بدلاً .

وقد سمي هذا المثال بشبهة كمال الانقطاع ، لاشتماله على المانع من العطف وهو إيهام خلاف المقصود .

والسبب في أنه شبهة كمال انقطاع ، وليس كمال انقطاع هو أن المانع من الوصل فيه أمر عارض على الجملتين وليس أمراً داخلاً في تكوينهما ، ولأنه عارض عليهما ، وليس داخلاً في تكوينهما ، يمكن تلقيه بقرينة لفظية ، أو حالية وقد سمي لهذا (شبهة كمال الانقطاع) ، أما المانع من الوصل في كمال الانقطاع فلأنه أمر ذاتي في الجملتين وليس أمراً خارجاً عنهما كان الانقطاع انقطاعاً كاملاً .

* * *

وعن أن هذا البيت يمكن أن يكون شاهداً على كمال الاتصال ، فلأنه يمكن أن نقطع استرسال الشاعر بعد قوله (وتظن سلمى أنتي أبغى بها بدلاً) بسؤال توجهه إليه فحواه : وما رأيك في ظن سلمى أنت تبغي بها بدلاً ؟ ويكون جواب هذا السؤال هو (أراها في الضلال تهيم) .
وهو شبهة كمال الاتصال نصاً .

الموضع الثالث

من مواضع الفصل بين الجملتين المجاورتين هو :

التوسيط بين الكمالين وكمال الاتصال وكمال الانقطاع :

وذلك بأن تكون الجملتان متتسبتين ومتتفقتين خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى ، لكن يمنع من العطف مانع لأن يكون للأولى حكم لا يصح إعطاؤه الثانية ، أو يكون معها قيد يفسد معنى الكلام لو طال الثانية .

ومن أمثلته قوله تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنما معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم » .

لا يصح عطف جملة (الله يستهزئ بهم) على جملة (إنما معكم) أو ما بعدها ، لاقتضائه أنها من مقولة المناافقين وليس الأمر كذلك .

كما لا يصح عطفها على جملة (قالوا ...) إذ يلزم من هذا اختصاص استهزاء الله بهم بوقت خلوهم إلى شياطينهم وتحذفهم معهم .
والواقع أن استهزاء الله بهم حاصل في كل وقت .

* * *

انتهت مواضع الفصل بين الجملتين المجاورةتين ، وإن بها لتزيداً يتمثل في الموضعين الآخرين ، وهما الموضعان اللذان لم نجد لأولهما في كتب البلاغة إلا مثلاً واحداً ، ولم يخلص هذا المثال الواحد لما ضرب له كما رأينا .

ولهذا أضم صوتي إلى صوت الشيخ أحمد مصطفى المراغي في اقتراحه الخاص بإدراجهما في الموضع الثالث قال : « وعند إمعان النظر نجد أن أقسام الفصل ثلاثة لأن موجبه إما الامتزاج التام ، وذلك هو الصورة الأولى (كمال الاتصال) ، وإما التباین التام وهو الصورة الثانية (كمال الانقطاع) وإما قوة الرابطة بالأولى لكنها كالجواب عن سؤال يفهم منها وتلك هي الصورة الثالثة (شبه كمال الاتصال) وأما الحالتان الرابعة والخامسة (شبه كمال الانقطاع ، التوسط بين الكمالين) فيندرجان في الثالثة ، وظاهر فيما أنهما جواب سؤال مقدر ، صرخ بذلك السكاكي والقرزيوني في الرابعة بقولهما بعد البيت (وتنظر سلمى ...) . (ويحتمل الاستثناف) وصرخ عبد القاهر بذلك في الخامسة (١) .

ونعزز كلام المراغي بأن القرزيوني سيجعل السبب الخامس للفصل سبباً للوصل بعد إلا يمنع من العطف مانع طبعاً (٢) .

(١) علوم البلاغة ص ١٥٧ هامش رقم ٣ .

(٢) انظر بقية الإيضاح ج ٢ من ١٠٧ .

مواضيع الوصل

يتم الوصل بين الجملتين المجاورتين في ثلاثة المواقع الآتية :

الموضع الأول :

إذا قصد المتكلم بإيرادهما في إثر بعضهما إشراكهما في الحكم الإعراقي مثل : علاء نجح وتفوق ، ومحمد باع واشترى ، وناصر زار الحرم المكي وزار العرم المدني . والجملتان هنا مطهها الرفع على الخبرية للمبتدأ .

ومثل : « عاد في يصل من أمريكا وقد حصل على الدكتوراه وتزوج وأنجب ووفر بعض المال » فالجمل : (تزوج) و (أنجب) و (وفر بعض المال) موصولة ببعضها ومعطوفة على جملة (حصل على الدكتوراه) قبلها لاشراكها معها في الحكم الإعراقي لها وهو النصب على الحالية من الفاعل (فيصل) .

ومثل : « التقى في أوروبا بطالب عربي يعمل في الصباح ويدرس في المساء » فجملة (يدرس في المساء) معطوفة على جملة (يعمل في الصباح) لاشراكها معها في الحكم الإعراقي وهو هنا الجر صفة للطالب العربى .

الموضع الثاني :

من مواضع الوصل بين الجملتين المجاورتين .

أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود .

وهذه هي الحالة التي نوهنا بها في الموضع الثالث من مواضع الفصل ، وهي تتحقق - كما سبق أن قلنا في كمال الانقطاع - بأن تختلف الجملتان خيراً وإن شاء أو بala يكون بينهما تناسب في المعنى أو في السياق ، ولكن فصل إحداهما :: الآخر يوهن خلاف المقصود ؛ ويعطي معنى مضاداً للمعنى الذي أراده المتكلم .

يسألك عاذنك وهو منصرف عنك قائلاً : أتريد شيئاً فترد لا وحفظ لك الله .

أو : لا ويورك فيك . أو لا وعافاك الله .

(لا) هنا في معنى جملة خبرية تقديرها (لا أريد شيئاً) أما (حفظ الله) ونحوها ،

فهي وإن كانت خبرية لفظاً إلا أنها إنسانية معنى ، ولما كانت العبرة بالمعنى فإن بين الجملتين (لا ، وما بعدها) كمال الانقطاع ، لكن لو فصلنا لأرهم الفصل الدعاء على المخاطب لا الدعاء له ، ولما كان الدعاء له هو مقصود المتكلم ومراده وجوب الرصل .

الموضع الثالث من مواضع الوصل بين الجملتين المتباورتين :

هذا الموضع لا يتحقق إلا بثلاثة شروط هي :

(أ) أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط .

(ب) أن يكون بينهما تناسب في المعنى .

(ج) عدم وجود سبب من أسباب الفصل السابقة ، وهي كمال الاتصال وشبيهه ، وكمال الانقطاع وشبيهه والتوسط بين الكمالين .

مثال الخبرتين لفظاً ومعنى قوله تعالى : « إن الأبرار لفني نعيم ، وإن الفجار لفني جحيم » .

ومثال الإنسانيتين لفظاً ومعنى قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » .

ومثال المتفقتين خبراً معنى فقط قوله تعالى : « إني أشهد الله وأشهدوا » إذ التقدير : إني أشهد الله وأشهدكم .

ومثال المتفقتين إنشاء معنى فقط : اركب الطائرة وتجلس في مقعدك . إذ التقدير اركب الطائرة واجلس في مقعدك .

والتناسب بين الجملتين هو التلازم بينهما كالتوافق في (يأكل ويشرب) ، وكالتضاد في (يضحك ويبكي) .

ولنحرص على ألا تكون هناك فروق صارخة بين المسند إليه في الجملتين ، ولا بين المستددين .

فلا نقول : علاء ناجع والسماء ممطرة ، لعدم التناصف بين (علاء) و (السماء) في الجملتين ، وبين (ناجع) و (ممطرة) فيهما ، وقد عيب لهذا قول أبي تمام :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالَمُ أَنَّ النَّوْىَ صَبَرَ وَأَنَّ أَبَا الْحَسِينِ كَرِيمَ

إذ لَا تَنَاسِبُ بَيْنَ مَرَارَةِ النَّوْىِ وَكَرْمِ أَبَى الْحَسِينِ .

محسنات الوصل

قال القزويني « ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية . وفي المضى والمضارعة إلا لمانع ، كما إذا أريد بأخذها التجدد ، وبالأخرى الثبوت كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو ، وقلت : « قام زيد وعمرو قاعد » (١) انتهى كلام القزويني

ومن تناسب الجملتين في الاسمية
أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب

ومن تناسبهما في المضى
أعطيت حتى تركت الريع حاسرة وجدت حتى كان الفيث لم يجد
ومن تناسبهما في المضارعة
نرروح ونفدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

ومن تناسبهما في الأمر قول الشاعر
فكل إن أكلت وأطعم أخا ك فلازاد يبقى ولا الأكل
وقول الآخر

سافر تجد عوضاً عن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش في النصب
ومن اختلاف الجملتين في الاسمية والفعلية . للدلالة على الثبوت والتجدد . قول الله تعالى: « ولا يحسن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدأوا إثماً وألهم عذاب مهين » ، وقوله تعالى « أجيتننا بالحق ألم أنت من اللاعبين » صدق الله العظيم.

* * *

(١) بغية الإيضاح - ج ٢ ص ١١٦

الإيجاز والإطناب والمساواة

لما كان الإيجاز والإطناب والمساواة من الأمور النسبية التي يتوقف تصورها على تصور أمر آخر تضاف إليه وتقاس عليه ، جعل السكاكي ذلك الأمر (متعارف الأوساط) أي أوساط الناس ، وهم الذين يأتى كلامهم صحيح الإعراب لكنه لا يرتفع إلى البلاغة ، ولا ينحط إلى الفهامة ، وعرف الإيجاز - لهذا - بأنه أداء المعنى المقصود بأقل من عبارات متعارف الأوساط ، وعرف الإطناب بأنه أداقه بأكثر من عباراته .

للمزيد من التوضيح، نلاحظ أن المقصود بالمساواة هو الأمر المقياس عليه .

فإن كانت العبارة وافية بادئتها وهي أقل منه فهى الإيجاز .

وإن كانت أكثر لاعلى وجه التطويل والخشوع فهى الإطناب وإن كانت مثله فهى المساواة^(١) .

وما ذهبنا إليه هو الحق ، فمصطلحات الإيجاز والإطناب والمساواة لا تفهم دون التنظير بين حجم الكلام ومعناه .

فإن كان الكلام مساوياً لمعناه هكذا	_____	خط المعاني
فهو مساواة .	_____	خط الألفاظ
وإن كان أقل من معناه هكذا	_____	خط المعاني
فهو إيجاز	_____	خط الألفاظ
وإن كان أكثر من معناه هكذا	_____	خط المعاني
ننظر :	_____	خط الألفاظ

فإن كانت زيادة الألفاظ على المعاني لفائدة فهو الإطناب .

وإن كانت زيادة الألفاظ على المعاني لغير فائدة وغير متعلقة فهو التطويل .

وإن كانت زيادة الألفاظ على المعاني لغير فائدة ومتعددة فهو الشو .

والخلاصة أن حجم الكلام بالنظر إلى معناه تتعاقب عليه مصطلحات المساواة والإيجاز والإطناب والتطويل والخشوع .

(١) المفتاح ص ١٥٠ وبنية الإيضاح ج ٢ ص ١٣٢ والإشارات والتبيهات من ١٤٢ .

المساواة

جعلها الجرجانى آخر الباب ، وعرفها بأنها الكلام الذى لا يحتاج إلى زيادة لفظ ، ولو حذف شيء من لفظه اختل معناه ^(١) .

والمراد بها عند القزوينى أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ^(٢) .

والمساواة هي الأصل المقيس عليه عند السكاكي : لأنها متعارف الأوساط الذى قال به وجعلها نصب عينه وهو يعرف الإيجاز والإطناب .

ومن أمثلتها قول الله تعالى : « وإنما رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعتبر عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » .

وقوله تعالى : « ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله » .

وقوله تعالى : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » .

وقول الرسول ﷺ : « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك مشتبهات » .

وقول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خلية وإن خالها تخفي على الناس تعلم
وقول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً و يأتيك بالأخبار من لم تزود
وقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتنى عنك واسع
وقول الحكيم :

إذا أنت لم تقتصر عن الجهل والخنا أصبت حلماً أو أصباك جاهم
وقوله :

ليس الجمال بأشواب تزييناً إن الجمال جمال العلم والأدب

(١) الإشارات من ١٦٦ .

(٢) بغية الإيضاح ج ٢ ص ١٢٤ .

الإيجاز

الإيجاز على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف
النحوب الأول : إيجاز القصر :

وهو التعبير عن المعنى المراد بلفظ أقل منه مع الوفاء به .
فإن لم يف به كان إخلالاً لا إيجازاً .
ومن الإخلال قول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوفى كان أعذراً
أراد يقتلون نفوسهم في السلم فأخل .
وقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلام النوك ممن عاش كذا
أراد أن العيش الطيب في ظلال الحمق خير من العيش الخشن في ظلال العقل فأخل .
وأمثلة إيجاز القصر كثيرة منها :

« ولكم في القصاص حياة » ، « ألا له الخلق والأمر » ، « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلين » ، « إنما الأعمال بالنيات » ، « الضعيف أمير الركب » ، « مطل الفنٰ ظلم » ،
« خير عادة ألا تكون للمرء عادة » ، « الأسلوب هو الشخص » ، « المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء » .

ومن إيجاز القصر أن النبي ﷺ سئل عن جمال المرأة فـيكون ؟
فأجاب : « في لسانها » ، ومنه ما كتبه عمرو بن مساعدة إلى بعض العمال قال : « كتابي
إليك كتاب واثق بمن كتب إليه ، معنى بمن كتب له ، وإن يضيع بين الثقة والعنابة حامله » .
النحوب الثاني إيجاز الجرف :

يقول القرني : وهو ما يكون بحذف .
ويقول الجرجاني : « هو حذف بعض متعلق الكلام للقرينة » ^(١) .

وتعريف الجرجاني أدق ، لنصه فيه على شرط الحذف وهو القرينة .

(١) بنية الإيضاح ج ٢ من ١٤٤ والإشارات من ١٤٨ .

ثُمَّ الْمُجْرُوكُوفُ :

إِمَّا حَرْفٌ : كَقُولُ اللَّهِ تَعَالَى « وَلَمْ أَكْ بِنَيَاً » أَصْلُهُ : وَلَمْ أَكْنَ ، وَقُولُهُ تَعَالَى « تَالَّهُ تَفَتَّا تَذَكَّرُ يُوسُفُ » أَى لَا تَفَتَّأْ تَذَكَّرُ يُوسُفُ . وَكَقُولُ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ :

خَمْسَالٌ تَفَسَّدُ الرَّجُلُ الْحَلِيمًا
رَأَيْتُ الْخَمْرَ جَامِدَةً وَفِيهَا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبَهَا حَيَاةً
وَلَا أَسْقَى بِهَا أَبْدًا نَدِيمًا
أَرَادَ : لَا أَشْرَبَهَا .

وَقُولُ امْرَئِ الْقَيْسِ :

فَقَلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحْ قَاعِدًا
وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لِدِيكِ وَأَوْصَالِي
أَرَادَ لَا أَبْرَحَ .

أَوْ أَسْمَرُ مَرْنَافُ :

نَحُوا « وَجَاهُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ » أَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
أَوْ أَسْمَرُ مَرْنَافُ إِلَيْهِ نَحُوا « وَاعْدَنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ، وَاتَّمَنَّاهَا بِعَشْرٍ » أَى بِعَشْرِ
لَيَالٍ .

أَوْ أَسْمَرُ مَوْصُوفُ : نَحُوا ، أَنَا ابْنُ جَلَّا ، أَى ابْنُ رَجُلِ جَلَّا .

أَوْ أَسْمَرُ رَصْفَةٌ : نَحُوا « وَكَانَ وَرَاعِهِمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سُفْنَةٍ غَصِيبًا » أَى سُفْنَةٍ صَالِحةٍ .
أَوْ قَنْسُرٌ : نَحُوا : لَا جَهَدَنِ . أَى وَاللَّهِ لَا جَهَدَنِ .

أَوْ جَوَابُ قَنْسُرٍ : نَحُوا ، « قَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ، بَلْ عَجِيبُوا أَنْ جَاءُهُمْ مِنْذُ مِنْهُمْ » إِذ
الْتَّقْدِيرُ ، « قَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ (لِتَبْعَثُنَّ) بَلْ عَجِيبُوا » . وَنَحُوا « وَالْفَجْرُ وَلِيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعُ
وَالوَتْرُ ، وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرَّ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِذِي حَجَرٍ » وَ . جَوَابُ الْقَسْمِ الْمُحْتَوِفِ هُوَ :
لِتَعْذِيْنَ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ .

أَوْ لَثَرْبَطٌ :

نَحُوا « اتَّبَعْنِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ » أَى فَإِنْ تَتَّبِعُونِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ .

أو جواب شرط :

وتحذف جواب الشرط إما أن يكون مجرد الإيجاز كقوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون » أى أعرضوا ، لقرينة قوله بعدها « إلا كانوا عنها معرضين »

ولما للدلالة على أنه شئ لا يحيط به الوصف قصداً إلى المبالغة حتى تذهب النفس فيه كل مذهب كقوله تعالى ، « ولو ترى إذ وقفوا على النار ». .

وقوله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم » ، وقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رفوفهم عند ربهم » إذ التقدير : لرأيت أمراً مهولاً لا يحيط به الوصف .

أو اسم معطوف كقوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ». .

التقدير : لا يُستوي منكم من أنفق من قيل القتيع وقاتل ، ومن أنفق من بعده وقاتل .

يدليل قوله تعالى بعده : « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ». .

جامعة الملك عبد الله

نحو: «ولئن سألهُم من خلق السموات والأرض ليقولوا الله» أى خلقهم الله.

أو المسنط إليه كقول حاتم :

أهواوى ما يغنى الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أى إذا حشرجت الروح يوماً

أو المفهوم به - أو الجار والمجرور: وقد جمعهما معاً قول الشاعر :

أَلْتُ فَحِيتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَعْتُ فَلَمَا تَوَلَّ كَادَتِ النَّفْسُ تَزَهَّقُ
أَرَادَ أَلْتُ بِنَا فَحِيتَنَا ثُمَّ قَامَتْ عَنَا فَوَدَعْتَنَا ، فَلَمَا تَوَلَّ عَنَا كَادَتِ النَّفْسُ مَنَا أَنْ تَزَهَّقُ .

أَلْتُ فَحِيتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَعْتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزَهَّقْ

أراد الله بنا فحيتنا ثم قامت عنا فودعتنا ، فلما تولت عنا كادت النفس منا أن تزهق .

أو جملة تامة:

نحو «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين» أي فاختلفوا فيبعث الله النبيين .

والجملة التامة المحنوقة قد تكون معاللة بالذكرية كقوله تعالى : « ليحق الله الحق ويبطل

الباطل « أى فعل ما فعل ليحق الحق ويبطل الباطل .

وكل قول المتنبي :

أنتي الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتیناه على الهرم

أى فسادنا .

وقد تكون علة للمذكورة كقول الله تعالى : « فتوبوا إلى بارئكم فاقتلونا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم كتاب عليكم » أى فاقتتلتم كتاب عليكم .

أو أكثر من جملة :

كقول الله تعالى في سورة يوسف : « أنا أنبئكم بتأنيله فأرسلون ... يوسف أيها الصديق أفتنا » إذ التقدير : فأرسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا فأرسلوه فائتاً فقال : يوسف أيها الصديق .

وقوله تعالى في قصة موسى مع ابنتى شعيب « فسقى لهم ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير .. فجاءته إحداهما تمشى على استحياء » .

التقدير : عادت الفتاتان مبكريتين خلافاً لعادتهما كل يوم فاستفسر منها والدهما عن سبب ذلك فقصتها عليه قصة الغريب معهما وسقيه لهما واقترحت عليه إحداهما أن يدعوه ليجزيه أجر ما سقى لها فوافق شعيب وأرسلها في طلبه فمثلت بين يديه وقالت : « إن أبي ... » .

وقوله تعالى في قصة سليمان والهدى وبليقيس ملكة سبا : « اذهب بكتابي هذا فللق إليهم ثم تول عنهم فانتظر ماذا يرجعون * قالت يائيا الملا إني ألقى إلى كتاب كريم » التقدير : فذهب بالكتاب وألقاه إلى بليقيس فلما قرأته قالت : « يائيا الملا ... » .

والحرائف على وجهين :

أحدهما : ألا يقام شئ مقام المحنوف اكتفاء بالقرينة الدالة عليه ، وجمهرة الأمثلة السابقة من هذا الوجه .

والثاني : أن يقام شئ مقامه يدل عليه كقوله تعالى : « فابن تولوا فقد أبلغتكم ما

أرسلت به إليكم » . ليس إبلاغ هو الجواب لتقديره على توليهم ، والتقدير : فإن تولوا فلا
لهم على لأنى قد أبلغتكم ، أو فلا عذر لكم عند ربكم ، لأنى قد أبلغتكم ...

وقوله تعالى : « وإن يكذبوا فقد كذبت رسلا من قبلك » أى فلا تحزن واصبر فإنه قد
كذبت رسلا من قبلك ، قوله تعالى : « وإن يعودوا فقد مضت ستة الألبيين » أى فيصيبيهم مثل
ما أصاب الألبيين ^(١) .

والحذف الذى لا يقام فيه شئ مقام المحنوف أدلة منها :
العقل ، والمقصود الأظهر ، والعادة ، والشروع فى الفعل ، والاقتران بالفعل .

وهذه الأدلة تعمل أكثر ما تعمل بشكل ثانى كالآتى :

(١) أن يدل العقل على الحذف ، والمقصود الأظهر على تعين المحنوف كقوله تعالى :
« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ... » . قوله تعالى : « حرمت عليكم
أمهاتكم وبنياتكم وأخواتكم » . فإن العقل يدل على الحذف لما هو مسلم به من أن
الحرام يتعلق بالأفعال لا بالذوات .

ومقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير : حرم عليكم أكل الميتة وحرم عليكم نكاح
أمهاتكم .

إذ الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

(٢) أن يدل العقل على الحذف والتعين معاً كقوله تعالى : « وجاء ربك » أى أمر ربك أو
عذابه أو يأسه ، قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » أى
عذاب الله أو أمره ^(٢) .

(١) بغية الإيضاح ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) قال الإمام أحمد بن حنبل قال الله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » فهل
يجئ الله !! إنما يجيء أمره . والمشهور عن أصحاب الإمام أحمد أنهم لا يتأنون الصفات التي من
جنس الحركة كالمجن والإتيان والنزول والهبوط والدنو والتلوي كما لا يتأنون غيرها متابعة للسلف
الصالحة وكلام السلف الصالحة في هذا الباب يقتصر على إثبات المعنى المتنازع فيه أى دون الدخول
في شرحه أو كيفيةه . وانظر (الاستقامة) لابن تيمية ج ١ ص ٧٤ - ٧٦ . تحقيق الدكتور محمد
رشاد سالم ط (١) سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ .

(٣) أن يدل العقل على الحذف ، والعادة على التعين ، كقوله تعالى حكاية عن زليخا :
« فذلن الذى لمتنى فيه » .

دل العقل على الحذف ، لأنه لا معنى للوم في ذات الشخص ، ولما بحثنا عن المحنوف
ترددنا بين أن يكون :

(٤) **(في هراوكته كن نفسه)** بدليل : « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود
فتاتها عن نفسه » ، وأن يكون :

(ب) **(في حبه)** بدليل « قد شغفها حباً » ، وأن يكون .

(ج) **(في شائقه أيشمل الحب والمراودة جميعاً)** .

وبدلتنا العادة على تعين المراودة ، فالإنسان - عادة - لا يلام على حبه ، لأنه ليس من
كسبه ، وإنما يلام على المراودة التي يقدر أن يدفعها عن نفسه .

(٥) أن يدل العقل على المحنوف ، والشرع في الفعل على تعينه كقول المؤمن عند
الشرع في أي فعل « بسم الله الرحمن الرحيم » أي باسم الله أقرأ أو أكتب أو أكل أو
نحوه .

(٦) أن تدل العادة على المحنوف ، واقتران الكلام بالفعل على تعينه ، تقول لمن أعرست :
بالرقاء والبنين ، فيكون التقدير : بالرقاء والبنين أعرست .

(٧) أن تدل العادة على الحذف والتعين جميعاً ، كقول الله تعالى : « لو نعلم قتالاً
لاتبعناكم » قالوا ذلك مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فلابد من تقدير الحذف ، وتعيين
المحنوف وهو هنا مكان القتال .

والمعنى أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ، ويخشى عليكم منه ، ودليل ذلك أنهم
كانوا قد أشاروا على رسول الله ﷺ بالبقاء في المدينة والتحصن بها (١) .

* * *

ومن لطائف الإيجاز وطرائفه أن شمس الدين النواجي قد أطلق على إيجاز الحذف اسم
(الاكتفاء) وألف فيه كتاباً سماه (الشفاء في بديع الاكتفاء) وهو مطبوع بتحقيق الدكتور
محمد أبو ناجي بيروت د . ت .

(١) بغية الإيضاح ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ .

وقد أسرف النواجي على نفسه وعليتنا وعلى الواقع البلاغى وهو يفتעל تفرقة لا تنتهي بين (إيجاز الحذف) و(الاكتفاء) هي :

إن الاكتفاء ما دلّ على الحذف فيه بدلالة لفظية ، أما الإيجاز ، فما دلّ عليه فيه بدلالة لفظية أو عقلية .

ورتب على ذلك أن كل ما صبح أن يكون شاهداً للاكتفاء . صبح أن يكون شاهداً للإيجاز من غير عكس .

ومن أمثلة الاكتفاء عنده قوله الشاعر :

ما أحسن الصبر وأما على إلا أرى وجهك يوماً فلا
أي فلا يحسن .

وقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » قال أهل المعانى : أراد الحر والبرد لكنه اكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام على الآخر .

لمن يدرى فقد تكون كلمة (اكتفى) فى قول أهل المعانى هي التي دعت النواجي إلى أن يعطى لإيجاز الحذف مصطلحاً جديداً هو الاكتفاء^(١) . ولو لا أن الزمن قد سبق بـ (إيجاز الحذف) لفضلنا مصطلح النواجي عليه ، إن لم يكن اختصاراً وطرافة فعنصير نواجية ، وقبل النواجي عبر السكاكي عن الإيجاز والإطناب بـ (طى الجمل ، ولا طيها)^(٢)

زيادة الألفاظ على المعانى

سبق القول بأن هذه الزيادة تشمل ثلاثة أنواع هي التطويل والخشوع والإطناب ، لأن هذه الزيادة إما أن تكون لفائدة ، وإما أن تكون لغير فائدة ، فإن كانت لفائدة فهي الإطناب وسيأتي .

وإن لم تكن لفائدة ، ولم تكن متحينة فهو التطويل .

مثل : نزلت بصديقى فوجدت منه كل خير وفضل ، والتطويل منحصر فى (خير وفضل) ، فإن معناهما واحد ، ولأن معناهما واحد ، فإن واحدة منها زائدة دون فائدة ، ولو اخترنا بينهما لاحتمنا لأن الزيادة غير متعينة .

(١) الشفاء فى بديع الاكتفاء من ٣١ - ٣٢ .

(٢) المفتاح ص ١٣٣ - والنواجي نسبة إلى (نواج) مركز ملقطاً غربية وهي قريتى التي ولدت ونشأت بها ومن سراتها آل قلقيلة .

وكتقول عنترة :

حبيت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
الشاهد في (أقوى وأقفر) فهما كخير وفضل .

وكتقول الآخر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتي من دونها النَّـي والبعـد
والشاهد في (النَّـي والبعـد) فهما كأقوى وأقفر .

وقول عدي بن زيد العبادى فى جذيمة الأبرش لما خدعته الزياء وصرعته :
وقددت الأديم لراهمشيه وألـفـى قولـها كذـباًـ ومـيناـ
والشاهد في (كذـباًـ ومـيناـ) فـهـماـ كالـنـيـ والـبـعـدـ .

(قدـدتـ : قـطـعـتـ ، وـالـأـدـيمـ ، الـجـلـدـ ، وـالـرـاـهـمـشـانـ : عـرـقـانـ فـىـ باـطـنـ الذـرـاعـ إـذـاـ فـصـدـ
الـإـنـسـانـ مـنـهـماـ مـاتـ لـتـوهـ) .

وإـذـاـ كـانـتـ الـزـيـادـةـ لـغـيرـ ثـائـدـةـ وـمـتـعـيـنـةـ فـإـنـهاـ تـسـمـىـ حـشـواـ
وـهـوـ نـوـعـاـ :

حـشـواـ مـفـسـدـ لـلـمـعـنـىـ ، وـحـشـواـ غـيرـ مـفـسـدـ لـهـ .

مثالـ الحـشـواـ مـفـسـدـ لـلـمـعـنـىـ قولـ المـتـبـيـ :

وـلـاـ فـضـلـ فـيـهـاـ لـلـشـجـاعـةـ وـالـنـدـىـ وـصـبـرـ الفتـىـ لـوـلـاـ لـقـاءـ شـعـوبـ
يـقـولـ القـزوـينـيـ :

فـإـنـ لـفـظـ (ـالـنـدـىـ)ـ فـيـهـ حـشـواـ مـفـسـدـ لـلـمـعـنـىـ ،ـ لـأـنـ المـعـنـىـ أـنـهـ لـاـ فـضـلـ فـيـ الدـنـيـاـ لـلـشـجـاعـةـ
وـالـصـبـرـ وـالـنـدـىـ لـوـلـاـ المـوـتـ ،ـ وـهـذـاـ الـحـكـمـ صـحـيـحـ فـيـ (ـالـشـجـاعـةـ)ـ وـفـيـ الصـبـرـ بـنـونـ (ـالـنـدـىـ)ـ
لـأـنـ الشـجـاعـ لـوـ عـلـمـ أـنـهـ يـخـلـدـ فـيـ الدـنـيـاـ لـمـ يـخـشـ الـهـلـلـكـ فـلـمـ يـكـنـ لـشـجـاعـتـهـ
فضـلـ ،ـ بـخـلـافـ الـبـاذـلـ مـاـلـهـ ،ـ فـإـنـهـ إـذـاـ عـلـمـ أـنـهـ يـمـوتـ هـاـنـ عـلـيـهـ بـذـلـهـ ،ـ فـلـوـ عـلـمـ أـنـهـ يـخـلـدـ ثـمـ
جـادـ بـعـالـهـ ،ـ كـانـ جـوـدـهـ أـفـضـلـ ،ـ فـاـلـشـجـاعـةـ لـوـلـاـ المـوـتـ لـمـ تـحـمـدـ وـالـنـدـىـ بـالـضـدـ .

ومثال الحشو غير المفسد للمعنى قول أبي العيال الهذلي :

ذكرت أخي فعاويني صداع الرأس والوهب
 فإن لفظ (الرأس) فيه ، حشو غير مفسد للمعنى ، وقول زهير :
 وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد حم
 فإن قوله (قبله) مستغنى عنه غير مفسد .
 وقول أبي عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العيلي :
 نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت في الجسد للأقوام كالأنساب
 فإن قوله (« للأقوام ») حشو لافائدة فيه مع أنه غير مفسد ^(١) .

* * *

انتهى كلام القزويني ، وقد رروا عن بدر الدين بن مالك قوله :
 يكثر الحشو بلفظ (أصبح) و (أمسى) و (عدا) و (ألا) و (قد) و (اليوم)
 و (لعمري) و (يا صاحبي) قال أبو تمام :
 أقروا (لعمري) بحكم السيو ف وكانت أحق بفصل القضا
 وقال البحترى :

ما أحسن الأيام إلا أنها (يا صاحبي) إذا مضت لم ترجع ^(٢)
 ويظهر أن بدر الدين لم يكن يقصد الحشو بالمعنى الذي شرحناه هنا ، بل كان يقصد ما
 يمكن أن نسقطه من الكلام دون أن نخل بالمعنى الأصلي ولو أننا التمسنا دلالات الكلمات
 التي ذكرها لوجدنا أنها تؤدي وظائف ذهنية وشعرية ، وأن الكلام بها أحسن منه بدونها
 والله أعلم .

(١) بقية الإيضاح ج ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) عليم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص ١٧٤ طبعة دار القلم لبنان ط (١) . ١٩٨٠ .

الإطناب

تكرر القول بأنه زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

ومن وجہ نظر السکاکی : هو تأدية المعنى بعبارة زائدة على متعارف الأوساط لأغراض يسعى الأديب الأريب إلى تحقيقها .

و والإطناب أنواع كثيرة منها :

١ - الإيضاح بعده الإبهام :

وأسرار بلاغته تردد بين أن تكون :

(أ) رؤية المعنى المقصود التعبير عنه في سورتين مختلفتين ، بمجيئه لابساً كستين : كسوة الخموص والإبهام ، وكسوة الونوح والبيان .

وهذا يؤدي إلى تمكنه في النفس : فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتتجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألمَّ في ذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم .

(بـ) حصول المتنعة الكاملة بإذراكه على مرحلتين : فإن الشئ إذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة : لم يتقدم حصول اللذة به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوّقت النفس إلى العلم بالجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، وللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم .

(جـ) تفخيه الأمر وتحطيمه :

كقول الله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصيبحين » .

ففي إبهام الأمر أولاً ، وتوضيحه ثانياً تفخيه له أى تفخيم .

وقوله تعالى : « رب اشرح لي صدرى ، ويسر لى أمرى » .

فإن قوله : « اشرح لى » يفيد طلب الشرح لشيء ما ، وقوله : (صدرى) يفيد تفسيره ومثله « ويسر لى أمرى » .

ومن الإطناب بالإيضاح بحذف الإبهام بباب : نعم وبئس

على قول من يجعل المخصوص خبراً لمبدأ محنف ، أو يجعله مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه .

أما على قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون من الإيضاح بعد الإبهام لأن المخصوص من وجهاً نظر أصحاب هذا القول مقدم في التقدير .

تقول : نعم الرجل محمد أو نعم رجلاً مسيلاً

وبئس الرجل مسيلاً أو بئس رجلاً مسيلاً

وتقول : نعم خلق المرء الإخلاص ، وبئس خلق المرء النفاق .

ووجه حسنة سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران :

أحدهما : إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه بالإيضاح بعد الإبهام ، وإلى إيجازه بحذف المبتدأ .

والثاني : هو إيهام الجمع بين المتافقين فيما الإطناب والإيجاز .

* * *

وأيضاً من الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام :

التوضيح

وهو أن يكتفى في الكلام بمثنى مفسر باثنين أو بجمع مفسر بثلاثة .

فمن الأول : هذه الأقوال لرسول الله ﷺ .

متهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال .

خصلتان لا تجتمعان في مقمن : البخل وسوء الخلق .

يشيب ابن آدم وتتشبّه معه خصلتان : الحرث وطول الأمل .

الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب .

وقولهم ، العلم عمان : علم الأبدان وعلم الأديان .

وقول ابن الرومي :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجدان : البحر والمطر

وإن أضاءت لنا أنوار غرتـه تضاءل النيران : الشمس والقمر

وقول ابن المعتر :

شبيهة خديها بغير رقيب
وسمسيين من خمر وجه حبيب

سقنتى فى ليل شبيه بشعرها
فمازلت فى ليلين ، شعر وظلمة

وقول البحترى :

أعطااف قضبان به وقدود
وشيان ، وشى ربي ووشى برود
وردان ، ورجنى وورد خلود

لما مشين بذى الأراك تشابهت
فى حلتي حبر وروض فالقصى
وسفرن فامتلاكت عيون راقها

وقول شوقي :

فما بالهم فى حالك الظلمات
بأيديهم نوران ، ذكر وسنة

وقول محمود حسن إسماعيل :

سطعا فراح الشعر يسطع من فهى
نوران نور هدى ونور تبسم

ومن ^{الثانى} قول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

وقول غانم الملقى :

الامن والصحة والقوت
ثلاثة يجهل مقدارها

وقول الآخر :

ثلاثة تنفسى عن المرء الحزن

(٢) **ذكر الخاص بغير العام** :

للتنبيه على فضل الخاص حتى كانه ليس من جنس العام ، تنزيلاً للتغایر في الوصف
منزلة التغایر في الذات كقوله تعالى : « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال » .

وقوله تعالى : « ولتكن أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » .

وقوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلة الوسطى » .

(٣) **ذكر العام بغير الخاص** :

لإفاده العموم مع العناية بشأن الخاص، بذكره مرتين : مرة واحدة ، ومرة ضمن العام

قوله تعالى: « رب اغفر لى ولوالدى ولين دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » و قوله تعالى: « إن صلاتى ونسكى ... » .

فالنسك العبادة وهى أعم من الصلاة ، و قوله تعالى : « ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » و قوله تعالى : « ألم يعلهموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله عالم الغيب » (١) .

(٤) التكرار: وهو ذكر الشئ أكثر من مرة لداع بлагى .

أ - كتأكيد الإنذار فى قوله تعالى : « كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون » .

ب - وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول فى قوله تعالى : « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهلكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » .

ج - وكالتذذذ بذكر المكر فى بيت مروان بن أبي حفصة :
سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا هبذا نجد على القرب والبعد
وفي الشاهد النحوى :

سعاد التي أضناك حب سعاد

د - وكإظهار التحسن فى قول الحسن بن مطر يرىى معن بن زائدة :
فيما قبر معن أنت أول حفارة من الأرض خطت للسماحة موضعاً
ويا قبر معن كيف واريت جسوده وقد كان منه البر والبحر مترعاً
هـ - وكالدلالة على الاستيعاب فى قوله : عرفت الرياض حيا حيا ، وشارعاً شارعاً ،
وقرأت الكتاب بباباً بباباً وفصلاً فصلاً .

و- ومن نوعي التكرار كذلك طول الفصل بين ركنى الجملة فى قول الله تعالى :
« ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها
لغفور رحيم » .

وفي قوله تعالى : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وهمبروا ، إن
ربك من بعدها لغفور رحيم » .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزرتشى ج ٢ ص ٤٧١ .

ز - وقد يكن التكرار لعدد المتعلق تعظيمًا لشأنه كالذى نجده فى سورة الرحمن من تكرار آية « فبأى ألاء ربكم تكذبان » ، وكقولهم ، « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة »^(١) .

٥) الإيغال :

والإيغال فى اللغة المبالغة ، تقول أولى فى الأمر إذا أمعن فيه وبالغ ، أما فى الاصطلاح البلاغى ، فقد عرفه القرزينى بأنه ختم البيت بما فيه نكتة يتم المعنى بدورها كزيادة المبالغة فى قول الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهدأة به كأنه علم فى رأسه نار

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهدأة ، حتى جعلت فى رأسه ناراً .

وفي قول ذى الرمة :

قف العيس فى أطلال مكة واسئل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل
أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمان المفصل
العيس : الإبل يخالط بياضها سواد خفيف جمع العيس ، والأخلاق : جمع حلق وهو
البالي ، والمسلسل : الردى النسج ، والتبذير : التفريق ، أما الجمان المفصل فهو اللؤلؤ
المنظوم .

وزيادة المبالغة فى البيتين تمت بالوصفين (المسلسل) و (المفصل) .

وكزيادة المبالغة فى الإيغال :

تحقيق التشبيه

وهو إظهار التساوى بين الطرفين فى وجه الشبه كقول أمرى القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزء الذى لم يتقد
فإنه لما أتنى على التشبيه قبل ذكر القافية ، واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله « لم
يتقد » ، لأن الجزء إذا كان غير متقوب كان أشباه بالعيون .

(١) بنية الإيضاح ج ٢ ص ١٥٦ - ١٥٧

ومثله قول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حبُّ القنا لم يحط
فإن حبُّ القنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصيف الأحمر إلا مالم
يحطِّم ، وكذا قول أمير القيس :
حملت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

* * *

ولما كان تعريف الفزويين للإيغال في أول كلامه عنه نصاً أو كالنص على أنه خاص
بالشعر ، فإنه لم يقادره حتى ذكر ما يدل على أنه كما يتأتي في الشعر يتأتي في النثر ،
وممثل له في النثر يقول الله تعالى : « اتبعوا من لا يسألكم أجرأً وهم مهتدون » .
فقوله تعالى : « وهم مهتدون » إيغال ، لأن المعنى يتم بدونه ، إذ الرسل مهتدون لامحالة ،
فذكر هدایتهم - والحالـة هذه - تصریح بما علم التزاماً .

* * *

ومن الإيغال في النثر أيضاً قوله تعالى : « إِنَّ كثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ * أَفْحَكُمُ
الْجَاهِلِيَّةَ بِيَغْوِيْنَ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يَوْقَنُونَ » .

فقد تم المعنى بقوله تعالى : « ومن أحسن من الله حكماً » وجاء قوله تعالى : « لِقَوْمٍ
يَوْقَنُونَ » إيغالاً لإفادته معنى زائداً هو أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من
أيقن أنه سبحانه وتعالى حكيم عادل (١) .

(٢) التزييل :

التزييل تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها تقوية لها .

وهو يخربان :

(١) يخربه لا يجري صجرى المثل ، لأنه لا يستقل بمعناه ، بل يتوقف على ما قبله
كت قوله تعالى : « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكافر » أى وهل نجازي الجزاء
المذكور فيما قبل ، وهو إرسال سيل العرم وتبديل الجنين ، إلا الكفر ، ويقول المتنبي :
تعسني الأمانى صرعى دون مبلقه . فما يقول لشنى ليت ذلك لمى
وقول ابن نباتة :

لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله تركتنى أصحاب الدنيا بلا أمل

(١). بدیع القرآن من ٧٢ .

وقد تم التذليل بالشطارة الثانية في كل من البيتين .

(بـ) وَتَرْبِيْبٌ يَجْرِيْ مُجْرِيَ الْمَثَلِ فِي الْاسْتِقْلَالِ بِنَفْسِهِ وَفِي التَّمَثِيلِ بِهِ كَقُولِهِ تَعَالَى :

« وَقَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا » ، فَقُولُهُ تَعَالَى « إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا » تَذَلِيلٌ جَارٌ مُجْرِيَ الْمَثَلِ ، لِتَضِيقَتِهِ مَعْنَى كُلِّيًّا قَائِمًا بِنَفْسِهِ هُوَ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا مَحَالَةَ زَائِلٍ ، وَقُولُهُ تَعَالَى : « وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَامَارَةٌ بِالسَّوْءِ » . فَ« إِنَّ النَّفْسَ لَامَارَةٌ بِالسَّوْءِ » تَذَلِيلٌ جَارٌ مُجْرِيَ الْمَثَلِ .

وَكَقُولُ النَّابِغَةِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَاهُ لَا تَلِمْ عَلَى شَعْثَ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ
قُولُهُ « أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ » تَذَلِيلٌ يُمْكِنُ التَّمَثِيلَ بِهِ .

وَقَوْلُ الْحَطِيْبَةِ :

تَزُورُ فَتِيَ يَعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ وَمَنْ يَعْطِي أَثْمَانَ الْمَحَمَدِ يَحْمَدُ
وَالْشَّاهِدُ فِي الشَّطَرَةِ الثَّانِيَةِ ، فَهُنَّ تَذَلِيلٌ جَارٌ مُجْرِيَ الْمَثَلِ .

وَقَدْ اجْتَمَعَ الصَّرِيبَانِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلَدَ أَفَإِنْ مَتْ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » .

فَإِنْ قُولُهُ تَعَالَى : « أَفَنَّ مَتْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ » تَذَلِيلٌ غَيْرُ جَارٌ مُجْرِيَ الْمَثَلِ .

وَقُولُهُ تَعَالَى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » تَذَلِيلٌ جَارٌ مُجْرِيَ الْمَثَلِ .

وَتَقْسِيمٌ آخَرٌ لِلتَّذَلِيلِ :

هُوَ أَنَّ إِمَامًا أَنْ يَكُونَ لِتَاكِيدِ مِنْطَقَةِ الْجَمْلَةِ السَّابِقَةِ كَقُولِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهْوًا » ، فَهُنَّ مُسْبِوْقَةٌ بِمِنْطَقَهَا وَهُوَ « وَزَهَقَ الْبَاطِلُ » .

وَكَقُولُ الْحَطِيْبَةِ : « وَمَنْ يَعْطِي أَثْمَانَ الْمَحَمَدَ يُحْمَدُ » فَهُوَ مُسْبِوْقَ بِمِنْطَقَهِ قَبْلَهُ وَهُوَ
« يَعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ » .

وَلَمَّا لَتَاكِيدَ مِفْهُومَهَا فَقْطُ ، وَذَلِكَ كِبِيتُ النَّابِغَةِ ، فَإِنْ صَدَرَهُ قَدْ دَلَّ بِمِفْهُومِهِ عَلَى نَفْيِ
الْكَامِلِ مِنَ الرِّجَالِ ، وَجَاءَ عَجَزَهُ فَقَرَرَ ذَلِكَ وَأَكَدَهُ (١) .

(١) بُنْيَةُ الإِيْضَاحِ جِزْءٌ ٢ صِ ١٥٩ - ١٦٠ .

٧ - التكميل ويسمى الاحتراس أحياناً :

وهو أن يقتضي في الكلام يوم خلاف المقصود بما يدفعه .

وقد فرق الجرجاني بينه وبين التذليل بأن الكلام الثاني في التكميل لا يكون بمعنى الأول بخلاف التذليل^(١) .

• والتكمل بغيرها :

ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة :

فسقى ديارك (غير مفسدتها) صوب الربيع وديمة تهمى
فإذا قوله (فسقى ديارك) كما يحتمل أن يكون على وجه الإصلاح ، يحتمل أن يكون على وجه الإفساد ، وقد أزال الشاعر الاحتمال غير المقصود بقوله (غير مفسدتها) ، وكقول ابن المعتز :

صبينا عليها (ظالمين) سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل
والاحتراس هنا في قوله (ظالمين) فقد دفع به توهّم أن فرسه بليدة تستحق الضرب .

• رغبـة ياتـه فـي آخر الـكلـام :

كقول الله تعالى : « فسوف يأتي الله يقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين » ، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالاذلة على المؤمنين لتهمن أن ذلتـهم لضعفـهم ، فلما قيل « أعزـة على الكافـرين » علم أنها منهم تواضعـ لهم .

وكان قول الحماسى :

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره وما فوق شكري للشكور مزيد
الاحتراس هو الشطرة الثانية ، فقد دفع بها ما توهّمه الشطرة الأولى من عجزه عن
شكر من أبـره .

وقول كعب بن سعد الفنري :

حليم إذا ما الحلم في عين العدو مهيب

(١) الإشارات ص ٦٦١ .

فإنه لو اقتصر على وصف ممدوحه بالحلم لأهم أن حلمه عن عجز ، فلم يكن صفة مدرج
ولما قال : « إذا ما الحلم زين أهله » أزال هذا الوهم ، أما بقية البيت فتاكيد لللازم ما يفهم
من الاحتراس كما قال الفزوي (١) .

وقول السموط بن عاديا :

وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيلا

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم ،
فأزال هذا الوهم بقوله : « ولا طل منا حيث كان قتيلا » يقصد أنه لم يمض قتيل لهم دون
ثأر .

وقول المتنبي :

أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع في الندى منها هبوبا

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأهم أنه عذف كله ، فأزال هذا الوهم بالشطرة
الثانية .

٨ - التتميم :

وهو أن يُؤتى في الكلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة ، كالمبالغة في قول الله
تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً » أى مع حبه حاجتهم إليه
واشتهرتهم له .

ونحوه « وآتى المال على حبه » ، « لن تتالوا البر حتى تنتفقوا مما تحبون » « حتى
تنتفقوا » أى حتى يقع منكم إنفاق ، و « مما تحبون » تتميم .

ومن التتميم قول زهير في مدح هرم بن سtan :

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق المسماحة منه والندى خلقا
فقوله (على علاته) أى في جميع أحواله ، تتميم .

٩ - الاعتراض :

وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من
الإعراب لفائدة سوى دفع الإيهام .

(١) بفيه الإيضاح ج ٢ ص ١٦٣ .

(أ) كالتنزيه في قوله تعالى : « ويجعلون لله البناء - سبحانه - ولهم ما يشتهون » .

(ب) وكالدعاء في قول المتنبي :

وتحتقر الدنيا احتقاراً مجرباً يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانياً
يقول القرزويني فإن قوله (وحاشاك) دعاء حسن في موضعه، ومعني أنها كسابقتها تنزيه، أما
الدعاء فكقول عوف بن مسلم الشيباني:

إن الثمانيين - وبلغتها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

(ج) وكالتنبيه في قول الشاعر :

واعلم (فعلم المرء ينفعه) أن سوف يأتي كل ما قدرنا

ف (علم المرء ينفعه) جملة اعتراضية قصد بها تنبيه المخاطب إلى أن ما مرّ به نافع له.

(د) وكخصوصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر متعلق بهما كقوله تعالى :
« ووصينا الإنسان بوالديه (حملته أمه وهناً على وهن وفصالة في عامين) أن اشك لى
 ولوالديك إلى المصير » .

والشاهد في (حملته أمه وهناً على وهن وفصالة في عامين) والاعتراض فيه بجملتين :
فعلية واسمية .

(هـ) وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتى لرأيت فيه جهنما

الشاهد فيه (يا جنتى) ، فهو مسبقة باللهيب ، وملحوظة بجهنم وهذا هو الطلاق ، ثم
إن مناداته حبيبه بـ (يا جنتى) استعطاف رقيق .

(و) وكالتنبيه على سبب أمر فيه غرابة كقول ابن ميادة :

فلا هجره يبدو (وفي اليأس راحة) ولا وصله يبدو لنا فنكار منه
فإإن قوله : (فلا هجره يبدو) يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه : ولما كان من الغريب
طلب هجر الحبيب قال : « وفي اليأس راحة » لينبه على سببه .

(ز) وكالمبادرة إلى اللوم في قول كثير عزة :

لو ان الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطلا
عجل بالاعتراض تعبيراً عن ضيقه بها ، وإسراعاً منه إلى لومها .

(ح) وكالتعظيم في قوله تعالى : « فلا أقسم بموقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمن
عظيم * إنه لقرآن كريم » .

قوله (وإنه لقسم لو تعلمن عظيم) اعتراضان : أحدهما (وإنه لقسم عظيم) والآخر
(لو تعلمن) هو اعتراض داخل اعتراض ، وغرضه مزدوج فشق لتعظيم المقسم به وهو
موقع النجوم ، وشق لتعظيم المقسم عليه وهو القرآن الكريم .

(ط) وكالتحسر في قول إبراهيم بن المهدى يرثى ابنه :

وإني - وإن قدّمت قبلي - لعالم بآنسى - وإن أخرتُ منه - قريب
ففي البيت إطناب بالاعتراض في كلٌ من شطريه .

والغرض الذى قصد الشاعر إليه إنما هو إظهار الأسى والتحسر على أن الموت قد سبق
إلى ابنه .

* * *

ومن الاعتراض بجملتين بين كلامين متصلين معنى قوله تعالى : « واتوهن من حيث أمركم
الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم ... » .

فأولاً: قد تم الاعتراض بجملتين هما (إن الله يحب التوابين) ، (ويحب المتطهرين) .

وثانياً: « نساوكم حرث لكم » بيان لقوله : « فاتوهن من حيث أمركم الله » يعني أن
المائن الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ، دلالة على أن الغرض الأصلى من الإتيان هو
طلب النسل لاقضاء الشهوة ، وإذاً فلا تأوهن إلا من حيث يتحقق هذا الغرض .

ومثله فى كون الاعتراض بجملتين قول الله تعالى : « قالت : رب إنى وضعتمي أنى والله
أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى . وإنى سميتها مريم » .

فإذن قوله : « والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى » ليس من قول أم مريم .

* * *

أما بعده : فتسعة الأنواع السابقة ليست كل الإطناب .

وما هو ذا الفزيعي يسوق نماذج أخرى له كقولهم : رأيته بعيني وسمعته بأذني .
وكقول البحترى :

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقانى
تجد شمس الفحى تدنو بشمس إلى من الرحىق المفسروانى
ومنه قول الله تعالى : « إِذْ تَلَقَنَهُ بِالسِّنْتَكِمْ وَتَقُولُنَّ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ » أى
هذا الإفك ليس إلا قوله يجري على السنتم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم في
القلب كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان .

وقوله تعالى : « تلك عشرة كاملة » بعد قوله تعالى : « فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي
الحج وسبعة إذا رجعتم » إطناب فائدته أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ، ليحاط به من
جهتين فيتأكد العلم به ، في أمثال العرب « علمان خير من علم » وقوله (كاملة) تأكيد آخر .
وقيل أريد به تأكيد الكيفية لا الكممية ، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور
وهو أن يكون ثلاثة منها في الحج وسبعة عند الرجوع لم تكن كاملة^(١) .

وهي قياس آخر للإيجاز والإطناب :

ختم الفزوعي علم المعاني به وهو أنه قد يوصف الكلام بالإطناب أو بالإيجاز باعتبار
كثره حروفه أو قلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى كالشطر الأول من قول
أبي تمام :

يصد عن الدنيا إذا عن سفدد ولو بروزت في زى عذراء ناهد
وقول المعنى بن غيلان - وقيل إنه لأبي سعيد المخزومي -:
ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
ومنه قول الشماخ :

إذا ما رأية رفعت لجد تلقاها عراة باليمين

(١) بفتح الإيضاح ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

وقول بشر بن أبي خازم :

إذا ما المكرمات رفعن يوماً وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها سماً أوس إليها فاحتواها

. ويقرب من هذا الباب قوله تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسائلون » .

وقول السموط بن عادياء :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وكلذا ما ورد في الحديث « الحزم سوء الظن » وقول العرب (الثقة بكل أحد عجز)^(١) .

(١) بنية الإيضاح ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢

« ۲ »

علم البرديع

علم البديع

علم البديع في اصطلاح البلاغيين قدماً ومحدثين هو العلم الذي يعرف الأديب به وجوه تحسين كلامه بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعايتها وضوح الدلالة على ما يريد التعبير عنه .

وهذه الرعاية المزدوجة تعنى في شقها الأول علم المعاني ، وفي شقها الثاني علم البيان .
فوجوه تحسين الكلام لا تجيء قبلهما ولا بعدهما ، وإلا كانت كتعليق الدر في أعناق الخنازير - على حد قول المغربي - ^(١) .

وهذا هو السبب في أن النفر الذين قصدوا من الخوض في البلاغة ، ومن التلبس بها بيان إعجاز القرآن من جهتها - كعبد القاهر والزمخشري والرازي - قد جعلوا علم البديع تابعاً لعلم المعاني والبيان .

وسر التبعية أنه لا يكون بنية قائمة بنفسها في الهيكل العام للنظم القرآني ، كما أنه هو السبب في أن إمامه به قد جاء جزئياً لا كلياً ، واستطراداً لا تأسيساً .

أما من تكلموا في البلاغة لذاتها وهم الأكثري العظمى من رجالها - كابن المعتز وقدامة والعسكري وأبن رشيق وأبن سنان وأبن منقذ والتفاishi وأبن أبي الإصبع - فقد تناولوا البديع تناولاً مسهباً واستكثروا منه حتى أضجروا به .

* * *

ونذكر بما قلناه في صدر هذه الدراسة من أن (البديع) - شأنه في ذلك شأن (البيان) - كان يطلق ويراد به علوم البلاغة الثلاثة ، ومن أنه كان كذلك حتى في البديعيات ^(٢) لكن

(١) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٣ . الطبعة الأولى سنة ١٤٤٢ هـ .

(٢) المشهور أن البديعيات قصائد في مدح الرسول ﷺ من بين البسيط وعلى قافية الميم المكسورة ، وكل بيت من البديعية مثل للون يلاغي أو أكثر نون التوربة باسمه أو بها ، وقد صارت [البديعية] مصطلحاً علمياً وفنرياً . أما (علمياً) فلما فيها من علوم البلاغة الثلاثة تحت اسم البديع . وأما (فنرياً) فلما فيها من خصائص فن المدح بعامة ، وفن مدح الرسول ﷺ وخاصة . وانظر : أنوار الربيع في أنواع البديع للسيد على صدر الدين بن معصوم المدنى ج ١ ص ٣١ - ٣٢ بتحقيق شاكر هادى شاكر . الطبعة الأولى . النجف الأشرف ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، والصيني البديعى للدكتور أحمد موسى من ٢٧٠ وما بعدها القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ، وخطـ سير الأدب العربي للدكتور عبد الله قليلة ص ٤٢ - ٤٣ . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧ م .

قبل البدعيات وبعدها قد استثار بالدراسة المستقلة وعرفت وجوهه باسم (المحسنات البدعية) .

وهذه المحسنات نوعان :

(١) محسنات معنوية :

وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى قصدأ وإلى اللفظ عرضاً لأنَّ كلما أ匪د باللفظ معنى حسن ، تبَعَهُ حسن اللفظ الدال عليه ، كالطبقات بين (يسر) و (يعلن) في قول الله تعالى « يعلم ما يسرُون وما يعلَّمُون » .

والعلامة المميزة لهذا النوع أننا لو عدلنا عن اللفظ فيه إلى ما يراد به ، فقلنا مثلاً « يعلم ما يخفون وما يعلَّمُون » بقي المحسن المذكور وكأنَّ لم يحصل تغيير .

(٢) محسنات لفظية :

وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ قصدأ وإلى المعنى عرضاً : لأنَّ كلما عبر عن معنى بلطف حسن ، استحسن معناه تبعاً ، وذلك كالجنس في قول الله تعالى : « يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما بثوا غير ساعة » .

والعلامة المميزة لهذا النوع أننا لو عدلنا عن اللفظ فيه إلى ما يراد به فقلنا مثلاً ، (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما بثوا إلا وقتاً قصيراً) أو (ويوم تقوم القيمة يقسم المجرمون ما بثوا غير ساعة) : زال ذلك المحسن وكأنَّ لم يكن .

وستبدأ بالمحسنات المعنوية ، لأنَّ المقصود الأصلي للمتكلِّم إنما هو المعنى .

أما الألفاظ : فإنها أوعيتها ، وهي لذلك توابع لها يقال :

لولا المعنى ما احتجنا إلى الألفاظ ، ولا يقال : لولا الألفاظ ما احتجنا إلى المعنى .

إذ كلما توصل الإنسان إلى المعنى أفلَى اللفظ وليس العكس (١) .

هذا ما قاله . والحقيقة أننا نفك باللغة ، وأن الفصل بين الألفاظ والمعنى فصل المترادفي هدفه بيان أوجه حسن كل منها أو قبحه على حدة لزاعي ذلك في إبداع الأدب ونقده تحليه وتخليه .

(١) انظر مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ج ٣ من ٤ وعلوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص ٢٩٦ الطبعة الأولى دار القلم بيروت ١٩٨٠ م .

المحسنات المعنوية

المطابقة - الطباقي - التهاب:

ثلاثة مصطلحات لسمى فرد هو الجمع في الكلام الواحد بين الشئ الواحد وضده أو مقابله ظاهراً كان ذلك الجمع أو خفياً وبالإيجاب في الطرفين أو في أحدهما ، وسواء كان الطرفان حقيقين أو مجازيين ، اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين .

فمن الطباقي الظاهر بالإيجاب في الطرفين الحقيقين ولهما أسماء:

قول الله تعالى : « وتحسبهم أبیاظاً وهم رقود » وقوله تعالى : « يا أرض ابلعى ما عك ويا سماء أقلمى » وقوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الفضل ولا الحرر » وقوله تعالى : « فائئذك يبدل الله سيناتهم حسنات » وقوله تعالى : « هو الذي يربكم البرق خوناً وطمئناً » وقوله تعالى : « له الحمد في الأولى والآخرة » .

وقوله عليه السلام : « فليأخذ العبد من نفسه ومن دنياه لأخرته ، ومن الشبيبة للكبر ، ومن الحياة للمات ، والذى نفسي بيده ما بعد الحياة من مستعبد ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » وقوله عليه الصلاة والسلام « لعن الله يابع العرة ومشتريها » .^(١)

وقوله أيضاً : « أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة » .

وقول أمير القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل
وقول أبي الحسن التهامي :

طبعت على كدر وأنت تريدها صنعوا من الأقداء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
وقول السموط :

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء هالسم وجهمول

* * *

(١) العرة : ما يقله الرصى مما تحت يده لليتيم قالت عائشة رضى الله عنها : « مال اليتيم عرة لا أدخله في مالى ولا أخلطه به » .

ومن الطلاق الظاهر بالإيجاب في الطرفين الحقيقيين وهما فحول

قول الله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك من من تشاء وتنزع من تشاء وتنزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قادر ». .

وقوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكي ، وأنه هو أمات وأحياء » .
وقول النبي ﷺ : « أفضل الفضائل أن تصلي من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عن شتمك ». .

وقول الحسين المري :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن اتقى
وقول الفرزدق في هجاء بنى كلبي :

يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الآثار
وقول أبي صخر الهاذى :

أما والذى أبكي وأضحك والذى أنسات وأحياناً والذى أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى اليقين منه لا يروعهما الذعر
وقول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا فتب لهما عمراً ثم نم
ومن الطلاق الظاهر بالإيجاب في الطرفين الحقيقيين وهما حرفان :

قول الله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » . وقوله تعالى : « ولهم مثل الذي
عليهم بالمعروف » . وقول مجذوب ليلي :
على أنسى راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا على ولا لي
وقول الآخر :

في يوم علينا ويوم لنا ديموم نساء ويوم نسر

* * *

ومن الطلاق الظاهر بالإيجاب والطرفان مجازيان :

قول الله تعالى : « أؤمن كان ميتاً فأحييناه » . أى ضالاً فهدينا .

وقوله تعالى : « هو الذي أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ». .

وقول الشاعر

حلو الشمائـل و هو مر باـسل يحمـى الـذـمار صـبيحة الـإـرـهـاـق

فقوله (حلـو) و (مر) جـار مـجـرـى الـاسـتـعـارـة ؛ إـذ لـيـس فـى الـإـنـسـان وـلـا فـى شـمـائـلـه ما يـدـرك بـحـاسـةـ النـوـق .

وقول الآخر :

إذا نحن سرنا بين شرق و مغرب تحرك يقطـان التـرـاب و نـائـمهـ الشـاهـدـ فـىـ المـطـابـقـةـ بـيـنـ (ـ يـقـطـانـ)ـ وـ (ـ نـائـمـ)ـ فـنـسـبـتـهـمـاـ إـلـىـ التـرـابـ لـيـسـتـ حـقـيقـيـةـ بـلـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاسـتـعـارـةـ الـمـكـنـيـةـ .

وقد اـمـامـةـ وـابـنـ أـبـىـ الـاصـبـعـ يـطـلـقـانـ عـلـىـ الـطـبـاقـ بـالـطـرـفـيـنـ الـمـجازـيـنـ اـسـمـ (ـ التـكـافـقـ)ـ اوـ (ـ الـمـكـافـقـ)ـ (١)ـ .

* * *

وقد أـلـقـىـ الـبـلـاغـيـوـنـ بـالـطـبـاقـ الـمـجازـيـ ماـ أـسـمـهـ :ـ إـيـهـامـ الـطـبـاقـ .
وـهـوـ الـجـمـعـ بـيـنـ مـعـنـيـيـنـ غـيـرـ مـتـقـابـلـيـنـ لـكـنـ عـبـرـ عـنـهـمـ بـلـفـظـيـنـ يـتـقـابـلـ مـعـنـاهـمـ الـحـقـيقـيـ .
وـمـاـ مـثـلـواـ لـهـ بـهـ قـوـلـ دـعـبـلـ :

لا تعجبـيـ ياـ سـلـمـ مـنـ رـجـلـ ضـحـكـ الـمـشـيـبـ بـرـأـسـهـ فـبـكـيـ
(ـ ضـحـكـ الـمـشـيـبـ بـرـأـسـهـ)ـ أـنـ ظـهـورـ ظـهـورـاـ تـامـاـ ،ـ أـمـاـ (ـ فـبـكـيـ)ـ فـهـيـ (ـ بـكـيـ)ـ حـقـيقـةـ ،ـ وـلـاـ
كـانـ ظـهـورـ الـمـشـيـبـ لـاـ يـقـابـلـ الـبـكـاءـ عـبـرـ عـنـهـ بـالـضـحـكـ الـذـىـ مـعـنـاهـ الـحـقـيقـيـ مـقـابـلـ الـبـكـاءـ (٢)ـ .

وـهـنـ الـطـبـاقـ الـخـفـيـ بـالـإـيجـابـ :

قولـ اللهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ مـاـ خـطـيـئـاتـهـمـ أـغـرـقـوـاـ فـأـدـخـلـوـاـ نـارـاـ»ـ .

تـوضـيـحـ ذـلـكـ أـنـ إـدـخـالـ النـارـ لـيـسـ خـدـدـ الإـغـرـاقـ فـىـ الـعـنـىـ ،ـ وـلـكـنـ يـسـتـلزمـ مـاـ يـقـابـلـهـ وـهـوـ
الـإـحـرـاقـ ،ـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللـهـ وـالـذـيـنـ مـعـهـ أـشـدـاءـ عـلـىـ الـكـفـارـ رـحـمـاءـ بـيـنـهـمـ»ـ
بـيـانـهـ أـنـ رـحـمـاءـ لـيـسـ خـدـدـاـ فـىـ الـعـنـىـ لـ (ـ أـشـدـاءـ)ـ وـلـكـنـ الرـحـمـةـ تـسـتـلزمـ الـلـيـنـ الـمـاتـابـلـ لـالـشـدـةـ .

* * *

(١) انظر نقد الشعر من ٨٥ وتحrir التحبير من ١١١ والتصوير البياني من ٣١٢

(٢) المختصر للتقتازاني ج ٢ ص ٨ الطبعة الأولى سنة ١٢٤٢ هـ والإيضاح للقرزيوني ج ٦ ص ١٥

* تحقيق الدكتور خفاجي

ومن تحسين التحسين بالموافقة ما سموه :

التبسيط

من دفع ما لا ينفع إذا زينها

والتبسيط هو افتقار المطابقة بلون بلاغي آخر من علم البيان أو من علم المعانى أو من علم البراء .

فمن تبسيط المطابقة بلوغ بلاغي من علم البيان هو الكناية .

قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد :

قردي ثياب الموت حمرا فما أتي لها الليل إلا وهي من سندس خضر
معنى البيت أن ثياب الشهيد التي تلتحف بدمه فصارت حمرا ، لم ينقض يوم قتله ، ولم
تدخل ليلته إلا وقد صارت من الحرير الأخضر الذي هو لباس أهل الجنة . قابل الشاعر بين
الحمرة والخضراء ، وبهذا طباق لكنه دبجه بالكتناية عن القتل بالحمرة ، وعن دخول الجنة
بالخضراء ، وهذا من تحسين التحسين كما قلت .

* * *

ومن تبسيط المطابقة بلوغ بلاغي من علم المهاوى هو الإيحاء .

قول الفرزدق :

لعن الإله بنى كلبيب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار

« فإن غرضه وصفهم بالعجز ، ولذلك جمع بين المتقابلين ، وقد تم غرضه بنفي الغدر
والوقاء عنهم بالإطلاق ، ولكنه كمله بقوله (جار) وهو الإيغال » (١).

* * *

ومن تبسيط المطابقة بلوغ بلاغي من علم البراء هو التورية :

قول الحريري :

« فمذ أغبر العيش الأخضر ، وازور المحبوب الأصفر . أسود يومي الأبيض وابيض
نودي الأسود ، حتى رق لي العدو الأزرق ، فيما حبذا الموت الأحمر » .

(١) الإشارات والتنبيهات من ٢٦١

النص طباق ، والألوان كنایات عن صفات باستثناء (المحبوب الأصفر) فإنه تورية ، إذ له معنیان : قریب ظاهر غير مراد هو حبیتہ الصفراء ويعید خفی مراد هو الذهب .

* * *

يقول محمد الجرجاني « وقد تكون مع المطابقة المناسبة كقول ابن رشيق :
وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالى فى سماه عجاج
ففيه مطابقة لتقابل (أطفأوا) و (أوقدوا) ، ومناسبة ، لتناسب الشمس والتجم
والسماء ، ولذلك جاء سحراً في الحسن والبلاغة » (١).
انتهى كلام الجرجاني .

والجمع في الكلام بين مناسبة وطباق هكذا له مصطلح خاص به سماه هو
التفويف قال : « وقد يركب الكلام من المطابقة والمناسبة فيختص باسم
التفويف » (٢).

أما المناسبة وحدها فها هو ذا يعرفها بقوله : « هي أن يجمع في الكلام بين كلمات
متناسبة كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان » فإن القمر
يناسب الشمس ، والشجر يناسب النجم » (٣) .

وأما الاختلاف والتوفيق والتناسب ومراجعة الفظير :

فمن عجب بل من عبث أنها مصطلحات متزادات أى مصطلحات ذات مدلول واحد هو
أن يجمع الإنسان في كلامه بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد .
كقول أسيد الفزارى :

كان الثريا علقت في جبيته وهي خده الشعري وهي وجهه القمر
وكقول أبي القاسم الزاهى :

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ويسن غصونا والتلتلت جائزرا
وكقول ابن رشيق :

أحسن وأقوى ما سمعناه في الندى عن الغبر الماثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيل عن العيا عن البحر عن كف الأمير تميم

(١) الإشارات من ٢٦١ والعوالى : أعلى السيف ، والعجاج : الغبار .

(٢) السابق نفسه من ٢٦٦ .

(٣) السابق نفسه من ٢٦٤ .

فإنه ناسب بين (الصحة) و (القوة) ، و (السمع) و (الخبر المأثور) و (الأحاديث) و (الرواية) ثم بين (السيل والحياة والبحر وكف تيم) مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في المعنونة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الأحاديث ، فإن السيل أصلها المطر ، والمطر أصله البحر وقد جعل كف المدح أصلًا للبحر مبالغة^(١).

المقابلة

جعلها السكاكي والقزويني شعبية من الطباقي .

جاء في الإيضاح : « ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة : وهي أن يؤتى بمعنىين متوافقين ، أو معان متواتفة ثم يقتى بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب »^(٢) .

ولهم إما ثنائية :

قول الله تعالى : « فليضحكوا قليلاً ولبيكوا كثيراً » وقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » ، وقول النبي ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، والخنق لا يكون في شيء إلا شانه » .

وقوله عليه السلام : « إن لله عباداً جعلهم مفاتيح الخير مغاليل الشر » .

وقوله ﷺ للأنصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » .

وقول الإمام على كرم الله وجهه : « احضروا صولة الكريم إذا جاء واللئيم إذا شبع » ،

وقول مسلمة بن عبد الملك : « الغنى في الغربة وطن ، والفقير في الوطن غربة » .

وقول النافع الجعدى :

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء

وقول البحترى :

ف حاجب الشمس أحياناً يضاحكها دريق الفيت أحياناً يباكيها

وقول المعري :

يا دهر يا منجز إيعاده ومختلف المأمول من وعده

وقول الآخر :

فواعجبنا كيف اتفقنا فنناسخ وفيه مطروي على الفل غادر

فإن الفل ضد النصح ، والقدر ضد الوفاء .

(١) الإيضاح ج ٦ ص ٢٠ .

(٢) الإيضاح ج ٦ ص ١٦ والمفتاح ص ١٧٩ .

أو ثلاثة :

كقول الله تعالى : « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » وقول على رضى الله عنه : « إن الحق ثقيل وبيء ، والباطل خفيف مري ». وقول أبي دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعوا وأقبح الكفر والإفلات بالرجل
وقول البحترى :

فإذا حاربوا أذلا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

وقول المتنبى :

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل ولا البخل يبقى المال والجد مدبر
أو رياحية :

كقول الله تعالى : « فاما من أعطى وانتهى ، وصدق بالحسنى ، فستيسره لليسرى ، وأما من بخل واستفنى ، وكذب بالحسنى ، فستيسره للعسرى ».

يقول القزوينى : « فإن المراد باستفني أنه زهد فيما عند الله كأنه مستفnen عنه فلم يتق ، أو استفني بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق » ، وقد اقتصر الجرجانى على المعنى الثاني للفعل (استفني) (١) .

وقول أبي بكر رضى الله عنه في وصيته قبيل موته ، هذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر
عهده بالدنيا خارجاً منها وأول عهده بالأخرة داخلاً فيها .

فقد قابل (أول) بـ (آخر) و (الأخرة) بـ (الدنيا) و (داخل) بـ (خارج) و (فيها) بـ (منها) .

وقول الطغرائي :

حلو الفكاهة من الجد قد مزجت بشدة الباس منه رقة الغزل
قابل الحلو والفكاهة بالمر والجد في صدر البيت ، وقابل الشدة والباس بالرقة والغزل في
عجزه .

(١) الإيضاح ج. ٦ ص ١٨ والإشارات من ٢٦٣ .

وقول جرير :

وپاسط خیر فیکم بیمینه و قابض شرعنکم بشماله
قابل بين (باسط وقابض) و (خير وشر) و (فيكم وعنكم) و (بيمينه وبشماله) .

وقول أبي تمام :

یا امة کان قبح الجور یسخطها دھراً فاصبیح حسن العدل یرضیها
قابل بين (کان وأصبح) و (قبح وحسن) و (الجور والعدل) و (یسخطها ویرضیها) .

وقول ابن حجة :

قابلتهم بالرضا والسلم منشراً ولئوا غضاباً فوا حربي لفيظهم
قابل بين (قابلتهمروا) و (الرضا والغضب) و (السلم وال الحرب) و (الانشراح والغيظ) .

أو خماسية :

کقول حنفی الدين الحلی :
کان الرضا بدنوى من خواطرهم فصار سخطى لبعدى عن جوارهم
والمقابلة بين (كان وصار) و (الرضا والسطح) و (الدنو والبعد) و (من وعن)
و (خواطرهم وجوارهم) .

وقول المتنبی :

أزورهم وسود الليل یشفع لى وائلنی وبیاض الصبح یفری بی
فقد تمت المقابلة بين (أزورهم وأنثر) و (سود وبیاض) و (الليل والصبح) و (یشفع
ویفری) و (لى وبی) .

وقول الآخر :

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر وطائر تحت ذیل الليل مكتتم
قابل بين (واطئ وطائر) و (فوق وتحت) و (خد وذیل) و (الصبح والليل) و (مشتهر
ومكتتم) .

أو سب أنسية :

كتول شرف الدين الأربلي :

على رأس عبد تاج عز يزيشهه وفي رجل حر قيد ذل يشينه
قابل بين (على وفي) و (رأس ورجل) و (عبد وحر) و (تاج وقيد) و (عز وذل)
و (يزيشهه ويشينه) .

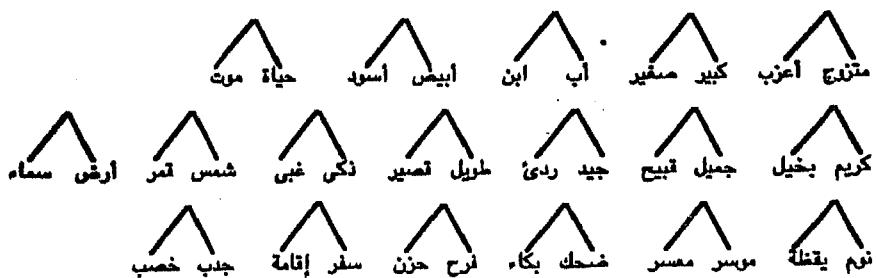
ويمكن المضي بالمقابلة إلى ما شاء الله تعالى نقول :

محمد كريم وذكي وصالح متزوج وناجع وشجاع ورزين ومتناهى ووسيم وطويل ومحمل
ومتحضر

أما ثلان فبخيل وغبي وطالع وأعزب وفاشل وجبان وخفيف ومتشارم وقبيع وقصير
ونحيف وهمجي

بـالـلـغـةـ الـطـبـاقـ وـالـمـقـابـلـةـ

في رأيي أن سر بلاغة كل من المطابقة والمقابلة إنما هو تداعى المعانى ، فالضد أو المقابل يجلب إلى الذهن ضده أو مقابله ، لأنهما متضادان ، ويستند أحدهما على الآخر مكذا :



فإذا كتب الأديب أو نطق أحد المتساندين وقع مقابلته في ذهن متلقى الأدب قبل أن يقرأه أو يسمعه ، وبهذا يتحول متلقى الأدب إلى مرسل له ، ويمكن - على التجوز - أن نقول : يتحول من سالب إلى موجب .

وقد جعل نقاد الأدب هذا التحول في موقف مستقبل الأدب مقاييسًا لجودة الأدب ولنجاح الأديب .

وسيتأكد ذلك بدراسة لما سموه :

الإـرـسـاـدـ أـوـ التـسـهـيـمـ

فميزته أنه يُقدر القارئ أو السامع على التنبؤ بما يختلج داخل الأدب حتى ليكتنه متى عرف أوله أن يكمله بما كان الأدب قد كمله به وهو ما عناه ابن باتات بقوله :

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب صورها عرفت منها قوافيها

ينسى بها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطيرها

قال القرزويني :

الإرهاص

ويسمى التسهييم أيضاً :

وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروى كقول الله تعالى : « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ». و قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولو لا كاملا سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون » ، و قوله تعالى : « وسبع بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » و قوله تعالى : « ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأذرون ساعة ولا يستقدمون ». و قوله تعالى : « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور » .

وكقول النابغة الذبياني :

ولو كفى اليمين بفتحك خوناً لافسرت اليميين من الشمال

وقول زهير :

سُمِّت تكاليف الحياة ومن يعش ثانيةٌ حسولاً لا أبا لك يسام

وقول عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجماوه إلى ما تستطيع

وقول البحترى :

أبكيكما دمعاً ولو أنى على قدر الجوى أبكي بكائكما دما

وقوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللت به محله وليس الذي حرمت به حرام
وإذ نكتفي في التمثيل للإرصاد بما مثنا له به ، نتبه إلى أنه من حسن التأليف ولا
عجب ، فخير الكلام ما دل بعضه على بعض .

المشاركة

خالفت البلاغيين قدماء ومحديثين يجعلها من المحسنات اللفظية لا المعنوية . وهي وجهة نظر اقتنعت بها فنفذتها ، وستجدها مع لداتها من المحسنات اللفظية .

التورية

التورية في اللغة مصدر وربت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره .

وفي الاصطلاح البلاغي : هي إيهاد لفظ له معنیان :

أحدهما قريب ظاهر غير مقصود وهو المورى به .

والآخر بعيد خفي مقصود وهو المورى عنه .

ولا فرق بين المعنین اللغوي والاصطلاحي .

والتورية في كتب البلاغة أقسام ، وهذه الأقسام قد تكون اثنين وقد تكون ثلاثة وقد تكون أربعة ، والأقسام ذاتها تتعدد بين أن يظل القسم قسماً واحداً وأن يصير قسمين أو ثلاثة ، وبهذه الأقسام - أصلية أو فرعية - يدخل دارس التورية في متاهات لا داعٍ لها ، فهى تبهم أكثر مما توضح ، وتربك فى فهمها أكثر مما تستعف بهذا الفهم .

وتسهيلًا للموضوع نقول : إن أساس التقسيم هو المعنى المزدوج في التورية بشقيه وهما المعنى المورى به ، والمعنى المورى عنه .

وبالنسبة للمعنى المورى به تنقسم التورية قسمين هما :

(أ) التورية المجردة .

(ب) والتورية المرشحة .

والتورية المجردة هي مالم يصحبها شيء يلائم المعنى المورى به كقول الله تعالى :
« الرحمن على العرش استوى » .

وبيان أنها تورية مجردة هو أن الكلمة (استوى) معنین :

أحدهما قريب ظاهر غير مقصود وهو استوى بمعنى استقر في المكان أى لبث فيه ومكث به والآخر بعيد خفي مقصود وهو استوى بمعنى استولى وملك .

وانما كان المعنى الأول غير مقصود ، لأنه لا يلائم الحق تبارك وتعالى فالله جل جلاله منزه عن ذلك ، وقد جاءت الآية الكريمة في كتب البلاغة مثالاً للتورية .

قال الزمخشري وهو يجازئها على أنها تورية :

« ولا ترى في باب البيان (البيان هنا بمعنى البلاغة) أدق ولا أطف من هذا الباب ولا أعن على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام مصحابته رضى الله عنهم أجمعين منه » وقال السكاكي : « أكثر مشتبهات القرآن من التورية » لكن للأستاذ أحمد مصطفى المراغي رأياً وجبيها في هذه الآية عبر عنه بقوله :

« والتحقيق أنها استعارة تمثيلية ، لأن شبّهت الهيئة الحاصلة من تصرف المولى في المكانت بالإيجاد والإعدام بالهيئة الحاصلة من استقرار الملك على عرشه بجامع أن كلّاً منها يبني عن الملك التام ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبّه على طريق الاستعارة التمثيلية »^(١).

وقد كان هذا الرأي وجبيها لأن المعنى الأول لل فعل (استوى) بمعنى استقر في المكان وشغله ، هذا المعنى مستحيل على الله تعالى ، ولأنه مستحيل فهو غير وارد أصلاً ويكون لكلمة (استوى) معنى واحد تخرج به الآية عن حد التورية .

وخرجوا من الخلاف بل تفاديوا للحرج نمثل للتورية المجردة بقوله تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهر » .

أراد بقوله تعالى (جرحتم) معناه بعيد الخفي وهو اقتراف الذنب ، ولم يرد معناه القريب الظاهر وهو شرق الجلد .

وكالآية السابقة قول إبراهيم لفرعون لما سأله عن زوجته سارة « هي أختي » مورياً بالأخوة الحقيقة عن الأخوة الدينية .

وقول محمد عليه السلام وقد سئل : من أنتم : « من ماء » .

مورياً بالمعنى القريب وهو القبيلة عن المعنى بعيد الماء وهو الذي جعل الله منه كل شيء حس .

وقول أبي بكر وقد سئل عن النبي في رحلة الهجرة « هاد يهديني » قصد رضى الله عنه هادياً يهديني إلى الإسلام لكنه ورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر .

* * *

(١) علوم البلاغة من ٣٠٥ هامش رقم (٢).

وقد سميت التورية الخالية مما يلائم المعنى المورى به مجرد لتجردتها مما يقوى في
بها المعنى والتوجيه إليه .

ولعل تسمية التورية بالتورية وبالإيهام والتوجيه قد أنت من هنا ، فعل ذلك القزويني وابن
أبي الإصبع وابن حجة وغيرهم .

وإذا كان السبب في الإيهام وفي التوجيه غير موجود في التورية المجردة فإنه موجود
في :

التورية المرشحة :

وهي التي صحبها شيء يلائم المورى به (عكس المجردة) .

وقد سميت مرشحة لأنها تقوٌت بملائم هذا المعنى على الإيهام به وعلى التوجيه إليه من
جهة ، وعلى إبعاد الذهن نوعاً ما عن المعنى المورى عنه من جهة .

والشيء الملائم للمعنى المورى به إما أن يأتي قبل الكلمة التورية ، وإما أن يأتي بعدها .

فالأول : وهو الذي يأتي فيه الملائم قبل الكلمة التورية كقول الله تعالى : « والسماء
بنيناها بأيدٍ وإننا لموسعون » .

التورية في الكلمة (أيد) والمعنى المورى به هو الجارحة ، والمعنى المورى عنه هو القدرة ،
وقد ذكر قبل الكلمة (أيد) ملائم المعنى المورى به ، وهذا الملائم هو جملة (بنيناها) .

وكقول يحيى بن منصور الحنفى :

فلم نأت عن العشيرة كلها أخذنا فخالفنا السيف على الدهر
فما أسلمنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر
التورية في الكلمة (الجفون) ، فإنها تحتمل أن تكون جفون العيون ، وهذا هو المعنى
المورى به ، وتحتمل أن تكون جفون السيف أى أغمارها وهذا هو المعنى المورى عنه ، وقد
سبقت الكلمة (الجفون) بملائم المعنى المورى به ، وهذا الملائم هو جملة (أغضينا) .

وكقول صلاح الدين الصقلى :

وصاحب لما أتاه الغنى تاء ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا تشكرها قلت ولا راحه

التورية في كلمة (راحة) والمعنى المورى به هو (الكاف)، والمعنى المورى عنه هو الراحة المضادة للتعب، والترشيح قد تم بذكر الملائم للمعنى المورى به قبل كلمة التورية، وهذا الملائم هو (يبدأ تشكرها).

ومن ذلك قول الشاعر :

أيها المعرض عن حسيك الله تعالى

الторية في كلمة (تعال) والمعنى المورى به هو تنزيل الله (فعل ماض) والمعنى المورى عنه هو طلب إقبال المعرض ، وملامح المعنى المورى به قد سبق كلمة التورية : وهذا الملائم هو لفظ الحالة .

وقول الآخر:

حملناهم طرا على الدهم يعدما خلعوا عليهم بالطعان ملايسا

كلمة التورية هي (الدهم) والمعنى المورى به الخيول السود ، والمعنى المورى عنه هو القيود الحديدية ، وقد سبق الملامح كلمة التورية ، وهذا الملامح هو جملة (حملناهم) .

* * *

والثاني من المنشدة:

وهو الذى يأتى فيه الملام المورى به بعد كلمة التورية :
كقول القاضى عياض بصف صيفاً ياردأ .

كان كانون أهدي من ملابس
أو الغزاله من طول المدى خرفت
لشهر تموز أنواعاً من الحال
فما تفرق بين الجدي والحمل

(كانون) من أشهر البرد و (تموز) من أشهر الشتاء، و (الجدى والحمل) يرجان، ونوعان من النعم قال تعالى : « ومن الأنعم حمولة بفرشأ » ويقولون : « أكل الجداء قليل الجداء »^(١).

والنورية في كلمة (الغزال) فمعناها البعيد المدى عنه هو الشمس، ومعناها القريب المدى به هو الحيوان المعروف، وقد أتى بعد كلمة (الغزال) بملائم المعنى المدى به وهذا الملائم هو كلمة (خرفت)، التي بهتت على كلمتي (الجدى) و(الحمل) فحددت معناها بما جعلناه المعنى الثاني لها.

(١) انظر أساس البلاغة ح١٥٣ وهي ٩٥.

وكتب شاعر مسن :

مذمت من وجدى فى خالها ولم أصل منه إلى اللثام
قالت قفوا واستمعوا ما جرى لخالى قد هام به عمى
التورية فى لفظ (خالها) فإنه يحتل خال النسب وهو المعنى التربيع الموى به .
وقد ذكر ملائمه بعد كلمة التورية ترشيحًا للتورية وهذا الملائم هو كلمة (العم) ، ويحتل
أن يكون الشامة السوداء التي تظهر غالباً في الوجه وتكون مظاهر حسن ، وهذا هو المعنى
البعيد الخفي الموى عنه .

* * *

بقى أن يصاحب كلمة التورية ملائم المعنى الموى عنه منيناً به ومبيناً له حتى ليكاد يقوله
بل إنه في بعض الأمثلة قد قاله ، وهذا الملائم يضعف التورية ، لأنّه يجعل البعيد قريباً
والخفى ظاهراً : ويترتب على ذلك أن يدرك متلقى الأدب المعنى الموى عنه دون تعب ، ولا
عجب ، فالتورية مكتشوفة ، لكنها غير موجودة وقد سماها البلاغيون لهذا :
التورية المبينة : وهو اسم على مسمى حقاً .

والملائم المبين للمعنى الموى عنه مكانه أحد الموقعين السابقين في التورية المرشحة ،
وهما ما قبل كلمة التورية ، وما بعدها .

مثال ما قبلها قول البحترى :

وداء تسدية الوشاح مليبة بالحسن تملح في القلوب وتعذب
التورية في الفعل (تملح) فإنه يحتل أن يكون من الملوحة الى هي ضد العذوبة ، وهو
المعنى الموى به ، ويحتل أن يكون من الملاحة بمعنى الجمال وهو المعنى الموى عنه ،
والذى ذكر ملائمه قبل كلمة التورية ، وهذا الملائم هو (مليبة بالحسن) .

ومثال ما بعدها قول ابن سناء الملك :

أما والله لو لا خوف سخطك لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً وليس بما سوى قلبي وقرطك
التورية في كلمة الخافقين .

والمعنى المورى به هو المشرق والمغرب ، والمعنى المورى عنه هو القلب والقرط وقد بيته الشاعر بالنص عليه في آخر البيت .

* * *

والخلاصة : أن التورية المجردة قسم قائم بنفسه ، وأن التورية المرشحة شعبتان ، وكذلك التورية المبنية .

أما درجات التورية من حيث القيمة الفنية فهي تنازلياً :
المرشحة ، فالمجردة ، فالمبنية .

* * *

وهناك قسم رابع سماه أصحابه التورية المهيأة .

وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تنهي إلا باللفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها ، أو تكون في لفظين لولا كل منهما لما تهيات في الآخر .
ويوضح من تعريفها أنها ثالث شعب ، وقد بلغت من التكلف جداً يسمح لنا بأن نهملها^(١) .

حسن التعليل

كان القزويني موفقاً في تعريفه حسن التعليل وفي تقسيمه له قال :

« حسن التعليل هو أن يدعى لوصف علة مناسبة باعتبار لطيف غير حقيقي »^(٢) .
ولذا كان التعريف هكذا واضحأ فإنه بالأمثلة سيكون أوضح .

وحسن التعليل أربعة أقسام ، والقسمة عقلية .

لأن الوصف المدلل بالعلة المدعاة : إما وصف ثابت أى موجود أصلاً وكل ما سنعمله أتنا سنعمله تعليلأ حسناً .

وإما وصف غير ثابت أى غير موجود ، ونريد إثباته أولاً وتعليله تعليلأ حسناً ثانياً .
والأول وهو الوصف الثابت الذي نقصد تعليله ينقسم إلى :

(أ) مالا تكون له في العادة علة .

(ب) ما تكون له في العادة علة غير التي سيأتي بها الكاتب أو الشاعر .
والثاني وهو الوصف غير الثابت وأريد إثباته أولاً وتعليله ثانياً .

ينقسم إلى :

(أ) ممكن .

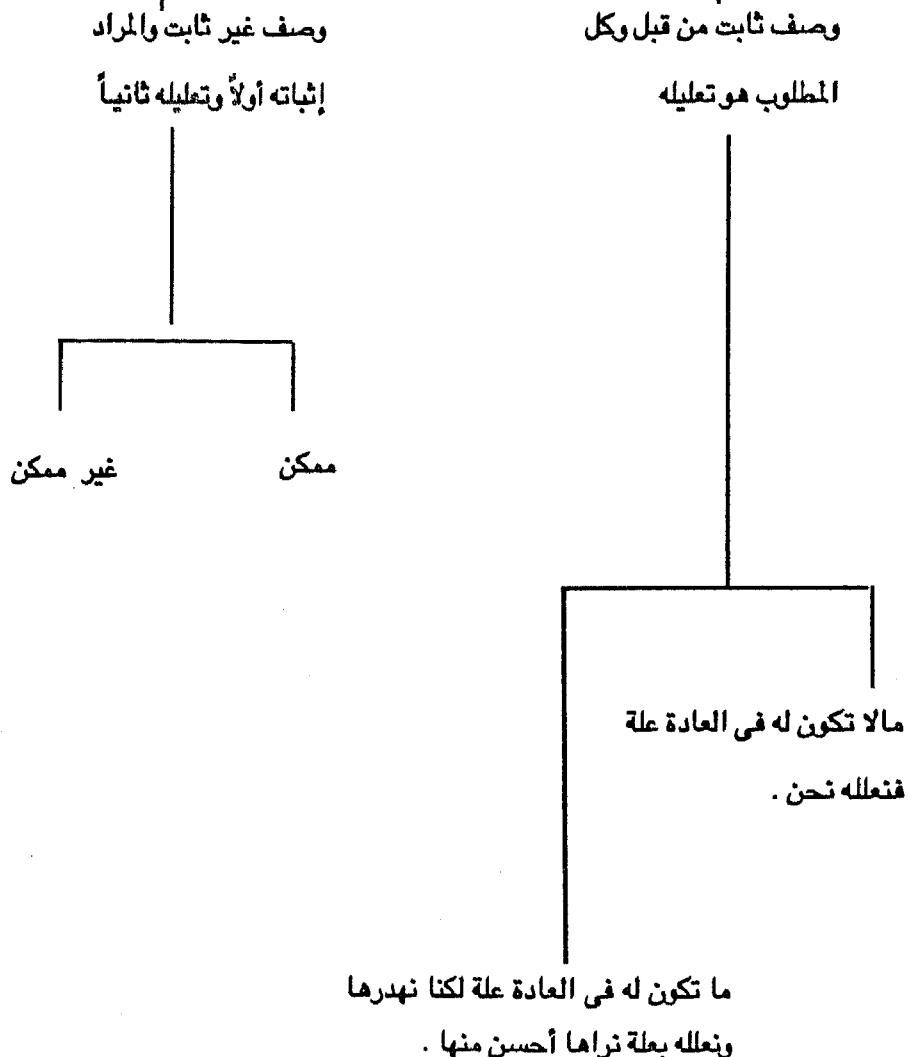
(ب) غير ممكن .

(١) انظرها في التصوير البياتي من ٣٨٤ - ٣٨٥ وفي علم البديع للدكتور عتيق من ٢٢١ - ١٢٣ .

(٢) الإيضاح ج ٦ ص ٦٨ .

الوصف الم الحال

مكذا :



والخلاصة:

أن الوصف المعلم قسمان .

(١) ثابت .

(٢) غير ثابت .

وأن الثابت قسمان .

(أ) مala تكون له في العادة علة .

(ب) ما تكون له في العادة عله .

وأن غير الثابت كذلك قسمان :

(أ) ممكн .

(ب) غير ممكн .

فالاقسام أربعة هى :

القسم الأول : الوصف الثابت مما لا تكون له في العادة علة .

القسم الثاني : الوصف الثابت مما تكون له في العادة علة لكننا نعدل عنها إلى علة أخرى نراها أحسن من العلة الأولى .

القسم الثالث : الوصف غير الثابت ونريد إثباته أولاً وتعليله تعليلاً حسناً ثانياً وإثباته ممكн .

القسم الرابع : الوصف غير الثابت ونريد إثباته أولاً وتعليله تعليلاً حسناً ثانياً وإثباته غير ممكн .

أمثلة القسم الأول :

من ذلك قول أبي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى
عل الشاعر فقر الكريم بتتابع ضيوفه عليه أى بكثرة ضيوفه ، واستئناس فى ذلك

بالأماكن العالية ، فكما أنها مفرغة مما عساه أن يكون فيها بسبب توالى السيل علىها ،
ذلك هو .

واضح أن عطل الكريم من الغنى أمر ثابت أصلأً أي موجه قبلاً ، ولما كان غير معلم
عادة ، فقد جاء الشاعر وعلمه تعليلاً حسناً .

وقول المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيبها الرهباء

قصد أن السحب المطرة دائمًا لا تتصدى بامطارها الدائم لهذا محاكاة المدرج في
وجوده ، فذلك مالا طاقة لها به ، وإنما حُمِّتْ كمداً منه وحسداً له ، وما مطرها إلا عرقها بسبب
الحمى .

وقول أبي هلال العسكري :

ذُعْمَ الْبَنْفَسِجَ أَنَّهُ كَعْذَارَهُ فَسَلَوْا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ

خروج ورق البنفسج إلى الخلف لا علة له لكن العسكري ادعى له علة حسنة هي افتراقه
على المحبوب .

وكالأمثلة السابقة قول المعري في الرثاء :

وَمَا كَلْفَةُ الْبَدْرِ الْمَنِيرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وِجْهِهِ أَثْرُ الْلَّطْمِ

وقول ابن رشيق :

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لَمْ كَانَتْ مَهْلِسَةً
وَلَمْ جَعَلْتُ لَنَا طَهْرًا وَطَبِيبًا
حَوَّيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبًا

فَقَالَتْ غَيْرُ نَاطِقَةٍ لَأَنِّي

وقول ابن هانى :

لَا كَنْتُ أَدْرِى عَلَيْهِ التَّيْمَمَ

وَلَوْلَمْ تَصَافَعْ رِجْلَاهُ صَفَحةُ الثَّرَى

وقول ابن نباتة في فرس :

وَتَطَلَّعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا
وَيَطْبُوِي خَلْفَ الْأَفْلَاكِ طَيْباً
تَشْبِيثَ الْقَوَافِسِ وَالْمَهِيَا

وَأَدْهَمُ يَسْتَمِدُ اللَّيْلَ مِنْهُ

سَرِي خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطْبُو جَرِيَاً

فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفَوْتَ مِنْهُ

وقول الشاعر :

أما ذكاء فلم تصير إذ جئت
إلا لفربة ذاك المنظر الحسن
وقول الآخر :

من أجلها قيل للأجفان أحشان
بين السيف وعينيها مشاركة
وقول الآخر :

ويبدو ثم يلتحف السحابا
وأبصر وجهه استحبها وفانيا
أرى بدر السماء يلوح حينا
وذاك لأنّه لما تبدي
أمثلة القسم الثاني :

من ذلك قول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

يقول القرزييني : فإن قتل الملوك أعدائهم في العادة لإرادة إهلاكهم ، وأن يدفعوا
مضارهم عن أنفسهم حتى يصفع لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم
قد غلت عليه ، ومحبته أن يصدق رجاء الراجحين بعثته على قتل أعدائه لما علم أنه إذا غدا
للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجهد ،
ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخيلي ، أى تناهى في الشجاعة حتى ظهر
ذلك للحيوانات العجم ، فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تناول من لحوم أعدائه وفيه نوع آخر
من المدح وهو أنه ليس من يسرف في القتل طاعة للفيظ والحنق «^(١)» .

وقول أبي طالب المؤمني في بعض الوزراء :

مقرن بالشقاء طلب بكسب المجد
لا يهتز للسماح ارتياحاً
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء
أن يرى طيف مستمتع رواها

يقول القرزييني : « وكان تقديره بالرواح ليشير إلى أن العفة إنما يحضرونه في صدر
النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قلوا ، فهو يشتاق إليهم فينام ليائس برفيقية
طيفهم »^(٢) .

(١) الإيضاح ج ٦ من ٧٠.

(٢) السابق نفسه ص ٧١.

وقول ابن عربى :

أنتنى تؤنننى بالبكاء فأشلاّبها وبتأنيبها

تقول وفي قولها حشمة أتبكى بعيون تراني بها

فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتلاديها

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للأكتئاب، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

وكالأمثلة السابقة قول ابن المعتز :

قالوا : اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب

حرمتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب

من أمثلة القسم الثالث :

قول مسلم بن الوليد :

يا واشياً حست فينا إساعته نجي حذارك إنسانى من الفرق

فإن استحسان إساعة الواشى ممكن ، وإن كان غير واقع عادة ، لكنه لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء فسلم إنسان عينه من الفرق في الدموع .

ومن أمثلة القسم الرابع ، هذا البيت :

لو لو تكون نية الجوزاء خدمته لا رأيت عليها عقد منتظر

فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة .

* * *

وما يلحق بالتعليق وليس منه لبناء الأمر فيه على الشك لا على الدعاء تتحقق العلة نحو

قول أبي تمام :

ربى شفعت ريح الصبا لرياضتها إلى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغُرُّ غبن تحتها حبيباً فما ترقى لهن مدامع

فقد علل - على سبيل الشك - نزول المطر من السحب بأنها غيبة حبيباً تحت تلك الريا ،
فهي تبكي عليه .

وقول المتنبي :

رحل العزاء برحلتى فكأنى اتبعته الأنفاس للقضيبع
ولما ألحق عبد القاهر هذا البيت بحسن التعليل على علي ب قوله :
« وذلك أنه علل تصعد الأنفاس من صدره بهذه العلة الغريبة وترك ما هو المعلوم المشهور
من السبب والعلة فيه وهو التحسس والتأسف .

والمعنى : رحل عن العزاء بارتحالى عنكم ، أى عنده ومعه أو به وبسببه فكأنه لما كان
 محل الصبر الصدر ؛ وكانت الأنفاس تصعد منه أيضاً ، صار العزاء وتنفس الصدأ
 كأنهما نزيلان ورفيقان ، فلما رحل ذاك كان حق هذا أن يشيعه قضاء لحق المصحبة » (١) .

* * *

تأكيد المدح بما يشبه النم

لتاكيد المدح بما يشبه النم ثلاثة أضرب ، أفضلها الأول وهو :

(١) أن تستثنى من صفة نم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة النم
 المنافية حيث إن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلة ، وذلك كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بهن فلول من قراع الكتاب

أى إن كانت فلول سيفهم من قراع الكتاب عيباً ، فإن فيهم شيئاً من العيب هو هذه
 الفلول ، ولما كانت فلول السيف من قراع الكتاب مدح لا قدحاً كان الاستثناء منقطعاً ،
 وتتأكد المدح بما يشبه النم .

والتاكيد في هذا الضرب من وجهين مما :

(أ) أنه كدعوى الشيء ببينة ، فالشاعر قد علق - ضمناً - وجود عيب فيهم على التسليم
 بأن فلول سيفهم بسبب قراع الكتاب من العيوب ، ولما كانت الحقيقة أن فلول السيف
 بسبب قراع الكتاب من المزايا لا من العيوب ، امتنع التسليم بأن ما بعد آداة الاستثناء في
 البيت عيب ، والمطلق على الممتنع ممتنع مثله .

(١) أسرار البلاغة من ٢٦ .

ونفى العيب عن المدحدين بهذه الطريقة أقوى مما لو قال :
(لا عيب فيهم) وسكت .

(ب) أن الأصل في الاستثناء - مطلق الاستثناء - أن يكون متصلة ، والاستثناء يكون متصلة إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه ، فإذا انطق المتكلم بأداة الاستثناء توهם المخاطب قبل أن يسمع ما بعدها بأن ما بعدها سيكون من جنس ما قبلها ، وانتظر أن يكن ما بعد (غير) في البيت الذي معنا من جنس العيب المتفى قبلها ، فإذا فوجئ بعدها بصفة مدح تأكيد المدح الأول (لا عيب فيهم) يتحول الاستثناء بعده من متصل إلى منقطع إذ في تحوله من متصل إلى منقطع إشعار بأن الشاعر لم يجد صفتان يستثنى بها فاضطر إلى استثناء صفة مدح .

والمحصلة أن ما بعد أداة الاستثناء مدح كالمدح الذي قبلها وعلى حد قول القزويني :
« تأكيد المدح لكنه مدحًا على مدح ، وإن كان فيه نوع من الخلابة » (١) .

ومن أمثلة هذا الضرب غير بيت النابغة :

قول الله تعالى : « لا يسمعون فيها لفوا ولا تائيا ... إلا قيلا سلاما ».
وقول حاتم الطائي :

وما تشتكى جارتي غير أنتي إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
وقول ابن الرومي :

ليس له عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه
وقول الشاعر :

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم ثواب بنسیان الأحبة والوطن
الهزباء الثاني :

وهو أن يثبت لشئ صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقول النبي ﷺ : « أنا أفضح العرب بيد أنى من قريش » .

(١) الإيضاح ج ٦ من ٧٧ .

وقول النابغة الجعدي :

فتنى كملت أخلاقه غير أنه جوارد فما يبقى من المال باقيا

وقول الشاعر :

أطلب المجد دائياً غير أني في طلابي لا تعرف اليأس نفسي
والاستثناء في هذا الضرب مقطع من أول الأمر؛ لانقاء العموم في المستثنى منه فيه ،
وهو لذلك باق على حاله الذي بدأ به .

وقد ترتيب على ذلك أنه لا يفيد التاكيد إلا بالوجه الثاني من الوجهين المذكوريين في الوجه
الأول ، ومن هنا جاء الحكم بأن الضرب الأول هو الأفضل .

الضرب الثالث :

وهو أن يقتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذم .
أو كما قال القزويني : « هو أن يأتى الاستثناء فيه مفرغاً » **كتقول الله تعالى : « وما تتقم
منا إلا أن أمنا بآيات ربنا لما جاءتنا » .**

أى وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله .

فال فعل (تتقم) فيه معنى الذم ، والمستثنى بـ إلا وهو المصدر المؤول من (أن أمنا)
متضمن صفة مدح ، وهو في الوقت نفسه مفعول به للفعل (تتقم) لأن الاستثناء مفرغ ،
وـ إلا ملغاً ، فيعرب ما بعدها على حسب موقعه في الجملة .

* * *

وقد ختم القزويني تاكيد المدح بما يشبه الذم بهذا التعبير قال :

« واعلم أن الاستدراك في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء كما في قول أبي الفضل
بديع الزمان الهمذاني :

هو البدرا إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضريغام لكنه الويل (١)
فالمدوح هنا هو البدار رفعة وشرفاً ، إلا أنه البحر زاخراً ، أى متراكم الأمواج كرماً ،
سوى أنه الضريغام أى الأسد شجاعة وقوة ، لكنه الويل : جمع وايل وهو المطر الغزير .

(١) الإيضاح ج ٦ من ٧٨ .

للمدح يكتفى في وصفه بكونه بحراً في الكرم عن كونه بيلافيه ، لأن الوليلة تقتضي وجوب العطاء ، والبحرية تقتضي التهديد للأخذ من كل جانب فالكرم المستفاد من البحرية كانه كرم بالقرنة ، والكرم المستفاد من الوليلة كانه كرم بالفعل (١) .

ومهما يكن من أمر ، فقد شبه الشاعر مدينه بالبدر ، وهذا مدح ثم أكد المدح بتشبيهات أخرى هي أنه البحر ، وأنه الأسد وأنه الوليل ، والفضل في ذلك لاستثناء والاستدراك : فقد أولاً تفهم السامع لصفات ذم تعقبهما بل أكثر من ذلك أحلاً محظها صفات مدح .

والاستدراك - بناء على هذا - من الضرب الثاني من ضروب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

* * *

ولا يسعني قبل أن أغادر هذا المحسن البديعي إلا أن أشيد بتناول محمد الجرجاني له ، ولو أنه أهدر عكسه وهو « تأكيد الذم بما يشبه الذم » (٢) .

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان :

الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها في صفة المدح المنفية .

تقول : فلان لا خير فيه إلا أنه لص ، ولا فضل للقوم إلا أنهم بخلاقه .

والثاني : أن يثبت للشيء صفة ذم تعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له .

تقول : فلان كذاب إلا أنه خائن ، وفلان حسود إلا أنه نمام .

ومنه قول الشاعر :

هو الكلب إلا أن فيه مسالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

* * *

(١) انظر مواهب الفتاح للمغربي ج ٣ ص ٦٧ .

(٢) الإشارات والتتبيلات من ٢٨٢ - ٢٨٤ .

والضرب الأول يفيد تأكيد النم من وجهين ، أما الضرب الثاني فيفيده من وجه واحد ،
وهي هي الوجه التي مرت في تأكيد المدح بما يشبه النم .

* * *

والاستدرار هنا كالاستدرار هناك في إفادة التأكيد :

تقول من الضرب الأول : لا خير في فلان لكنه جبان

وتقول من الضرب الثاني : فلان غبي لكنه شتام

* * *

بقي أن سر بلاغة تأكيد المدح بما يشبه النم وعكسه إنما هو التأثير على متكلق الأدب به
بما يحدث فيه نفسياً من مدٌّ وجذرٌ ومدٌّ في تأكيد المدح بما يشبه النم .

ومن جذرٍ ومدٌّ وجذرٌ في تأكيد النم بما يشبه المدح .

إن مرسل الأدب في تأكيد المدح بما يشبه النم وعكسه كمسك الخيوط في مسرح
العرائس يحرك ما يشاء منها بالخيط غير المنظور في يده ، أما مستقبل أدبه فإنه بتموجات
نفسه وترددتها بين الاغتياب والإحباط وعكسهما كالعرائس نفسها تتحرك بجذب الخيوط لها
حركات ليست من كسبها .

الالتفات

فهي أساس البلاغة ملامة (ل - ف - ت) : لفته عن رأيه : صرفته ، وفلان يلفت الكلام لفناً : يرسله علي عوامنه لا يبالي كيف جاء ..

والمعنى الاصطلاحى للالتفات قريب ما قاله الزمخشرى ، ذلك أنه الانتقال فى الكلام من صيغة إلى صيغة ، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من مفرد أو مثنى أو جموع إلى عكس ذلك .

قال ابن الأثير معللاً تسمية ابن جنى له بشجاعة العربية :

« وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام ، وذلك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ، ويتوارد مالا يتورده سواه ، وكذلك هذا الالتفات في الكلام »^(١) .

* * *

والالتفات ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .
ويفعل الأديب ذلك جرياً على عادة العرب من افتئاتهم في الكلام وتوسعم فيهم ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أكثر إثارة لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ولا مور بلاغية أخرى .

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فك قوله تعالى في سورة الفاتحة :
« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين » .

يقول ابن الأثير : هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب .

(١) انظر الخصائص ج ١ مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٤٢ م . صفحات ١٤٨ - ١٨٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٦٠ - ٢٦٦ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٢٩ - ٢٥١ ، ٥٣٧ ، ٢٥١ .

ومن الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمتثور موضوعات :
الالتفات ٩٨ - ١٠٢ والإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي من ١٠٢ - ١٠٥ وعكس الظاهر من ١١٨ - ١٢٢ والحمل على المعنى من ١٠٦ - ١٠٨ والتقديم والتأخير من ١٠٧ - ١١٨ والاعتراض من ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٦٧ - ١٧٣ - ١٧٣ .

ومما يختص به هذا الكلام من القوائد أنه ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والرحمة الدائمة والملك الخاص ثم خاطبه بقوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » أى نخصك بالعبادة والاستعانة يا من لا تكون العبادة إلا له : ولا تليق الاستعانة إلا به . فقوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » بعد قوله « الحمد لله رب العالمين » ليس العدول فيه من الغيبة إلى الخطاب اتساعاً فحسب ، بل إنه قد عدل به إلى الخطاب لفائدة حسنة ، وذلك أن الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده .

فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ (الحمد) مع الفيضة فقال « الحمد لله » ولم يقل : لك .

ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إياك نعبد » ، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صرّاط الذين أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ » . صرّح بالخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال : « غير المغضوب عليهم » ولم يقل : غير الذين غضب عليهم أو غضبت عليهم ، لأن الأول وضع موضع التقرب إلى الله بذلك نعمة ، فلما صار إلى ذكر الغضب قال : « غير المغضوب عليهم » فجاء باللفظ متّحراً به عن ذكر الغضب ، أنسد النعمة إليه لفظاً ، وزوى عنه ذكر الغضب تحسناً واطفأ .

* * *

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا ، لَقَدْ جَنِّتُمْ شَيْئًا إِذَا » .

فقوله « جنتم » وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة ، زيادة تنكيل عليهم بالجرأة على الله عن بجل ، والتعرض لسخطه ، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه .

وقول جرير :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى لازلت فى علل وأيك ناضر
جرير قد أخبر عن الغائب فى الشطر الأول وهو (الحمام) ولكن انصرف فى الشطر
الثانى عن الاستمرار فى الكلام عنه والتقت إلى مخاطبته بقوله :

« لازلت فى علل وأيك ناضر » لزيادة فائدة فى المعنى فى الدعاء للحمام .

وقول القاضى الأرجانى :

وهل هى الا مهجة يطلبونها فرقان أرضت الأحباب فهى لهم فدى
إذا دمث قتلى وأنتم أحبتي فماذا الذى أخشى إذا كنت عدى

فاليبيت الثاني قد جاء وهو خطاب للغافرين بعد البيت الأول وهو حديث عن الغافرين .

والغرض البلاغي من وراء الالتفات بالعمول عن الاستمرار في الإخبار عن الغائب إلى مخاطبته هو تمثيل أحبابه الغافرين في البيت الأول كائنهم حاضرون أمامه : ليقوعهم ويلازموه على عدم معاملته بالمثل ، وذلك بالمقابلة بين مشاعره نحوهم ومشاعرهم نحوه . هو على أتم استعداد لأن يغدتهم بمهمجته إن أرضاهم ذلك فهم يرثون قته بالتمادى في هجرانه والإعراض عنه كما لو كان عدواً لهم .

* * *

وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة :

فكقوله تعالى : « هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وبدرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاثتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحبط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجينا من هذه لتكونن من الشاكرين ». هنا صرف الله الكلام من الخطاب إلى الغيبة .

وإنما فعل ذلك لفائدة هي أنه ذكر لغيرهم حالهم ايعجبهم منها كالمخبر لهم ، ويستدعي منهم الإنكار عليهم والتقبیح ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها ، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية ، لفاقت تلك الفائدة التي أنتجهما خطاب الغيبة .

هذا ملخص كلام ابن الأثير .

ومعناه أن الله خاطب من كانوا في الفلك حتى أنساهم أنفسهم فحدثهم عنهم كائنهم ليسوا هم : ليتحولوا من ذاتين إلى موضوعين فيستنكروا فعلهم وكائنهم ليسوا هم كما يقول الأب لابنه الذي أخطأ : أنت فعلت كذا وكذا اليوم .. ثم يعطف بقوله : وبعد أن فعل ذلك لقى والده بكل جرأة كأنه لم يقترف إثماً ولم يرتكب ذنبًا ، وأخذ يستعطشه راجياً منه العفو .

إن هذا اللون من التعبير فيه إشهاد الناس على أنفسهم دون أن يشعروا ، فإذا حكموا على الغافرين كان هذا الحكم حكماً منهم على أنفسهم فلا يتظلمون منه بعد ذلك ، لأنهم ارتكبوا لغيرهم ظانين أن هذا الغير أناس آخرون ، وما هم بآناس آخرين بل هم المخاطبون أولاً .

* * *

ومن هذا الجنس قوله تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميماً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتلون ». .

فإنه إنما قال : « فآمنوا بالله ورسوله » ولم يقل : فآمنوا بالله وبى ، حيث قال أولاً : « إني رسول الله إليكم » ؛ لكن تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ، ولابد أن الذى وجب الإيمان به واتباعه إنما هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلمات كائناً من كان ، أنا أو غيرى ؛ إظهاراً للإنصاف ويعداً عن التعصب للنفس ، فكرد أولاً فى صدر الآية بأنه رسول الله إلى الناس ، وبعد أن ثبت ذلك فى أنفسهم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة للغرضين الذين ذكرناهما آنفاً وهما :

(أ) إظهار الإنصاف .

(ب) موضوعية الشخص المطلوب الإيمان به ، لكنه ليس هو الذى خاطبهم أولاً .

* * *

ومن هذا الجنس كذلك قول ابن النبي :

من سحر عينيك الأمان الأمان قتلت رب السيف والطيسان

أسمر كالرمح له مقلة لو لم تكن كحلاه كانت سنان

فقد عدل عن الخطاب فى البيت الأول إلى الغيبة فى البيت الثانى لغرض بلاهى قد يكنى
القى فى الأسلوب ، وقد يكنى التمكىن من بناء التشبيه الذى يشبه فيه القواط بالرمح ، مع
المحافظة على سلامة الوزن الشعري .

النحوث الثاني

الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر

أى الرجوع من الفعل المضارع إلى فعل الأمر .

يفعل ذلك تهويلاً لحال من أجوى عليه فعل الأمر .

مثال ذلك قوله تعالى : « يا هود ما جئتنا ببيتة وما نحن بطاركي آهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراف بعض آهتنا بسوء ، قال : إنى أشهد الله وأشهدوا إنى برئ مما تشركون » .

قال : (وأشهدوا) ولم يقل (وأشهدكم) حتى يكون موازناً له ويعنده ، لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك يثبت التوحيد ويشد معاقده .

وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ، ودلالة على قلة المبالاة بهم ، وذلك مثلاً نقول لمن ساء رأينا فيهم وفي ذكائهم : إننا نشهد الله ونشهدوا أنكم أغبياء . أو كما يقول النرج لنزوجته : إنى أشهد أبناءك وأشهدى أنك مخطئة .

ونرجع إلى الموضوعية ، فكتبه يشهد لها على امرأة أخرى قد اقتنعت هي بأنها مخطئة ويستشهد .

النحوث الثالث

الرجوع من خطاب الثنوية إلى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد أو من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع .

مثاله قوله تعالى : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » .

هنا توسيع في الكلام بتتنوع الخطاب .

فقد شئ ثم جمع ثم وحد ، فخاطب موسى وهارون عليهم السلام بالنبوة والاختيار ،
وذلك مما يفرض إلى الأنبياء .

ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة ، لأن ذلك واجب على الجمهور .

ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الفرض تعظيمًا له وتفضيًّا لأمره ولأنه الرسول على الحقيقة .

* * *

ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار : « وما لى لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون » .

ففي هذه الآية عدول عن خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة ، وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم ، لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم : ليلطف بهم ويداريهم ، ولأن ذلك أدخل في إمحاض النصيحة حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه .

وقد وضع قوله « وما لى لا أعبد الذي فطرني » مكان قوله : « وما لكم لا تعبدون الذي فطركم » ألا ترى إلى قوله « وإليه ترجعون » . ولو لا أنه قصد ذلك لقال : الذي فطرني وإليه أرجع .

* * *

والخلاصة أن الالتفات مظهر من مظاهر شجاعة العربية وقدرتها على تفتيق الكلام وتشقيقه والذهب به إلى حيث يريد مرسل الأدب منه وله من إيصال فكره ووجوداته ، والتأثير به على القارئين أو السامعين .

وهو حر فيما يريد مادام عنده الرصيد الكافي من النحو والبلاغة ، ومن ذوق العربية وحسها ، واللغة معه معطاء مطواع يمضى بها في طريق الإفراد ، ثم يبذلوه فيغير اتجاهه إلى طريق التثنية أو الجمع ، ويسلك سبيل الغيبة ، إلى أن يقطع جزءاً منه فيرجع عنه إلى سبيل الخطاب أو التكلم .

وهكذا يقتسم الأديب مختلف الدروب ولغته الشجاعية معه ، لا تتخل عنده ولا تخذله بل تسبقه إلى وجهته الجديدة لتمتحن الحكم وفصل الخطاب .

الأسلوب الحكيم والقول بالوجوب

أسلوب الحكيم أو الأسلوب الحكيم هو تلقى المخاطب بترك الإجابة عن سؤاله ، والإجابة عن سؤال آخر لم يسأل له إلى أنه كان ينبغي أن يسأل السؤال الثاني لا الأول .

من أمثلته قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » .

السؤال في الآية الكريمة عن حقيقة الأهلة ومرانها .

لم تبدأ صفيحة ثم تزداد حتى تتكامل ثم تتضاعف حتى لا ترى »»

ولما كانت هذه قضية فلكية عويصة ، وكان السؤال عنها حينئذ سابقاً زمنه بوقت طويل جداً ، عدل القرآن الكريم عن الإجابة عنه إلى بيان أن الأهلة للتوقيت والعبادات وفي هذا إشارة إلى ما كان ينبغي أن يسألوا عنه وهو فائدة الأهلة لا حقيقتها ، وذلك إلى أن تتهيأ عقولهم لفهم هذه الظاهرة الكربنة الصعبة .

وكالآية السابقة قوله تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنتقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

سأّلوا عما ينفقون فصرّفوا إلى بيان مصارف الزكاة إشارة إلى أن الزكاة لا يعتد بها إذا لم تقع في أيدي مستحقها .

* * *

ما سبق كان أسلوب الحكيم .

أما القول بالوجوب :

وأبادر فاقرر أنه في كتب البلاغة مخلوط بأسلوب الحكيم تحت اسم أسلوب الحكيم ، وأن أسلوب الحكيم مخلوط به تحت اسم القول بالوجوب .

هذا القول بالوجب ضربان :

أحدهما : أن تدل صفة في كلام لغيرك على شيء مثبت له حكم تقتضيه تلك الصفة ، وتنافي أنت فنثبت في كلام لك تلك الصفة لغير الشيء الأول دون تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتقاده عنه .

وإذا كان هذا التعريف غامضاً فإن مثاله سيفوضه وهو قول الله تعالى على لسان

المنافقين في دار الهجرة : « يقولون : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

فإنهم دلوا بالأعز على أنفسهم وبالأذل على المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج فثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين دون تعرض منه سبحانه وتعالي لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ، ولا لنفيه عنهم .

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه .

وأمثلة هذا الضرب كثيرة منها :

قول ابن حجاج :

قلت : ثقلتْ إِذ أتَيْتُ مَرَاراً . قال : ثقلتْ كَاهْلِي بِالْأَيَادِي
قلتْ : طولتْ . قال : لَا بَلْ تَطْوِلَتْ وَأَبْرَمْتُ قَالْ : حَبْلَ وَدَادِي
قال الشاعر لمضييفه : قد ثقلت عليك وحملتك المشقة بزياراتي المتكررة ، فصرفةه المضييف عن رأيه ، وعدل بكلمته عن معناها المراد له إلى معنى طريف لطيف .

والشئ نفسه فعله لما قال له ضيفه : أبرمت : أى جعلتك برمأ بي لطول مكتني عندك ، فقد حول الكلمة عن معناها المقصود لضييفه إلى معنى البرم وهو قتل حبل المودة ليصيير برمأ أى قويأ ، فالمبرم طاقان يُقتلان حتى يصيرا واحداً^(١) .

وكبيتي ابن حجاج قول القاضي الأرجانى :

فَالْطَّنْتَنِي إِذْ كَسَتْ جَسْمِي الْخَنْنَا كَسْسَوَةَ عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعَظَامَا
شَمْ قَالَتْ : أَنْتَ عَنْدِي فِي الْهُوَى مُثْلِّلُ عَيْنِي هَدَقْتَ لَكَنْ سَقَاما
وَقُولُ دُوِيدَةَ الْمَغْرِبِيِّ مِنْ أَبْيَاتِ يَخَاطِبُ بِهَا رَجُلًا أَوْدَعَ بَعْضَ الْقَضَاءِ أَمْوَالًا فَادْعُنِي
القاضي ضياعها :

إن قال : قد ضاعت فيصدق . إنها ضاعت . ولكن منك يعني لو تعنى
أو قال : قد وقعت فيصدق . إنها وقعت ولكن منه أحسن موقع

(١) أساس البلاغة مادة (ب . ر . م) من ٢١ .

وقول على بن فضالة القيرواني :

فكانوا هم ولكن للأحادي
فكانوا هم ولكن في فؤادي
لقد صدقوا ولكن من ودادي
وإخوان حسيبي هم دروهم
وخلتهم سهاماً صائبات
وقالوا قد صفت هنا قلوب

وقول شاعر راثياً :

ولما نهى الناعي سأله إيه خشية وللعين خوف البين تسکاب طار
أجاب: قضى. قلنا قضى حاجة العلا فقال : مضى . قلنا لكل شغاف
الشاهد في قوله « قضى » يريد (مات) ولكنهم حملوها على إنجاز الحاجات وقضائهما
وأيضاً في قوله (مضى) فقد أراد بها (ذهب إلى بارثه) لكنهم غيروا متعلق (ذهب) إلى
(ذهب بالفضل ولم يترك لغيره شيئاً يفتخر به) .

* * *

انتهى الكلام عن أسلوب الحكيم والقول بالوجب .

وقد نحن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في ملاحظته الثانية بهامش ص ٨٩ ج ٦ من كتاب الإيضاح على أن السبكي قد جعل الضرب الأول من القول بالوجب من المذهب الكلامي، والضرب الثاني من الأسلوب الحكيم، وجعل بيت المشاكلة (قلت اطيخوا لى جبة) من القول بالوجب .

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على فوضى البديع بعامة وفوضى المحسنات المعنوية منه بخاصة ، ولا غرابة في ذلك ، فبعض هذه المحسنات متداخل ، والأكثر متصل .

المذهب الكلامي

أو المذهب الكلامي الفلسفى كما قال ابن رشيق^(١) .

و واضح أن النسبة في العنوان إنما هي إلى علم الكلام أى علم التوحيد ، ومنطلقه – إن كان لا بد أن يكون له منطلق – هو علم المنطق أو الفلسفة ، لا علوم البلاغة ولا علم البديع من علوم البلاغة ، لكن بهذا جرت المقادير .

(١) العدة ج ٢ ص ٧٦

وَمَا هُوَ ذَا الْقَرْزُونِي يَعْرُفُهُ بِقَوْلِهِ : « هُوَ أَنْ يُورِدُ الْمُتَكَلِّمُ حَجَةً لِمَا يَدْعُيهُ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْكَلَامِ » (١) .

يُقْصَدُ عَلَى صُورَةِ قِيَاسِ اقْتَرَانِي أَوْ اسْتِثْنَائِي ، وَبِالْجَمْلَةِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْمَنْطَقِ .

وَاقْرَأُ مِنْ كَلَامِ الْجَرْجَانِي عَنِ الْمَذَهَبِ الْكَلَامِيِّ وَقَدْ سَمِعَ (الْمَحَاجَةُ) قَالَ : « هُنَّ الْأَعْمَاءُ شَرِّيْمَعَ الْحَجَةِ عَلَيْهِمْ ، وَهُنَّ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ كَتَوْلَهُ تَعَالَى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لِجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ » .

هُنَّ مَقْدِمةً شَرْطِيَّةً ، وَمُلْزِمَ المَقْدِمةِ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ ، وَالْإِنْتِيْجَةُ : لَمْ يَشَأْ رَبُّكَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، بَلْ جَعَلَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ بَعْضَ دَرَجَاتٍ لِاِقْتِضَاءِ الْحَكْمَةِ ذَلِكَ .

وَكَتَوْلَهُ تَعَالَى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » وَهُنَّ مَقْدِمةً شَرْطِيَّةً ، وَالْإِسْتِثْنَائِيَّةُ هُنَّ نَقِيَّضُ التَّالِيِّ ، أَيْ لَكُنْ لَمْ تَفْسِدِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، تَنْتَجُ : لَيْسَ فِيهِمَا إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ، وَبِبَيَانِ الْمَلَازِمَةِ مَا ذَكَرَهُ الْمُتَظَلِّمُونَ وَسَمِعُوهُ بِرَهَانِ التَّعَانُعِ .

وَكَتَوْلَهُ تَعَالَى : « قَالُوا : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى » . نَاقِضُ السَّالِبَةِ الْكُلِّيَّةِ بِالْمُوجَبَةِ الْجُزِئِيَّةِ (٢) إِلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ الْقَرْزُونِيُّ وَالْجَرْجَانِيُّ ، وَالْمَضِيُّ فِيهِ مَعْهُمَا وَمَعَ الْبَلَاغِيْنِ قَبْلَهُمَا وَبَعْدَهُمَا خَرُوجُ الْكِتَابِ عَنْ خَطْطِهِ الَّتِي قَلَّتْهَا فِي مَقْدِمَتِهِ ، بَلْ خَرُوجُهُ عَنْ اسْمِهِ ، فَهِيَا بِنَا مِنْ هَذَا .

تجاهُلُ العارِفِ

تجاهُلُ العارِفِ بِأَمْثَالِهِ الْمُتَوَعِّدِ وَبِأَغْرَاضِهِ الْمُخْتَلِفَةِ - عَدَا التَّعْرِيفِ - مِنْ صَمِيمِ عِلْمِ الْمَعْنَى ، وَمِنْ الْاسْتِفَاهَ الْبَلَاغِيَّ فِي عِلْمِ الْمَعْنَى عَلَى وِجْهِ التَّحْدِيدِ .

عَرَفَ السَّكَاكِيُّ بِأَنَّهُ سُوقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقٌ غَيْرِهِ لِنَكْتَةٍ (٣) .

وَهَذِهِ النَّكْتَةُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ :

١ - التَّوْبِيْخُ كَتُولُ الْخَارِجِيَّةِ :

(١) الإِيْصَاحُ ج ٦ من ٦٦ - ٦٧ .

(٢) الإِشَارَاتُ وَالْتَّبَيِّنَاتُ من ٤٨٠ .

(٣) المُفتَاحُ من ١٨٠ .

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

٢ - المبالغة في المرطح كقول البختري :

المع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو في النم كقول زهير :

وما أدرى ولست إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

٣ - التكله في الحب كقول الحسين بن عبد الله الفزى :

بالتله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وقول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعسأء بين جلاجل وبين النقا أانت أم أم سالم

٤ - التحقير كقول الله تعالى في حق النبي ﷺ حكاية عن الكفار : « هل نذلكم على رجل يبنكم إذا مزقتم كل ممزق أنكم لفى خلق جديد » يستهزئون بالنبي ﷺ لكتائم لم يكونوا يعرفون عنه إلا أنه رجل .

٥ - الإيناس ، لأن المقام مقام هيبة ورعبه كقوله تعالى : « وما تلك بييميك يا موسى » ؟

٦ - التحرير^(١) في قوله تعالى : « وإنما أويأكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » يقول القرزويني : وفي مجى هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى وهي أنه يبعث المشركين على الفكر في حالة أنفسهم وحال النبي ﷺ والمؤمنين ، وإذا فکروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض ، وسببي ذرازفهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام وإثبات الفرج الحرام وقتل النفوس التي حرم الله قتلها وشرب الخمر التي تذهب العقول ، وتحسن ارتکاب الفواحش ، وفكروا فيما النبي ﷺ عليه من صلة الأرحام وأجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين ، والمواظبة على عبادة الله تعالى ، علموا أن النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين على هدى ، وأنهم على الضلال ، فبعثهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة (١) .

(١) الإيضاح ج ٦ ص ٥٥ .

التجريب

حرفه القزويني بقوله : هو أَن ينتزع منْ أمر ذي صفةٍ آخرٍ مثُلُه في تلك الصفة
مبالغةً في كمالها فيه .

وهو أقسام منها :

(١) ما يكون بـ (من) التجريدية كقولهم : لى من فلان صديق حميم ، أى بلغ من
الصداقة مبلغاً صعباً أن يستخلص منه صديق آخر مثلاً فيها .

(٢) ما يكون بالياء التجريدية الداخلة على المتردِّع منه نحو : لئن سألت فلاناً لتسأله به
البحر ، فقد بالغ في وصفه باتساع علمه أو كرمه حتى انتزع منه بحراً فيهما .

(٣) ما يكون بدخول باء المعية على المتردِّع منه كقول الشاعر :

وشهوَهَاء تَعْدُ بِي إِلَى هَارِخ الْوَغْيِ بِمَسْتَلْبَمِ مُثْلَ الْفَنِيقِ الْمَرْهَلِ (١)
يعنى أنها تجري بي وهي من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلهم .

(٤) ما يكون بدخول (في) على المتردِّع منه كقوله تعالى « لهم فيها دار الظُّلُم » فإن
جهنم هي دار الظلُم ، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها معدة في جهنم للكفار ، تهويلاً
لأمرها ، وببالغة في اتصافها بالشدة .

(٥) ما يكون بدون توسط حرف نحو قول قتادة بن مسلمة الحنفي :

فَلَمَنْ بَقِيتْ لَأْرَحْلَنْ بِفَزْوَةِ تَحْوَى الْفَنَانِمِ أَوْ يَمُوتْ كَرِيمِ
يريد بالكريم نفسه ، وقد انتزع من نفسه كريماً للمبالغة في كرمه .

(٦) ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكِبُ الْمَطَى وَلَا يَشْرِبُ كَأساً بِكَفِّ مَنْ بِخَلَا

(١) شوهاء : فرس قبيحة المنظر لسعة أشداقها وهي صفة محمودة في الخيل ، وصارخ الوجه يعني
الصارخ في الحرب والمستلهم : لابس اللامة وهي الدرع ، والفنيق : الفحل الدليل ؛ أما المرحل فمن
رَحْلُ البعير أى أرسله . شبه الشاعر الفرس بالفنيق المرحل في الفسخامة والقوية وفي عدم استطاعة
مصادمتها .

يقصد أنه يشرب الكأس بكف الجوارد ، فقد انتزع من مخاطبه وهو ممدوحه جوارداً يشرب المدوح بكفه على سبيل الكتابة ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ، ولما كان الإنسان إنما يشرب بكف نفسه ، فإن المدوح بناء على ذلك هو الكريم .

(٧) ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه بأن ينتزع من نفسه شخصاً آخر يوجه الخطاب إليه كقول الأعشى :

وَدَعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطْبِقُ وَدَاعَاً إِيَّاهَا الرَّجُلُ
وَقُولُ أَبِي الطَّيْبِ :

لَا خَيْلَ عَنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلَيْسَ عَذَقَ النَّطَقَ إِنْ لَمْ تَسْعُ الْحَالَ
انتزع الأعشى من نفسه إنساناً آخر خاطبه بيته أو في بيته .
وكذلك فعل المتتبى .

* * *

وقد قيل في التعليل لتسمية هذا المحسن بالتجريد « إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى إلى لفاظها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره وهو هو بعينه كقولهم » لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ، ولئن سالته لتسأله منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر ، لأن هناك شيئاً منفصلأً عنه أو متميزاً منه ، ثم قال : وعلى هذا النمط تكون الإنسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما فعل الأعشى في « دع هريرة إن الراكب مرتاحل » (١) .

* * *

والتجريد فائدتان مما :

- (١) أن الإنسان بالتجريد يتمكن من إضفاء الصفات الحميدة على نفسه دون حرج ومن أين يأتيه الحرج وهو يخاطب غيره لا نفسه ، ويتكلم بحرفيته وراحته .
- (٢) التوسيع في الكلام ، فالتجريد في الظاهر خطاب لغيرك أو حديث عن غيرك ، وهو في الحقيقة خطاب لنفسك أو حديث عن نفسك وفي هذا من التوسيع في الأداء مالا يخفى على متأمل .

* * *

(١) القائل هو أبو علي الفارسي وانظر علوم البلاغة للمراغي من ٣١٣ والإيضاح للقرزيوني ج ٦ ص ٥٤ - ٥٩ .

٦١

يحسن التنبية إلى أننى سأجعل المحسن التالى مدخلاً إلى عدد من وجوه التحسين
المعنى أراه على شاكلته ومن قبيله من حيث أنه كلام نقوله بسلبيقة الكلام الذى ورثناها أو
تعلمناها، أو أنها رست على شواطئنا من واقع بيتنا وثقافتنا فغنمها دون أن تبذل جهداً
فيها ، حتى إذا قلنا أو كتبنا انعكس ذلك كله أو بعضه على ما نقول أو نكتب دون قصد
منا ، دون حرص منا عليه ، وربما دون معرفة علمية به ، إن هو إلا التعبير وف nomine ، وإن
هو إلا التصرف البق مع الأفكار والأحساس ، وإن هو إلا التوفيق في الربط بين الأفكار
والأحساس من جهة ، والتغيير عنها من جهة على نحو يتحقق التعادلية الواجبة لها في أي
شكل أدبي ، قصيدة أو مقالة أو قصة أو رواية أو مسرحية إلى آخر هذه الأشكال الأدبية
التي تتوالى وتتوارد وتأخذ حظها من الدراسة الواقعية حيثاً وغير الواقعية بمل الذهالة أحياناً .

يفرط بعضهم في تحقيق ذاته فيفعل أشياء ويعطى أسماء يصدق عليها قول الله تعالى: «إن هى إلا أسماء سميتكم بها أنتم وأباوكم ما أنزل الله بها من سلطان» وفي علم البديع من هذه الأشياء والأسماء الكثير الكثير.

فيه أسماء لوجوه من المحسنات البدعية ما كان يتبيّنى لها أن تكون : لأنّه ليس لها
مضمون ، وإن وجد فهو شئ عادى نقوله بحكم أننا نقول لا بحكم أننا أدباء بارعون وشعراء
بلغاء . من ذلك .

الهزل الذي يراك به الحك

يقدر الفرويني أن ترجمته تغنى عن تفسيره ، والحمد لله لقد شهد شاهد من أهله .

اما ما مثل له به فقول أمي نواس :

إذا ما تعمسي أتساك مفاحضراً فقل عد عن ذا كف أكلك الغرب

وقول امير القوى :

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها بيان الفتى يهودي وليس بفعال
هذا ما هناك بل كل ما هناك : عنوان وأسطر ثلاثة في كتاب الإيضاح ج ٦ من ٨٤

والبيتان هجاء تهكمي واضح ، فالضب لا يأكله أشراف الناس ، أما «ليس بفعال» فالمعنى في بطن الشاعر ، وأظنه يشنع على غريمه بتقسيمه فيما لا تعلمه إلا سلمى .

التفریح

وهو أن يثبت لتعلق أمر حكم بعد إثباته لتعلق له آخر كقول الكمي:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دمائكم تشفى من الكلب
فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب
انتهى التفریح في كتاب الإيضاح ج ٦ ص ٧٤ .

أسأل ما رأى النقاد دارسي البلاغة العربية في جعل شاهد هذا التفریح - وهو مدح غليظ فج - محسناً بدعيّاً معنوياً وصورة بلاغية جديرة بأن تفرد بالدراسة !؟

الاستباق

قالوا : هو المدح بشئ على وجه يستتبع المدح بشئ آخر .
هذا تعريفه .

أما مثاله فهو بيت المتنبي :

نهيت من الأعمار ما لومويته لهنت الدنيا بآنك خالد
يقول التزويني : « فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة ، إذ كثر قتلاه بحيث لورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنة بخلوده » .

ثم يضيف : قال على بن عيسى الربعي : وفيه وجهان آخران من المدح :
أَنْهَكُمَا: أَنْ نَهِيَ الْأَعْمَارُ دُونَ الْأَمْوَالِ.

الثاني: أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد من مقتوليه ، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا
وأهلها فهم مسردون بيقانه .

انتهى الاستباق في كتاب الإيضاح ج ٦ ص ٧٩ .

والمسألة أن بيت المتنبي من أبيات المعانى وتحمل محسن بديعى معنوى فيه يطبع كل فارغ فى تلمس مثل ذلك من مظانه ومن غير مظانه ، والنتيجة تخمة بلاغية وخيمة العاقب .

الجمع

وهو أن يُجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد قوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وقول أبي العתاهية :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسدة

وقول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجهتها شمس الشخص وأبو إسحق والقمر
انتهى الجمع وما هو إلا مبتداً وخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر مع تعدد في أحد ركناً
الجملة أو فيما معاً ، وسامح الله السكاكي والقرزيين ومن لف لفهما وهذا حذهما (١) .

التفرق

وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو في غيره كقول الوطواط :

ما نوال الفمام وقت رببع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدوره عين فنوال الفمام قطرة ما

وقوله أيضاً :

من قاس جدواك بالفمام فما أنت في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد دامع العين

غفر الله لرشيد الدين ، فقد أمد السكاكي والقرزيين وغيرهما بهذين المثالين للتفرق (٢) .

التقليل

عرفه السكاكي بقوله هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضييف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

(١) المفتاح ص ١٧٩ والإيضاح ج ٦ ص ٤٦ .

(٢) المفتاح ص ١٧٩ - ١٨٠ ، والإيضاح ج ٦ ص ٤٧ .

أديبان فـى بلخ لا يأكلان إذا صحبـا المرء غير الكبد

فهـذا طـويل كـظل القـناة وهذا قـصـير كـظل الـوتـد (١)

وـعـرفـهـ القـزوـينـيـ بـأنـهـ ذـكـرـ متـعدـ ،ـ ثـمـ إـضـافـةـ ماـ لـكـلـ إـلـيـهـ عـلـىـ التـعـيـنـ وـمـثـلـ لـهـ بـبـيـتـيـ
الـبـحـترـىـ :

فـماـ هوـ إـلاـ الـوـحـىـ أـوـ حـدـ مـرـهـفـ تـمـيلـ ظـباءـ أـخـدـعـيـ كـلـ طـائـلـ

فـهـذـاـ دـوـاءـ الدـاءـ منـ كـلـ عـسـالـ وـهـذـاـ دـوـاءـ الدـاءـ منـ كـلـ جـاهـلـ

وـبـبـيـتـيـ المـلـمـسـ :

وـلـاـ يـقـيمـ عـلـىـ هـسـيـمـ يـرـادـ بـهـ إـلاـ الـأـذـلـانـ عـيـرـ الـهـىـ وـالـوـتـدـ

هـذـاـ عـلـىـ الـخـسـفـ مـرـبـوـطـ بـرـمـتـهـ وـذـاـ يـشـجـ فـلـاـ يـرـشـ لـهـ أـحـدـ

الـجـمـعـ مـعـ التـفـرـيقـ

وـهـوـ أـنـ يـدـخـلـ شـيـئـاـ فـىـ مـعـنـىـ وـاحـدـ ،ـ وـيـفـرـقـ بـيـنـ جـهـتـىـ الـإـدـخـالـ .

كـقولـ الـوطـواـطـ :

فـوـجـهـكـ كـالـنـارـ فـىـ هـسـوـئـهاـ وـقـلـبـكـ كـالـنـارـ فـىـ حـرـهاـ

شـبـهـ وـجـهـ الـحـبـيـبـ وـقـلـبـ نـفـسـهـ بـالـنـارـ ،ـ وـفـرـقـ بـيـنـ رـجـهـيـ الـمـشـابـهـةـ .

وـمـنـهـ قـولـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ وـجـعـلـنـاـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ أـيـتـيـنـ فـمـحـوـنـاـ أـيـةـ الـلـيـلـ وـجـعـلـنـاـ أـيـةـ الـنـهـارـ

مـبـصـرـةـ»ـ (٢ـ).

المـزـاـوجـةـ

وـهـىـ أـنـ يـزاـوجـ بـيـنـ مـعـنـيـيـنـ فـىـ الشـرـطـ وـالـجـزـاءـ كـقولـ الـبـحـترـىـ :

إـذـاـ مـاـ نـهـىـ النـاهـىـ فـلـجـ بـىـ الـهـوـىـ أـصـاخـتـ إـلـىـ الـواـشـىـ فـلـجـ بـهـاـ الـهـجـرـ

(١ـ) المـفـتـاحـ مـنـ ١٨٠ـ وـلـاـ يـأـكـلـانـ غـيـرـ الـكـبـدـ كـتـابـةـ عـنـ الـفـيـيـةـ وـسـوـهـ الـعـشـرـةـ أـوـ وـصـفـ لـهـمـاـ بـسـوـهـ الـمـكـلـ .

(٢ـ) المـفـتـاحـ مـنـ ١٨٠ـ وـالـإـيـضـاحـ جـ ٦ـ مـنـ ٤٩ـ .

وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوماً ففاحت دماؤها تذكرة القربى ففاحت دماؤها^(١)

اللف والنشر

وهما يذكرانى فى البلاغة بمضارع الثلاثي ومضارع الرباعى فى الصرف ولما كنت ومازلت لا أحب الصرف ، فإنى أتخطاهما ، وعلى من أراد التفرج عليهما أن يرجع إلى المفتاح ص ١٧٩ وإلى الإيضاح ج ٦ ص ٤٧ .

العكس

وهو أن يقدم فى الكلام جزء ثم ينخر .

ويقع على وجوه ثلاثة :

الأول كقولهم : عادات السادات سادات العادات .

والثاني : كقول الله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » .

والثالث : كقوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » .

مما هو **العكس** ولو لا أن التمثيل للوجهين الآخرين فيه من القرآن الكريم لقلت (**العكس**) أفى أساس البلاغة أركس الرجل ذهب ماله ، ورجل أوكس قليل الحظ ، وليلة الوكس هي ليلة دخول القمر في نجم منحوس ، وبرئت الشجرة على وكس : على مدة في جوفها ، ويقال للطبيب انظر : إن كان فيها وكس فأخرجه »^(٢) .

يعنى لنا فى البلاغة بمن نقول له :

« أقصد إلى ما فيها من وكس فأخرجه » ، وما سيخرجه من وكس كثير كثير من ذلك العكس ، واللف ، والنشر ، والمزاوجة ، والجمع ، والتفرق ، والتقسيم ، والجمع مع التفرق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفرق والتقسيم ، والتفرق ، والاستبعاد ، والجد الذى يراد به الهزل إلى آخر ما فى البلاغة العربية من وكس .

* * *

(١) المفتاح من ١٧٩ والإيضاح ج ٦ ص ٣٤ - ٣٥ ودلائل الإعجاز من ٧٤ - ٧٥ .

(٢) ص ٥٠٨ .

مسائِ الختام للحسنات المعنوية

بعد ما ذكرناه من الوجوه الجادة وغير الجادة للتحسين المعنوي تتفكه بمحسن بديعي جاء في كتب البلاغة خاتماً للحسنات المعنوية ، وبعده الحسنات اللغظية - على الأعراف أعني . والحقيقة أنه كالمشاكلاة ، بل أولى منها في وجوب سلكه في الحسنات اللغظية ، ولو كان الأمر بيدي لأمرت بطرده من وجوه التحسين جملة . أقل بطرده وهي ليست من عندي ، بل من عنده ، أقصد من عند هذا المحسن البديعي المغضوب عليه ، ذلك أن اسمه (الاطراد) . والطرد والاطراد أصلهما اللغوى واحد هو مادة (ط. ر. د.) .

قال الجرجانى : وهو ذكر نسب إنسان على الترتيب كقول النبي ﷺ : « الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم » وقول دريد بن الصمة: قتلنا بعبد الله خير لداته ذئاب بن إسماعيل بن زيد بن قارب قيل لما سمعه عبد الملك بن مروان قال : « لولا القافية لبلغ به أدم »^(١) .

أما أنا فقد وجدت في نسخة الطلب من كتاب الإيضاح بخطى ما يأتي :

لما جئت إلى الدنيا في الخامس من سبتمبر سنة ١٩٢٢ م سُماني أبي على اسم والده (أحمد) لكن القابلة - سامحها الله - كتبتني في سجل المواليد (عده) ، ربما لأنها كانت طربة أو غزالة أو هما معاً .

وبهذا صار اسمي عده عبد العزيز أحمد حسن على قليلة ، ولا تسعنى الفرحة ، فاسمي الرسمي - ولست في ذلك وحدى - محسن بديعي معنوي هو الاطراد .

* * *

أما بعده :

فلم يبق من وجوه التحسين المعنوي مما أورده السكاكي والقرزيوني ومحمد الجرجانى إلا تسعة أنواع هي :

التوجيه والإدماج والمبالغة والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم والاستطراد والاستخدام والتضليل والمزاوجة .

تركتها لعدم اقتناعي بها ، فهى - كالهزل الذى يراد به الجد وما بعده - كلام عادى ، إذا لم نقله فماذا نقول !؟

واحتراماً لعقلى وعقلك ، وحرصاً على وقتى ووقتك ، ثم توفيراً للخبر والورق والجهد والعرق أتوقف .

* * *

(١) الإشارات والتبيهات ص ٢٨٨ .

المحسّنات اللفظية

الجناس

هو تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى .

ويتبعه في كتب البلاغة والأدب وجدنا أنه ينقسم قسمين رئيسيين هما : الجنس التام والجنس غير التام ، وأن الجنس التام هو ما اتفق طرفاً في أربعة أمور هي :

- ١ - جنس الحروف .
- ٢ - عدد الحروف .
- ٣ - ضبط الحروف .
- ٤ - ترتيب الحروف .

أما غير التام فهو ما اختلف طرفاً في واحد من الأربعة المقدمة .

* * *

وللتوضيح معالم الجنسين التام وغير التام سنفرد كلّاً منهما بدراسة خاصة به على الوجه الآتي :

أولاً :

الجنس التام

هذا الجنس ثلاثة أنواع هي :

- (١) المبائل .
- (٢) المستوفى .
- (٣) المركب .

المبائل

وهو ما كانت الكلمات فيه من نوع واحد : اسمين أو فعلين أو حرفين .

مثال الآتي :

قول الله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم الجرمن ما لبثوا غير ساعة » الجنس في (الساعة) و (ساعة) ولا تفتأ إلى أداة التعريف (أل) لأنها ليست أصلًا في بنية الكلمة .

واوضح أن الكلمتين قد اتفقنا لفظاً واختلفتا معنى ، فمعنى الأولى : يوم القيمة ومعنى الثانية بعض الوقت .

وقوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار ، إن في ذلك عبرة لأولى الأبصار ». لغة الأولى معناها :

(الأبصار) الأولى معناها : العيون ، والثانية معناها : العقول .

وقول أبي سعيد المخزومي :

حدق الأجال آجال والهوى للمرء قتال

الأول : جمع أجل وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أجل وهو نهاية العمر .

وقول أبي تمام :

إذا الخيل جاءت قسطل الحرب صدعوا صدور الموالى في صدور الكتاب

(قسطل الحرب غبارها ، وصدعوا أمالها ، والجناس في (صدور) و (صدور) فالأولى أعلى الرماح والثانية نحو الجنود) .

وقول البختري :

إذا العين راحت وهي عين على الجرى قليس بسرّ ما تسرّ الأضالع
فالعين الأولى الباصرة ، والثانية الجاسوس .

ومثال الفحليين :

قول أبي محمد الخازن :

قوم لو انهم ارتاضوا لما قرضاوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا
والجناس في (شعروا) وما (شعروا) فهما فعلان ماضيان لكن الأول معناه (أحسوا)
والثاني معناه (نظموا الشعر) .

وقول الشاعر :

يا إخوتي مذ بانت النجد وجب الفؤاد وكأن لا يجب

فارقتكم وبقيت بعدهم ما هكذا كان الذي يجب

(يجب) التي في آخر البيت الأول من الوجيب وهو الخفقات ، والتي في آخر البيت
الثاني من الوجوب وهو الحتم .

ومثال الحرفيين :

قول بعضهم « من الناس من يعمل من أول النهار إلى آخره » .

والجناس فى (من) و (من) فالأولى تفيد التبعيض أى بعض الناس والثانية تفيد التوقيت أى ابتداء من أول النهار .

ومثل (من) (قد) فى « قد ينزل المطر شتاء وقد ينزل صيفاً » .

و(قد) الأولى للتكرير والثانية للتقليل .

٢

المستوفى

وهو ما كانت كلاماته من نوعين مختلفين بأن تكون إحداهما اسمًا والأخرى فعلًا أو بأن تكون إحداهما حرفاً والأخرى اسمًا أو فعلًا .

فمن أمثلة الجنس المستوفى بين اسم وفعل قول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فلاته يحييا لهى يحيى بن عبد الله

(اختلاف الرسم بسبب الإملاء لا يؤثر على الجنس لأن العبرة فيه بالنطق لا بالكتابة)

وقول أبي العلاء :

لو زارنا طيف ذات الحال أحياناً ونحن في حفر الأجداث أحياناً
(أحياناً) الأولى بمعنى في بعض الأوقات و (أحياناً) الثانية فعل ماض معناه زينا إلى الحياة .

وقول ابن رشيق :

إذا رماك الدهر في عشر قد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم
(دارهم) فعل أمر من المدارة و (دارهم) هي الدار بمعنى البيت وكذلك (أرضهم) و (في أرضهم) .

ومن أمثلة الجناس المستوفى بين فعل وحرف قول الشاعر :

علا نجمة في عالم الشعر فجأة على أنه مازال في الشعر شانياً^١
والجناس في (علا) الأولى فهي فعل ماض من العلو، و(على) الثانية فهي حرف جر.
وقول الآخر:

ولو أن وصلًا عالًى و بقربه لما أنَّ من حمل الصباة والجوى
والجناس هذه المرة في (أن) الأولى وهي حرف توكييد ونصب، و (أن) الثانية وهي
فعل ماضٍ من الأثنين.

۳

وهو ما كان أحد ملوكه مفرداً والأخر مركباً.

والمركب - كاملاً له التام - ثلاثة أضرب هـ :

الملف : (٤)

وهو ما كان طرفه المركب مركباً من كلمة وبعض كلمة كقول الغربي،

ولا تلئه عن تذکار ذنبك وابكه
بدمج يحاكي الويل حال مصابه
ومثلك عينيك الحمام ووقفه
بروعة ملقاء ومطعم صابه
الجناس فى كلمة (مصابه) المفردة فى نهاية البيت الأول و (م صابه) المركبة من الميم
الأخيرة فى كلمة (مطعم) وكلمة صابه فى آخر البيت الثاني .

وقوله أيضاً:

وال默كز مهما استطعت لا تأتى لتقتنى السفید والمکرم

الجناس بين (المكر) فى أول البيت مضافاً إليه الميم والهاء من (مهما) وكلمة (المكرمه)
فى آخر البيت .

(ب) المنشآت:

وهو ما كان طرفه المركب مركباً من كلمتين كاملتين أولاً وأشبهه طرفه المفرد لفظاً وخطاً ثانياً.

قول أبي الفتح البستي :

إذا ملك لم يكن ذا هبة

فروعہ فدولتے ذاہبہ

الأولى مركبة من مضاد هو (ذا) بمعنى صاحب ومضاد إليه هو (هبة) أي عطية
والثانية كلمة مفردة اسم فاعل من ذهب أو من الذهاب بمعنى مولية .

وقول الآخر :

لپیت ما حل بنا په عضنا الدهر ینا به

الجناش في (بنابه) وهي كلمة واحدة معناتها بضرسه و (بنابه) في آخر البيت وهي مركبة (بنا) جار و مجرور، (به) جار و مجرور كذلك أي ليت الذي نزل بنا نزل به.

(ج) المفروق:

وهو كالمتشابه في أن أحد طرفيه مركب من كلمتين كاملتين والفرق بينهما أن التشابة هنا في النطق فقط أي دون الكتابة كقول أبي القاسم البستي، أيضاً:

**كلاكم قد أخذ الجا
ما الذي خسر مدير الـ**

والجنسان بين (جام لنا) في نهاية البيت الأول وهو مركب من كلمتين هما (جام) و (لنا) و (جاملنا) في نهاية البيت الثاني وهي كلمة واحدة من المجاملة .

والطرفان متشابهان لفظاً لا خطأً كما في قوله:

قول المعلوم :

لا تعرضن على الرواية قصيدة
فمتنى عرضت الشعر غير مذهب
والجناس فى (تهذيبها) بمعنى تنتيجها فى نهاية البيت الأول و (تهذى بها) من الهذيان
فى نهاية البيت الثاني ، وهما متشابهان: احفظ لا خطأ ولا اختلاف .

وقول ابن أسد الفارسي :

آيات لنا آفهمنا والفرائض
لتسائل عن حماقة والق راتها

غدونا بأعمال ورحننا بخيبة
فلا تلق هنا غاديَا نحْو حاجة

والجناس بين (والقرائحا) في نهاية البيت الأول جمع قريحة و (الق رائحا) فعل أمر ومفعول به في نهاية البيت الثاني ، وقد اتفقا لفظاً واختلفا خطأ وقول بهاء الدين السبكي :
 كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى حتى تعود لى الحياة وأنت هى
 والجناس بين (أنتهى) فعل مضارع في نهاية الشطر الأول ، و (أنت هى) مبتدأ وخبر
 في نهاية الشطر الثاني ، وهو مختلفان خطأً ومتافقان نطقاً .

* * *

انتهى الجنس التام بقسامه : المماثل والمستوفى والمركب ، وبتفرعات المركب وهي :
 المرفو والتشابه والمفروق .

وقد علق الفزويين عليه ي قوله : « ووجه حسن هذا القسم أعني التام حسن الإفادة مع أن
 الصورة صورة الإعادة ». .

وهي مقوله مختصرة عن مقوله مطولة لعبد القاهر (١) .

ثانياً: الجنس غير التام

وهو ما اختلفت كلمتاها في واحد من الأمور الأربع الواجب توافرها في الجنس التام
 وهي :

- (أ) جنس الحروف .
- (ب) عدد الحروف .
- (ج) ضبط الحروف .
- (د) ترتيب الحروف .

(٤)

فإن اختلفت الكلمتان في جنس الحروف المكونة لهما وهذا الاختلاف مسموح به في
 حرف واحد فقط ، إذا اختلفت كلتا الجنس في حرف واحد من حيث نوعه فإن الجنس
 في هذه الحالة يتوزع على ثلاثة أقسام هي :

(١) الإيضاح ج ٦ ص ٩٤ وأسرار البلاغة ص ٣ - ١٣ .

١

المضارع

وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه متقاربين في مخرجيهما سواه، كانوا في أول الكلمتين كقول الحريري : « ببني وبين كنى ليل دامس وطريق طامس » والحرفان هما الدال في (دامس) والطاء في (طامس) .

أو في وسطهما كقوله تعالى : « وهم ينهون عنه وينهون عنه » والحرفان هما الهاء في (ينهون) والهمزة في (ينهون) وقولهم « البرايا أهداف البلايا » والحرفان هما الراء في (البرايا) واللام في (البلايا) .

أو في آخرهما كقول النبي ﷺ : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيمة » .
والحرفان هما اللام في (الخيل) والراء في (الخير) .

* * *

٢

اللاحق

وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه متباuden في مخرجيهما سواه، كانوا في أول الكلمتين كقوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » والحرفان هما الهاء في (همزة) واللازم في (لمزة) ، وقول بعضهم : « رب وضى غير رضى » والحرفان هما الواو في (وضى) والراء في (رضى) ، وقول الحريري « لا أعطى زمامي لمن يخفر ذمامي » والحرفان هما الزاي والذال .

أو في وسطهما كقوله تعالى : « ذلكم بما كنتم تفرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمررون » والحرفان هما الفاء في (تفرون) والميم في (تمررون) وقوله تعالى : « وإنه على ذلك لشهاد ، وإنه لحب الخير لشديد » والحرفان هما الهاء في (شهاد) والدال في (شديد) .

أو في آخرهما كقول الله تعالى : « وإذا جاعهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به »
والحرفان هما الراء في (أمر) والنون في (أمن) وقول البختري :

هل لما فات من تلاق تلاف
أم لشاك من المصيبة شاف

والحرفان هما القاف في (تلاق) والفاء في (تلاف) ثم الكاف في (شاك) والفاء في (شاف) .

٣

المحتوى

وهو ما كان اختلاف الحرفين في الكلمتين بسبب النقط فقط كالقاف والفاء ، والباء ، والياء ، والنون والتاء ، والعين والغين ..

نجد ذلك في قول النبي ﷺ على بن أبي طالب كرم الله وجهه :
« قصر ثوبك فإنه أنقى وأبقى » ، وفي قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
« لو كنت تاجرًا ما اخترت غير العطر إن فاتني ريحه لم تفتني ريحه » .
كما نجده في قول أبي فراس الحمداني :

من بحر جودك أفتر
وبفضل علمك أعترف
وقول البهاء زهير :

وأعجبني التجنيس بيبي وبيني ... فلما تبدى أشنبأ رحت أشيبا

(أبا)

وإن اختلفت الكلماتان في عدد الحروف فإن الجنس يسمى ناقصاً ويكون على وجهين :

١

ما كانت الزيادة في إحدى الكلمتين بحرف واحد سواء كان في أول الكلمة كقول الله تعالى : « والتفت الساق بالساقي ، إلى ربك يومئذ المسايق » أو في وسطها نحو « جدي جهدي » ، أو في آخرها كقول البهاء زهير :

أشكر وأشكوا فطن
طرفى وطرف النجم فيه
فأعجب لشاك منه شاكر
ككلامها ساه وساهر

وقول البحترى :

لئن صدفتك عنا فربة أنفس

وقول أبي تمام :

يمدون من أيد عواصم قواصب

ومن الآيات التي كتبها المعتمد بن عباد إلى محمد بن الطيب المصري يدعوه إلى مجلس

أنس له وهي :

ني ونفسي منه السن والسناء
حنة والمسمع الغنى والفناء
والرقابة المهوء والهباء
قد أعد لك الميا والمياه

أيها الصاحب الذى فارقت عي
نحن فى المجلس الذى يهب الرا
نتعاطى التى تنسى من اللذة
فاتت تلق راحة ومحيا

ويسمى هذا الأخير مطربا لطرف الزيادة فيه .

وقد كان عبد القاهر معجبًا به ، ها هوذا يقول في تقديره :

وذلك أنك تتهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من (عواصم) والباء من (قواصب)
أنها هي التي مضت ، وقد أرادت أن تجبيك ثانية ، وتعود إليك مؤكدة ، حتى إذا تمكنت من
نفسك تمامها ووعي سمعك آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذي سبق من
التخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من ملوك القائدة بعد أن يخالطك اليأس منها وحصل الربح
بعد أن تفالط فيه حتى ترى أنه رأس المال «^(١)» .

٢

ما كانت الزيادة في إحدى كلمتيه بأكثر من حرف في آخرها ويسمى
مذيلاً :

كقول النابغة الذبياني :

وزال بهم صرف النوى والنواب

لهم نار جن بعد إننس تحولوا

(١) أسرار البلاغة ص ١٣

وقوله أيضاً:

فيالك من حزم وعزم طواهـما **جـديـد الرـدـيـ بين الصـفـاـ والـصـفـائـمـ**

وقول حسان رضي الله عنه :

وكان متى يغزو النبي قبيلة نصل جانبيه يالقنا والقنابل

وقول النساء:

إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

(ج)

وإن اختلفت كلمتا الجنس في ضبط حرف أو حرفين لا أكثر فهو الجنس المحرف .

مثال اختلاف الضيطة في حرف واحد .

قول الله تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » .

وقول النبي ﷺ : « حُبَّةُ الْبَرْدِ حُنَّةُ الْبَرْدِ » .

وقول ابن الفارض :

هلا نهاك ثهاك عن لوم امرئ لم يكف غير منعم بشقاء

وقول عبد العزيز الحموي:

لعيني كل يوم فيك غيره تصيرني لأهل العشق غيره

ومثال اختلاف الضبط في حرفين :

قول النبي ﷺ : « اللهم كما حسنت خلقني حسن خلقني ». .

وقول المعربي:

والحسن يظهر في بيتهن رونقه **بيت من الشعر أو بيت من الشعر**

三

وإن اختلفت الكلمات في ترتيب الحروف سمع الحناس.

جناس القلب أو جناس العكس

وهو ثلاثة أضرب هي :

١

قلب كل

وذلك إذا كانت كلمتا التجنيس متعاكستين لفظاً كقولهم : « حسامه (فتح) لأولياته (حلف)
لأعدائه ». .

(حلف) مقلوب (فتح) و (فتح) مقلوب (حلف) .

وهو هو قول العباس بن الأحنف :

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حلف

ومن بديع قلب الكل قول ابن نباتة في مدح الأمير بهرام :

رهب الحرب تضطرب	قيل كل القلوب منْ
قلب بهرام ما رهب	قلت هذا تفرض

والشاهد في (بهرام) فهو معكوس (ما رهب) أو في (ما رهب) فهو معكوس (بهرام) .

* * *

ومن قلب الكل ما يسمى (المقلوب المجنح) .

وهو ما وقعت إحدى كلمتيه في أول البيت والأخرى في آخره ، وقد سمي بذلك لأنهما
يكونان حينئذ بمثابة الجناحين للبيت .

كقول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف :

ساق يرينى قلبه قسوة	وكل ساق قلبه قاس
---------------------	------------------

الجناس في (ساق) في أول البيت و (قاس) في آخره ، والكلمتان متعاكستان
ومتجانستان .

وَكَفُولُ الْأَخْرِ:

الشاهد في (لاح) في أول البيت و (حال) في آخره فهما كذلك متعاكستان ومتجانتان .

1

قلب بعض

وهو ما اختلفت فيه الكلماتان فى ترتيب بعض الحروف دون بعض كما جاء فى الخبر :
«اللهم استر عورتنا وأمن روعتنا» ، وكقول بعضهم : «رحم الله امراً أمسك ما بين فكيه
وأطلق ما بين كفيه» ، وكقول عبد الله ابن رواحة في مدح المصطفى ﷺ .

تعمله الناقة الأدماه متعمراً بالبُرْد كالبدر جل نوره الظلام

قول المتن :

ممنوع ترداد منع يكلاف لفظها الطير الوقوعا ^(١) وقول الآخر :

وقول الآخر :

ان بين الفلاوع منى ناراً تلظى فكيف لي أن أطيقاً^(٢)

فبحقى عليك يا من سقانى أرحيقاً سقيتني أم حريقاً

في الأمثلة الأربعة السابقة وقع الخطأ بين كلمتين مختلفتين في ترتيب بعض الحروف لا في كلها ، وقد سمي لذلك (قلب بعض) .

1

الجناش المستوى

وهو لا يبعد عن قلب الكل بل قد سماء السكاكي مقلوب الكل ، وسماء الحريري (ما لا يستحيل بالانعكاس) وفي هذه التسمية للحريري يمكن الفرق بينه وبين قلب الكل ، فال الأول يختلف فيه معنى الكلمتين بـالقلب (فتح) (حتف) (بيرام) (مارهب) .

(١) الأداء: شديدة البياض، واعتبر العمامة: لفها حول الرأس.

(٢) الرداح : ممثلة الجسم بعامة والنصف الأسفل منه بخاصة .

أما في الجنس المستوى فإنه كما قال الحريري : « لا يستحيل بالانعكاس » أي لا يتحول معناه بالانعكاس عما عرفناه قبل الانعكاس ، بل يبقى هو هو ، ويكون عكس كلمتي الجنس كطربهما في أنه تمكن قراءتهما من آخرهما كما تمكن قراءتها من أولهما دون أن يتغير المعنى مثل : « كل في فلك » ، (ربك فكير) وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : « سر فلا كبابيك الفرس » وقول القاضي الأرجاني :

مودته تدوم لکل هول
وهل کل مودته تدوم

فكل نص من النصوص السابقة يقرأ طرداً ويقرأ عكساً مع احتفاظ الكلام بمعناه في القراءتين.

* * *

ومن الاماعن غير المحمود في تقسيمات الجناس :

تقسيمه إلى جناس عادي هو كل ما سبق ، وجناس غير عادي سمعه **المُلْفَقِ** : وهو ما
كان طرفاً مركباً من كلمتين .

ومن لطيفه قول القاضي عبد الباقي بن أبي حصين الذي في القضاى بمعرفة النعمان
خمس سنين وكان حين ولى أىن خمس وعشرين :

وليت الحكم خمساً وهي خمسٌ
فلم تضع الأعادى (قد رشانى)
لغمى والصبا فى العنفوان
ولا قالوا فلان (قد رشانى)

وألف منه قول شرف الدين بن عذن :

خبروها پاپنه (ما تصدی) لسلو' عنها ولو (مات صدأ)

وأيضاً بتقسيمه إلى جناس لفظي موكلاً ما سبق.

Sizing

نظمه السيد علي صدر الدين بن معصوم المذنب في بدعيته يقوله:

قدّری ابو حسین یا معنوی بهم ووھف حالی اینه حال بھیهم

وشرحه فقال :

« أردت علياً وحستاً أى قدرى عليَّ بهم ووصف حالى حسن ، فحصل جناسان دل عليهما كنایات الألفاظ الظاهرة أحدهما في صدر البيت وهو (علىٰ وعلىٰ) والثاني في عجزه وهو (حسن حسن) ^(١) .

وها هو ذا يعرف به في قوله : من أنواع الجناس الجناس المعنى وهو قسمان : تجنیس الإضمار ، وتجنیس إشارة .

فتحنیس الإضمار هو أن يضم المتكلم ركناً الجناس ويظهر في اللفظ ما يرادف أحد الركنتين ليدل على ما أضمره ، فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه إشارة لطيفة تدل على ذلك المضمر ، كقول أبى بكر بن عبدون وقد اصطبغ بخمرة وترك بعضها إلى الليل فصار خلا :

الا في سبيل الله كأس مدامه أتننا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام بن قيس اسمها الصبياء ، وقوله « كجسم الشنفرى بعد ثابت » أشار به إلى قول الشنفرى يرثى خاله تأبطة شراً وأسمه ثابت :

فاسقنيها أيا سواه بن عمرو إن جسمى من بعد خالى بخل
والفل : التحيف المهزول ، فصح معه جناسان مضمران في صدر البيت وعجزه .

الأول (صبياء وصبياء) والثاني (خل وخل) ^(٢) .

* * *

أما تجنیس الإشارة ويسعني أيضاً تجنیس الكناية فهو ما ذكر فيه أحد ركناً الجناس وأشار إلى الآخر بلفظ يدل عليه من صفة أو عكس أو تصحيف أو مرادف كقول الشاعر :

وتحت الواقع مقلوبها تدب على قرود خدُّ ندى

كتى عن العقارب بمقلوب الواقع ، ولا شك أن بين اللفظ المصرح به والمكتن عنده وهو المشار إليه تجانساً ^(٣) .

(١) أنوار الربيع ص ٢١٧ .

(٢) السابق نفسه ص ٢٠٩ .

(٣) السابق نفسه ص ٢١٩ .

وكتقول الآخر:

يا حمزه اسمع بوصل
في شرك اسمك أضحي
وامتن علينا بقرب
مسحه أوبقلبى

فقد ذكر أحد التجانسين وهو (حمزة) وأشار إلى الجناس فيه بـأي مصحفه في ثغره أي (خمره) وفي قلبه أي (جمرة)^(١).

يقول ابن معصوم : « وقل من ذكر هذا النوع (الجناس المعنوى بشقيه) وهو عزيز الوجود جداً ، وأكثر من ألف فى المعانى والبيان . أغلب ذكره ، قلم يذكره السكاكي فى مفتاحه ، ولا القرزوينى فى تلخيصه ولا إيضاحه ، ولا ابن رشيق فى العمدة ، ولا ابن أبي الأصيم فى تحريره على تحرره ، ولا ابن منقذ فى كتابه »^(٢) .

وأقول للسيد على : لم يذكروه لأنهم لم يكونوا من أصحاب البدعيات المتكلمين بالحسنات أولاً ، ولأنهم حرصوا على أن يظل العناس من وجوه التحسن اللفظي ثانياً .

والحق أن الجناس المعنى يغادر الدفاتر ليوشوш الشاعر بما لا يعرفه القارئ ولا السامع.

ومن تداعى المعانى أنشى ذكرت به ما عول عليه إلبوت فى الأداء الأدبى وسماه المعادل الموضوعى .

* * *

وأنبه إلى أن القزويني قد أعطى ثلاثة أسماء لأى تجنيس يلى فيه أحد المتجانسين الآخر
كتقوله تعالى : « وجئتكم من سبأ بنبا يقين » وكما جاء في الخبر « المؤمنون هيتون ليتون »
وكفولهم « من جد وجد ، ومن قرع باباً ولعج ولعج ». .
وكما سبق في الجناس المطرف من قول أبي تمام :
يمدون من أيد عواصم تصدول بأسيااف قواهى قواضيب
والأسماء الثلاثة هي :

(١) جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي الطبعة السادسة جـ ٣٢٦.

(٢) انوار الرئيس ص ٢٠٩ - ٢١٠

المزطوج - المكرر - المردود

ولأن هذه الأسماء متراداة فإن واحداً منها يكفي مصطلحاً للظاهرة البلاغية ، ولو كان الأمر لي ما رصدت الظاهرة ولا سميتها ، فالظاهرة عادية وثلاثة الأسماء المقترحة لها غير كافية .

* * *

وكان كل ما سبق من الجناس لم يكف ولم يشف ، ما هوذا الفزويني يلحق شيئاً به ، ولندعه هو يتكلم قال :

واعلم أنه يلحق بالجناس شيئاً :

أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاد^(١) كقول الله تعالى : « فَاقْرَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ الْقِيمِ » وقوله تعالى : « فَرُوحَ وَرِيحَانَ » وقول النبي ﷺ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقول الشافعى رضى الله عنه - أو غيره - وقد سئل عن النبيذ : « أجمع أهل الحرمين على تحريميه » وقول أبي تمام :

وأنجدتم من بعد إتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد
وقول البحترى :

يعشى عن المجد الغبى ولن ترى فس سعد أربا لغير أرباب
وقول محمد بن وهيب :

قسمت صروف الدهر بأساً ونانلاً فمالك متورد وسيفك واتر
والثانى:

أن يجمعهما المشابهة وهى ما يشبه الاشتقاد وليس به كقول الله تعالى : « اثأقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » وقوله تعالى : « قال : إني لعملكم من القالين » ، وقوله تعالى : « وجئني الجنتين دان » .

وقول البحترى :

وإذا ما رياح جودك هبت صار قول العذول فيك هباء^(٢)

* * *

(١) الاشتقاد هو توافق الكلمتين في الحرف الأصول مع الاتفاق في أصل المعنى .

(٢) الإيضاح ج ٦ ص ٩٩ - ١٠٠ .

انتوى الجناس بأسماه وتفرعياته ، ويتفرعيات تفريعاته وملحقاته عددها فوجدتها خمسة وعشرين لا يمارى عاقل فى أنها ترف وسرف ، لكنه ليس أمامنا ولا وراءنا سوى الجناس بسماحته القليلة وسماجته الكثيرة ، ومن رأى أن تستفسر عن الدراسة الأكاديمية السابقة بدراسة لاحقة نقتصر فيها على الجناس اللغظى ، ونقسمه إلى تام وغير تام فقط .

* ما توافرت في طرقه المواقفات الأربع وهى :

جنس الحروف ، وعدد الحروف ، وضبط الحروف ، وترتيب الحروف ، **فهو الجناس التاءم**.

بلا دخول في التفصيلات والتسميات .

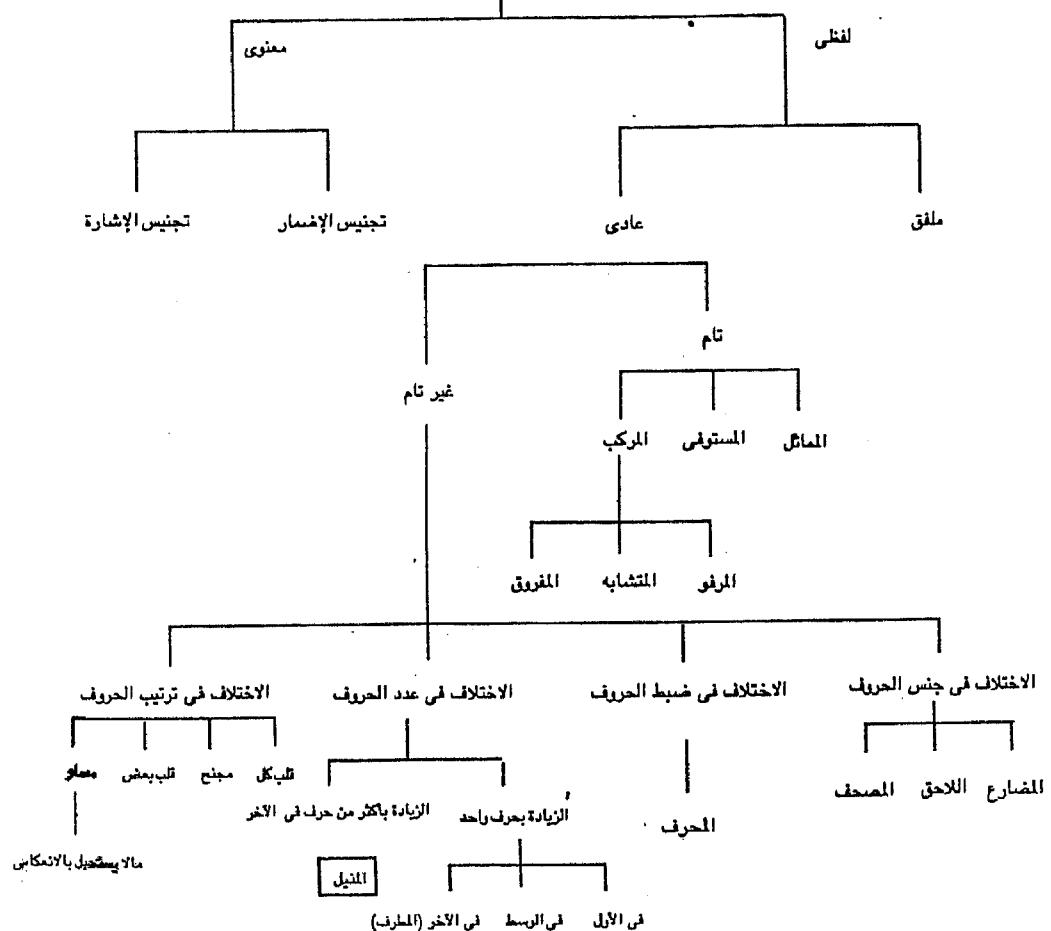
* وما تخلفت عن طرقه موافقة من المواقفات المتقدمة **فهو الجناس غير التاءم** دون دخول كذلك في التفصيلات والتسميات .

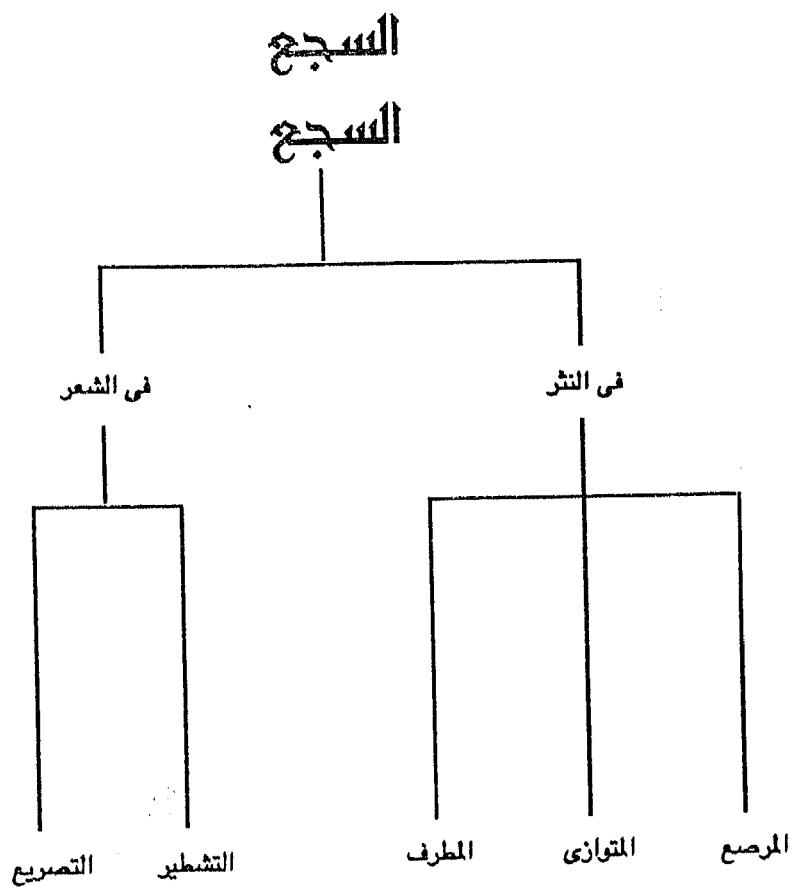
ويا حسرا على ما فرطت في جنب الراحة والإراحة^(١) .

(١) الإشارات والتبيهات من ٢٨٩ - ١٩١ ، والإيضاح ج ٦ ص ٩٠ - ١٠٠ وأنوار الريحى من ٢٠٨ - ٢١٩ وعلم البدىع للدكتور عتيق طبعة دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤ من ١٨٦ - ٢٠٥ وعلوم البلاغة العربية للمراغى من ٣٣٠ - ٣٣٤ ، وجواهر البلاغة من ٣٢٦ - ٣١٩ ، والتصوير البيانى للدكتور حفنى شرف من ٢٥٣ وأسرار البلاغة من ٢٥٣ - ٢٨٩ .

الجنس (رسمر تخطيطي).

الجناش





لنتفق من البدء على أن السجع محسن بديعى مجاله الأول النثر و مجاله الثاني الشعر ، هو قاسم مشترك بينهما لكنه في النثر أكثر منه في الشعر ، ومن الإنصاف القول بأن النثر أولى به من الشعر ، فقد ذهب الشعر بالوزن والقافية ، وهما موسيقى مزدوجة شقها الأول أفقى ممثلاً في الوزن وشقها الثاني رأسى ممثلاً في القافية .

ولنتفق من البدء على تحديد معانى الكلمات التى سيجري القلم بها هنا كثيراً وهى القرينة ، الفاصلة ، السجع .

والأمر سهل :

فالقرينة : قطعة من الكلام - جملة أو فقرة - جعلت مزاجة لأخرى أى مقارنة لها ، ولعله من هنا جاء اسمها .

والمائلة هي الكلمة الأخيرة في القرينة .

أما السجع فقد عرفه القزويني بأنه تواطق الفاصلتين من النثر على حرف واحد . وهو تعريف غير دقيق ، لأنه لم يحدد الحرف الذي تواطأ الفاصلتان عليه ، وأحسن منه أن نقول : هو وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين .

عبارة (من النثر) في تعريف القزويني هي التي جعلته يقول في إثره (وهذا معنى قول السكاكي : « الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر » .

فقد فهم القزويني كما فهم غيره تبعاً له من عبارة السكاكي أنه أى السكاكي يقصر السجع على النثر .

أما أنا فأرى أن السكاكي قد قصد بعبارته إحضار السجع إلى الذهن من أقصر الطرق وأيسراً ، ولم يقصد حبس السجع في قمم النثر .

لكلئه سائل : ألا تعرفون القوافي ؟

ولكلئه أجيب : بلى نعرفها .

فعقب : الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر .

تعريف بالتنظير ، أو تشبيه غرضه بيان المشبه وهو السجع .

مع السجع في النثر

للسجع في النثر ثلاثة أضرب :

١ - الترصيع أو المرصع .

٢ - المتوازي .

٣ - المطرف .

المُرْسَخ

وهو يتحقق إذا كان ما في إحدى القراءتين من الألفاظ أو أكلوا ما فيها مثل ما يقابلها من الأخرى في الوزن والتفظة .

فمن الأول :

قول الحريرى : « فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بنواجر وعظمه » .

وقول أبي الفضل الهمذانى : « إن بعد الكدر صفوأ وبعد المطر صحوأ » .

وقول أبي الفتح البستى : « ليكن إقدامك توكلاؤ وإحجامك تأملاً » .

وقول الحكيم : « من أطاع غضبه أضاع أدبه » .

ومن الثاني :

قول الله تعالى : « إن الإبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم » .

وقوله تعالى : « إن إلينا إيتاهم ، ثم إن علينا حسابهم » .

وقول ابن نباتة : « أيها الناس ، أسيموا القلوب في رياض الحكم » .

وأديموا النحيب على بياض اللumen ، وأجلعوا الأنكار في انحراف الأم » .

ولأنما سمي هذا النوع الترصيع أو المرصع « تشبيهاً له يجعل إحدى اللؤلؤتين في العقد في مقابلة الأخرى منها » (١) .

٢

المتوازى

والمتوازى هو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزناً وتفظة .

كقول الله تعالى : « فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة » .

(١) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٩٦ .

وَكَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَاكَ فِي نَحْرِهِمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ » وَكَذَلِكَ حَصَلَ النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ وَهَلَكَ الْجَاسِدُ وَالشَّامِتُ .

* * *

والفرق بين المرصع والمتوازى أن التوافق فى المرصع قد تحقق فى كل القرينتين أو أكثرهما كما رأينا ، أما هنا فقد اقتصر التوافق على الفاصلتين ، والشرط أن يتم فيما وزناً وتقفيه أى معاً ، أما فى غيرهما فلا يشترط أى منهما ، لكن قد توجد فى القرينتين كلمات قليلة متواقة مع مثيلاتها وزناً أو تقفيه .

ولاقتصر التوافق فى المتوازى على الفاصلتين وزناً وتقفيه وعدم اشتراطه فيما قبلهما - كله أو أكثره كالمرصع - كانت مرتبة المتوازى من الناحية البديعية تالية للمرصع .

٣

المطرفة

وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان تقفيه لا وزناً كقوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقتم أطواراً » وقوله تعالى : « والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفاً » واضح أن التوافق فى المطرفة قد تقلص حتى اقتصر على روى القرينة وهو الحرف الأخير من فاصلتها ، فلا غرابة - وهذا حاله - أن تكون رتبته البديعية بعد أخيه : المرصع والمتوازى . يقول المغربي : « وإنما سمي مطرفة ، لأنها خارج فى التوغل فى الحسن إلى الطرف بخلاف غيره ، أو لأن ما وقع به التوافق وهو الاتحاد بين الفاصلتين إنما هو الطرف وهو الحرف الأخير دون ما يعم وهو الوزن » ^(١) .

والتعليقان صحيحان وهما لذلك واردان .

صح السجع في الشعر

سبق القول بأن السجع قد بسط جناحيه على النثر والشعر .

ومن أمثلته فى الشعر على وجه العموم قول الخنساء فى أخيها صخر :

(١) مواهب الفتاح ج ٣ ص ٩٥

حامي الحقيقة محمود الطريقة مهـ
جواب قاصية جازان ناصية
دار عقاد الولية الجيش جرار

وقول مروان بن أبي حفصة :

فِمْ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصْبَابُهَا وَإِنْ دُعَا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وقول أبي تمام :

تحلیل یه رشدی و آثوت به یدی وفاضن به شمدی و اوردی به زندی^(۱)

وقول أبي فراس :

وأفعالنا للراغبين كريمة وأموالنا للطالبيين نهاب

وقول المتنبي :

فحنن في حذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل

ومن أكمله قول الشاعر :

وِكَارِمٌ أَوْلَيْتُهَا مَقْتُورًا، وَجَرَائِمُ الْفَقِيتِهَا مَتَبْرِعًا

هذه الأمثلة وغيرها تعطي حكماً قاطعاً بوجود السجع في الشعر لا بقلة بل بكثرة : وأنه من السهل التمثيل بالشعر لضروب السجع في النثر ، لكن البلاغيين قد وقفوا مما في الشعر من السحر عند توعين اثنين سموهما :

التشطير والتغذية:

أنا الشاعر:

فهو أن يجعل كل من شطري البيت سجدة مخالفة لاختها كقول أبي تمام:

تدبر مختصم بالله منقذ له مرتب في الله مرتفع

فالشطر الأول كما نرى سجعة مبنية على قافية الميم ، والشطر الثاني سجعة مبنية على
ياء الباء .

(١) الثد : القليل . في كلام العرب : « لو كتتم ماءً لنكتتم ثداً » أي ثلياً . ومن المجاز : أصيب الرجل
مثومداً : فتن، ماء صلبه والنسماء ثمنه .

وكتب أبى تمام فى ذلك قولى البوصيري :

كالزهر فى ترق والبدار فى شرفه والبحر فى كرم والدهر فى هم

وقول ابن جابر الاندلسى والشاهد هو البيت الثاني :

يا أهل طيبة فى مفناكم قمر يهدى إلى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم واللبيث فى حرم والبدار فى أفق والزهر فى خلق

وقول صفى الدين الحلى :

بكل منتصر للفتح منتظر وكل مفترم بالحق ملتزم

* * *

بقى سر التسعة .

وعندى أن هذا الضرب من السجع إنما سمى التشطير لأنه يشطر شطر البيت وبه يصير
البيت أربعة أشطرين بعد أن كان شطرين .

في أساس البلاغة : شطرت الشئ أى جعلته شطرين ، وولادة شطرة نصف ذكور ونصف
إناث وإناء شطران أى نصفان (١) .

وأما التصریح :

فما خوذ من مصراعي الباب .

وهو جعل العروض مقفأة تقنية الضرب ، لكنه لا يستحسن إلا فى المطالع تميزاً لها عن
غيرها ، ول يعرف منذ الشطر الأول روى القصيدة وقافيةها .

واستجابة لهذين المحظيين الفنيين صرعت مطالع المعلقات ومطالع الكثير من القصائد
الجيدة .

* * *

ومن المشرع مطلعاً وغير مطلع قول أبى تمام :

الم يأن أن ترى الظماء الموانم وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

(١) أساس البلاغة ص ٢٣٥

وقوله :

بأطراف المثقفة العوالى تفردنا بأوساط المعالى

وقول المتنى :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فمسيح قال شعراً متيم

وقوله :

رأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى

قالوا : وأكثر من كان يستعمل التصريح فى شعره من القدماء أمرق القيس ، فيبعد مجىئه
به فى مطلع معلقته :

قطانيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقوط اللوى بين الدخول فحومل

^{أثنى به} فى أثنائها فقال :

آفاطم مهلاً بعض هذا التدليل وإن كنت قد أزمعت هجرى هاجملى

^{ثم قال} :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل يصبح وما الإصباح منك يامثل

ذلك صرخ أول قصيده :

ألا عم صباها أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الحالى

ثم قال فى أثنائها :

ديار لسلامى عافيات بذى الحال ألاع عليهما كل اسحمر هطال

ثم قال بعد أبيات :

ألا إننى بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

لكن علماء البلاغة فضلوا أن يقتصر الشاعر فى التصريح على مطلع القصيدة للسبعين
السابقين ولئلا ينسب إلى التكلف .

وإذن فقول أبي تمام :

وتقفو لى الجدى بجدوى وإنما يررقك بيت الشعر حين يصرع ليس على إملاقه .

* * *

ونختم التصريح بما ختمه به القزويني قال : وهو مما استحسن ، حتى أن أكثر الشعر صرخ البيت الأول منه ، ولذلك متى خالفت العروض الضرب فى الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعاً كقول أمرى القبس :

ألا عم هبهاها أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان في العصر الفالى
أتنى بعروض الطويل (مقاعيلن) ، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً ، ولهذا خطئ
أبو الطيب فى قوله :

تذکرہ علم و منطقہ حکم و باطنیہ دین و ظاہرہ ظرف^(۱)

* * *

وتنبيه هام هو أن الأصل في الفواصل أن تكون ساقنة الواخر بالوقف عليها ، لأن الغرض أن ينماج بينها ، ولا يتم ذلك في بعض صور السجع إلا بالوقف .

الآن ترى أنك لو وصلت قولهم « ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت » لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخرها ويفوت السجع .

وإذا كانوا يترخصون من أجل المزاجة في تصريف اللغة فيقولون «الغدايا والعشايا» بدلاً عن (الفنون) لـ مزاجة العشايا .

ويقول النبي ﷺ في تهذيه لابن بنته : « أعيذه من الهمة والسامة والعين اللامة » وأصلها اللامة ، لأنها من ألم فعبر عنها باللامة كي توافق ما قبلها .

ويقول للنساء : « انصرفن مازقات غير مأجورات » والأصل موزرات أخذًا من الوزر ، لكنه عدل عن ذلك لمكان مأجورات .

أقول : إذا كانوا يترخصون في ذلك كله ويغفرون ذلك كله من أجل تحقيق المزاوجة ، فلأنّ يغفروا الوقف لاكتساب حسن ارتداج السجع أولى وأحرى ، وعلى حد قول القزويني : « فما ظنك بهم في ذلك ؟ »

(١) الإيضاح ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣.

أى وهو أيسر وأسهل .

والسجع من حيث الطول والقصر لا يخرج عن أن يكون :

(ا) **قصيرًا** : كقول الله تعالى : « والمرسلات عرفاً . فال العاصفات عصفاً » .

(ب) **طويلاً** :

كقول الله تعالى : « إذ يريكم الله في منامك قليلاً ، ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنان عنتم في الأمر ، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، وإن يريكمونه إذ التقييم في أعينكم قليلاً وينقل لكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » .

(ج) **متواسطاً** :

كقول الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

* * *

وأحسن ما تساوت قرائته كقول الله تعالى : « في سدر مخصوص ، وطلع منضود : وظل ممدود » .

ثم ما طالت قرينته الثانية . كقوله سبحانه : « والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى » .

ثم ما طالت قرينته الثالثة . كقوله تعالى : « خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه » وقول أبي الفضل الميكالي : « له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع ، والعرض المصنون والمآل المضاع » .

وقد اجتمعوا في قوله تعالى : « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

* * *

ولا يحسن أن تكون القراءة الثانية أقصر من الأولى كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أmode من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيراً يكون كالشئ المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها ، والنون يشهد بذلك ويقضي بصحته .

* * *

ومن السجع في القرآن الكريم نقرر أنه لا خلاف في وجوده فيه وكثرة به وإنما الخلاف في تسميتها .

في بعض البلاغيين - كالباقلانى وابن الأثير - يخرج من تسمية ما في القرآن منه باسم السجع ، ويسميها (فواصل) ، تعظيماً للقرآن عن اسم السجع إذ السجع في الأصل هديل الحمام والحمام حيوان أعمى ، وتزييها له عن نفمات الكهنة ، وأجدنى غير مقتضى بالأمررين كلديهما ، فكلمة (سجع) لا غبار عليها ، وتسمية ما في القرآن الكريم مما يندرج تحت مفهومها البلاغى باسم السجع إنما هي تسمية اصطلاحية شأنها شأن غيرها من المصطلحات البلاغية الأخرى بدئعية كانت أو غير بدئعية .

ثروط جوهرة السجع :

ولجودة السجع شروط منها :

١ - اختلاف قرينته في المعنى .

فقول ابن عباد في مهزومين : « طاروا واقين بظاهرهم صدورهم ، وبأصافيهم نحورهم » تكرار بلا فائدة .

٢ - أن يأتي عقوباً غير مقصود ولا متتكلف .

والمعيار في ذلك أن يكتشفه صاحبه عند مراجعة ما قال أو كتب .

٣ - أن يراعى في نسقه ما قلناه عن مساواة القرآن وعن طولها وقصرها .

الموازنة والمماثلة

الموازنة هي تساوى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين أو المتراعتين في الوزن دون التقافية (عكس المطرف) .

فقول الله تعالى : « ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبسوطة » .

الباء تاء التائيث والفاء غير الشاء ، وإذا كانت التقافية قد تختلف في (مصفوفة) و (مبسوطة) فإن الوزن قد تحقق فيما و تلك هي الموازنة .

وكالآية السابقة قوله تعالى : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكثرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ، ألم تر أنها أرسلنا الشياطين على الكافرين توزعهم أزوا ، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا » .

والموازنة هنا بين (عزاً وضداً) ثم بين (أزواً وعداً) فقد جاء كل زوج على وزن واحد، وتختلف التقوية.

ومعظم آيات القرآن الكريم جارية على هذا النهج حتى أنه لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة.

ومن أمثلة الموازنة شعراً قول ربيعة بن ذؤابة :

بعتيبة بن العارث بن شهاب
إن يقتلكوك فقد ثللت عروشم
بأشدهم بأساً على أصحابه وأعزهم فقداً على الأصحاب
(بأساً) و (فقداً) في البيت الثاني ، اتفقا وزناً لا تقوية .

وقول الآخر :

هو الشمس قدرًا والملوك كواكب هو البحر جودًا والكرام جداول
ف (جدائل) على وزن (كواكب) دون روتها .
تلك كانت الموازنة .

أما المماطلة فتحتتحقق إذا كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها ممثل ما يقابلها من الأخرى في الوزن وحده .

فالأول : كقوله تعالى : « وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ »
وكل قول البحترى يمدح الفتح بن خاقان وينذكر مبارزته للأسد :

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً
والثانى كقول أبي تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
فالموازنة تامة بين كل لفظة وما يقابلها في المصراعين عدا اللفظين (هاتا) و (تلك) .

لزوم مالا يلزم

وقد أورد الجرجاني اعتراضاً وجيباً على هذه التسمية ، والاعتراض هو أن في « لزوم
مالا يلزم » تناقضاً؛ إذ كيف يكون مالا يلزم لازماً؟!

وإذا كان قد ردَّ على الاعتراض بقوله : إنه لا يلزم من حيث القافية ، ويلزم اطرافه بعد
الالتزام به .

فإني أرى أن الرد لم يدفع الاعتراض بعد ، فمنذ البدء من ألم الذهن الأديب بما لا يلزم ؟
بالطبع لم يلزم أحد ، وإنما هو الذي ألم نفسه ، أو كما قال ابن المعتز : هو الذي أنت
نفسه .

ثم إن المصطلح الخاص بظاهرة أدبية أو فنية أو علمية يجب أن يشملها من أولها إلى
آخرها ، ولا يصح أن يقتصر عليها في بعض مراحلها .

فلنسلم لصاحب الاعتراض اعتراضه ، ولننافق على ما اقترحه وهو (الالتزام مالا يلزم)
فهذا المصطلح أصدق من « لزوم مالا يلزم » وأدق منه ، لأنه هو الاسم الحقيقي للظاهرة التي
نحن بصددها . وهو الاسم الحقيقي لها ، لأنه يدل عليها منذ تخلقها وفي جميع مراحلها .

* * *

ومن التسمية إلى المسمى .

قال القرزييني : هو أن يجيء قبل حرف الروى وما في معناه من الفاصلة ما ليس باللازم
في مذهب السجع » ^(١) .

وقوله تعالى « فإذا هم يتصرون ، وإخوانهم يتدونهم في الف ثم لا يتصرون » .

وقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق » .

وقوله تعالى : « فلا أقسم بالخنس ، الجواري الكنس » .

وقوله تعالى : « والليل وما وسق ، والقر إدا اتسق » .

وقوله تعالى : « قال قرينه ربنا ما أطفيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال : لا تختصوا
لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد » .

وكل قول الحريري : « ملت في ريق زمانى الذى غير إلى مجاورة أهل الوير لأخذ أخذ
نقوسهم الأبية ، وألسنتهم العربية ، فلقطوني أمنع جناب ، وقلوا عنى حد كل ناب » ^(٢) .

* * *

ومنه شعراً قول رافع بن هريم اليربوعي :

فإلا تحامونى تصبكم بعزة
نضارة وجهى مخفياً باصفاريا
فسرى كلامانى وتلك سجيتى

إذا حصار لوتى كل لون وبذلت
فخرى كلامانى وتلك سجيتى

(١) الإيضاح ج ٦ من ١١٦ .

(٢) مقامات الحريري - المقامات الويرية من ١٩٦ وانظر « علم البديع » للدكتور عتيق من ٢٢٤ .

وقول عروة بن أذينة :

خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بلياقة فاذقهما وأجلها
ما كان أكثرها لنا وأقلها
شفع الفسیر إلى الفؤاد فسلها

إن التي زعمت فؤادك ملها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
حجبت تحيتها فقللت لصاحبها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة

وقول شاعر قديم :

أمرت ومن يعصي المجرب يندم
أرى عارضاً ينهل بالموت والدم

عصانى قومى والرشاد الذى به
فصبراً بنى بكر على الموت إنى

وقول آخر :

وفى الخمر والماء الذى غير أحسن
ففى وجه من تهوى جميع المحسن

يقولون فى البستان للعين لذة
إذا شئت أن تلقى المحسن كلها

وقد يكن الالتزام فى غير الفاصلتين أيضاً كقول الحريرى :

« ما اشتار العسل من اختار الكسل » .

والشاهد هو الالتزام حرف التاء والألف فى كلمتى (اشتار) و(اختار) ^(١).

* * *

وبالاستقراء علم أن (ملا يلتزم) أحد أمور ثلاثة من :

(١) حرف وجملة معاً كما فى قول الله تعالى : « فاما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنتهز » .

وكقول عبد الله بن الزبير - بفتح الزاي - فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان :

سأشكر عمراً إن تراخت مني
أيادي لم تمنن وإن هي جلست
فتى غير محجوب الفنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها
فكانـتـ قـذـىـ عـينـيـ هـتـىـ تـجـلتـ

(١) الإيضاح ج ٦ ص ١١٦ - ١١٧ والبدائع لابن المعتز ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) حرف فقط هو الميم في (القمر) و (مستمر) من قول الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

(٣) حركة فقط كقول ابن الرومي :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
ولأسع مما كان فيها وإنها
إلا فما يبكيه منها وإنها

يقول الأستاذ المراغي :

« والمراد أن يكن ذلك في بيتين أو أكثر أو فاصلتين أو أكثر ، إلا ففي كل بيت أو فاصلة يجيء قبل الروى أو ما في معناه مالبس بلازم في السجع كقول أمي القيس :
تفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقوط اللوى بين الدخول فحومل
« فمجىء ميم مفتوحة قبل حرف الروى ليس بلازم في السجع » (*)
وهي ملاحظة صائبة ودقيقة .

* * *

ولما كان مناط البلاغة في السجع .

ما فيه من موسيقى تسرع به إلى أذن متلقيه وتستبقيه في ذاكرته . فإن مناط البلاغة في التزام مالا يلزم إنما هو الاستزادة من هذا المحسن وصولاً به إلى درجة عالية في السلم الموسيقي . والله أعلم .

التشريع

التشريع هو بناء البيت على قافية ، ويصبح المعنى إذا وقفت على كل واحدة منها وسبل ذلك أن يبني الشاعر أبيات قصيدة على وزنين وقافيتين ، فإذا وقفت على القافية الأولى كان البيت مستقيماً ، وإذا أضفت ما بني عليه شعره من القافية الثانية كان كذلك مستقيماً ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، وقد سمي التشريع لذلك (التشييع) كما سمي (التوأم) .

(١) علوم البلاغة من ٣٤٠ هامش رقم (٢) .

هو محسن شعرى إذن ، وإذا أمكن أن يأتي فى النثر المسجوع فإنه يكون متكفأ سمجاً.

وقد مارس الحريرى التشريع فى قصيدة له منها :

يا خاطب الدنيا الدنيا إنها
شرك الردى وقراره الأكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها

والقصيدة كما نرى رائبة القافية ومن وزن الكامل التام ، فإذا أسلقنا تفعيلتين صار
البيتان من مجزوء الكامل وصارت الدال هي القافية هكذا :

يا خاطب الدنيا الدنيا
شرك الردى
دار متى ما أضحكت

وقبل الحريرى قال الأخطل :

إذا الرياح مع العشى تناوحت
موج الرمال تكبهن شمالة
الفيتنا نقرى العبيط لضيفنا
قبل العيال وقتل الأبطال^(١)

البيتان من وزن الكامل التام ، والقافية اللام ، وباستقطاب تفعيلتين يتحول البيتان إلى وزن آخر هو مجزوء الكامل ، وإلى قافية أخرى هي لام (الرمال) و (العيال) هكذا :

إذا الرياح مع العشى
تناولت موج الرمال
الفيتنا نقرى العبيط
لط لضيفنا قبل العيال

وأكثر البحور قبولاً للتشريع هو الرجز الذى يتالف من (مستفعلن) ست مرات .
فإنه قد جاء (تاما) (ومجزوءاً) و (مشطوا) و (منهوكاً) . بأربع قواف .
وهذا الشعر لمحمد بن جابر الأندلسى خير شاهد على ذلك قال :

يرنو بطرف فاتر مهمما رنا
 فهو المنى لا أنتهى عن حبه
يهشو بفحسن ناضر حلو الجنى
يشفى الضنى لا صبر لي عن قربه
لوكان يوماً زائرى زال العنا
يحلو لنا فى الصب أن نسمى به

(١) العبيط : الذبح ، قال : اعتبظ الإبل والفنم إذا ذبحها لغير داء ، ونقرى العبيط لضيفنا أى نحسن إلى ضيفنا ونقدم له من طعامنا خير ما نذبح من إيلنا ونخمنا المبرأة من الآثار .

الأبيات من الرجز التام وها هي الأبيات التي أسلقنا تفعيلتين من آخر كل بيت صارت من مجرى الرجز والقافية النون هكذا :

مهما رنا فهو المني حلو الجنى يشفى الفتنى زال العنا يحلولنا	يرنو بطرف قاتر يهف وبغضن ناضر لوكان يوماً زائرى
--	---

وإذا ثنينا وأسقطنا تفعيلة أخرى من آخر كل بيت صارت الأبيات من مشطور الرجز
والقافية التون أيضاً هكذا :

يرنسوا بطرف فاتر مهمارنا
يهفو يقمن ناضر حلو الجنى
لو كان يوماً زائرى زال العنا

ولذا ثبتنا وأسقطنا تفعيلة من المشطور السابق حصار الشعر من منهوك الرجز والقافية
الرأي هكذا :

یزد و برف فاتر
یهود بغض ناضر
لسوکان یوم ازادی

هذا هو التشريع ، ورأيis فيه ليس لمصلحته ، إنه حافظة مثقوبة ، تهزها فتسقط منها تعديلاتان ، وتهزها ثانية فتسقط تعديلة ثلاثة ، وتهزها ثالثة فتسقط تعديلة رابعة حتى لينهك الشعر ولا تبقى منه إلا تعديلات من ست تعديلات ، ولما كان المعنى ابن المبني فإن التشريع يعكس قدرة الشاعر على الصنعة أكثر مما يعكس قدرته على الشعر وليس من شك في أنه لا مصلحة للشاعر ولا للشعر في (تشريع) يحدد الشعر ، وهو لا يتعدد إلا لأنه مفكرة من أول الأمر .

رَدُّ الْمُسْكِنِ عَلَى الْمُجْزَى

يأتي هذا المحسن في النثر وفي الشعر:

فى النثر يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتاجنسين أو الملحقين بالمتاجنسين عن طريق الاشتلاق أو عن طريق شبه الاشتلاق .

نقول : يجعل أحد اللفظين مما مر في أول الجملة والأخر في آخرها هكذا
المكرر لأن : « وتشتت الناس والله أحق أن تخشاه » .

المتجانسان : « سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل » .

الملحقان بالتجانسين اشتقاقة : « استغروا ربكم إنه كان غفارا » .

الملحقان بالتجانسين شبه اشتقاقة : « قال : إنني لعلمكم من القالين » .

وفي الشعر بأن يجعل اللفظان المكردان أو التجانسان أو الملحقان بالتجانسين اشتقاقة أو شبه اشتقاقة على الوجه الآتي :

يأخذ أحدهما موقعا ثابتا لا يتغير وهو آخر البيت .

ويتردّد الآخر بين أن يكون :

أول المصراع الأول .

حشو المصراع الأول .

آخر المصراع الأول .

أول المصراع الثاني .

أربعة موقع يتعاقب عليها أربعة أنواع من الألفاظ .

والمحصلة ستة عشر نموذجا هي :

(١) المكرر :

وأمسون شئ عنستنا ما تمنست
فما بعد العشية من عرار
فصارلت بالبيض الكواكب مفرما
قليلولا فباتسي نافسنج لسى قليلسا

(١) تمنت سليمى أن أمشوت صبابة

(٢) تمنع من شعيم عرار نجد

(٣) ومن كان بالبيض الكواكب مفرما

(٤) وإن لم يكزن إلا متصدر سعادته

(بـ) المتجانسات :

- (١) ذوائب سود كالعناقيد أرسلت فمن أجلها منها النقوس ذوائب (ذوائب) الأولى جمع نواة وهي أعلى شعر الرأس ، و (ذوائب) الثانية : جمع ذاتبة : اسم فاعل من ذاب .
- (٢) لا كان إنسان تيم قاصداً صيد لها فاصطاده إنسانها (إنسان) الأولى هو ابن آدم والمقصود به هنا الشاعر نفسه أما (إنسانها) فهو إنسان عين مهاته أى حبيبه .
- (٣) فمشغوف بأيات الثنائي ومحظون بربات الثنائي (ال الثنائي) الأولى (القرآن الكريم) و (ال الثنائي) الثانية (المزامير) .
- (٤) أملته ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح (فلاح) الأولى معناه بدا وظاهر ، و (فلاح) الثانية معناها النفع والنجاح .
- (جـ) الملحاق بالمتجانسين للاشتقاق .**

- (١) ضرائب أبدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبها (الضرائب . السجايا والطباخ ، والضريب : التد . وأصلهما واحد هو مادة ضرب .
- (٢) إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
- (٣) فدع الوعيد فما وعیدك ضائرك أطنين أجنحة الذباب يضيير (ضائرك) و (ضيير) يجمعهما أصل واحد هو مادة (ض . ض . ر .)
- (٤) وقد كانت البيض القواصب في الوضي بواتر فهسى الآن من بعده بتسر (بوتسر) و (بتسر) من مادة واحدة هي (ب . ت . ر .)

* * *

(٦) الملحق بالتجانسين لشبه الاستيقاقي.

(١) ولا يلحن على جرى العنان إلى ملهى فسحقاً له من لائح لاح (لاح) في أول البيت فعل ماض معناه ظهر، و (لاح) في آخر البيت اسم فاعل من لاه بمعنى لامه: فيما بينهما من تجانس لفظي هو شبه الاستيقاقي.

(٢) لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعدب يهجر للإفراط في الخمر (اختصر) الأول فعل ماض بمعنى قلل، و (الخمر) في آخر البيت اسم بمعنى البوادة، فاللفظان متجانسان لفظاً مختلفان معنى، وتتجانسهما اللفظي مرجعه شبه الاستيقاقي.

(٣) ومضطليع بتلخيص المعانى ومطلع إلى تخليص عان (المعانى) جمع معنى و (عان) أسيير، اسم فاعل من عنا يعني فيما بينهما شبه الاستيقاقي.

(٤) تخمد الحرب حين تقدم بأساً وتسيل الدماء حين تسل (تسيل) من سال الماء في مسبيله ومساييه: جرى، و (تسل) من سل السيف من غمده بمعنى انتضاه.

فاللفظان متجانسان لفظاً مختلفان معنى، وما بينهما هو شبه الاستيقاقي.

انتهت نماذج رد العجز على الصدر في الشعر.

وبعضهم يسميه (التصدير)، والتصدير مقتصر على الصدر.

أما (رد العجز على الصدر) فمشتمل على الصدر والعجز أولاً وهو نص في رد العجز على الصدر ثانياً، وعندى أن تسمية هذا المحسن لا تتماشى مع ما نترس به فيه، وما هو الواقع من أمره، وما نترس به فيه إنما هو رد الصدر على العجز وليس رد العجز على الصدر فلنسمه [رد الصدر على العجز] أو [إلحاق الصدر بالعجز].

فالعجز ثابت ومستقر في آخر البيت لأنه قافية.

أما الصدر الذي ترده عليه ونلحقه به فهو غير الثابت وغير المستقر، نصادفه في أول البيت، ونصادفه بعد أول البيت وقبل نهاية شطره الأول ونصادفه في نهاية هذا الشطر

وأخيراً نصادفه في أول الشطر الثاني ولا يشوش على ما نقوله ما تختمله مادة (ردد) من رجوع إلى الخلف فمن معاناتها التردد بين شيئاً وشيئاً نقول : يحلق الطائر بين السماء والأرض أى يتحرك في اتجاههما ويتردد بينهما . في أساس البلاغة تردد في الإجابة : تغثر لسانه وهو يتزداد بالغموض إلى مجالس العلم : يختلف إليها (ذهاباً وإياباً والذهاب قبل) وهذا أمر لا راده فيه أى لا فائدة (والفائدة بعده) وما تقدم معناه أنه لا يلزم في الرد اتجاه محدد . وعن سر بلاغته فإنما هو الرابط بين طرقه وهما (الصدر والعجز) .

المشاكلة

المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، أى مجئه معه وأمن اللبس معول فيه على معنول اللفظ الذي تمت المشاكلة به ، أو على عامله .

الأول :

كقول أحمد الانطاكي وقد دعاه أصحابه إلى الصبور في يوم بارد : وأغروه بأنهم سيجيرون طبع ما يريد أكله ، لكن حاجته إلى الثياب كانت أشد من حاجته إلى الطعام فكتب إليهم :

أصحابنا قدروا الصبور بسحرة وأتقى رسولهم إلى خصوصا
قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا
أقام (اطبخوا) مقام (خيطوا) لدلالة المعنى وهو (جبة وقميصا) عليه قدراً إلى
المشاكلة بين ما يخاطر وما يطبع .

وكقول أبي تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنىت الجار قبل المنزل
فالجار لا يبني بل ينتقى ، وإنما عبر عن انتقاءه بينائه قدراً إلى المشاكلة بين اختيار
الجار وبيناء الدار .

وكقول الصاحب بن عباد على لسان من رد القاضى شهادته ببرؤية هلال شوال :

أم تراه يتعامى	أترى القاضى أعمى
عید أموال اليتامى	سرق العيد كان الـ

عدل عن (أخفي) أو نحوها إلى (سرق) لتشاكل أموال اليتامي .
والقرينة لفظية هي مجىء العيد مفعولاً به للفظ المشاكلة (سرق) .

والثانية:

كقول الله تعالى : « تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك » .
أقام (ما في نفسك) مقام (ما عندك أو ما في عملك) ، لتشاكل (ما في نفسك)
والقرينة العاملان (تعلم) ، (ولا أعلم) .
وقوله تعالى : « وجراة سيئة سيئة مثلها » .
أقام (سيئة) الثانية مقام (عقوبة) لتشاكل (سيئة) الأولى .
والمشاكلة نوعان :

تحقيقية: كالأمثلة السابقة .

وتقديرية: كما حكى أن بعض الولاة كان يغرس غرساً حول مسجد فوقه عليه من
أنشدته :

إن الولاية لا تدوم لواحد إن كنت تنكره فain الأول
واغرس من الفعل الجميل غرائساً فإذا عزلت فلنها لا تعزل
أقام (اغرس) مقام (اصنع) ليشاكل فعل الأمير ، ولما كان فعل الأمير وهو الغرس
عملأً لا قوله كانت القرينة حالية ، لا لفظية .

وكقول الله تعالى : « صيحة الله » أراد تطهير الله بالإيمان ، فاقام الصيغة مقام
التطهير ، ليشاكل صيغة النصارى ، فانهم كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه
المعمودية تطهيراً لهم ، والقرينة حالية هي سبب نزول الآيات ١٣٦ - ١٣٨ من سورة
البقرة ^(١) .

والفرق بين نوعي المشاكلة من وجهين :

(١) أن التحقيقية يقع فيها لفظ المشاكلة على ما لا يصح أن يقع عليه حقيقة .
أما التقديرية فإن لفظ المشاكلة يجيء فيها على حقيقته ، ويقع على ما يصح وقوعه
عليه ، لكننا نقدر بلفظ آخر مشاكل لمراد المتكلم .

(١) الإشارات والتبييات من ٢٦٧ - ٢٦٨ ، والإيضاح ج ٦ ص ٢٧ - ٣٠ .

(٢) أن قرينة التحقيقية لفظية ، وقرينة التقديرية حالية .

* * *

انتهت المشكلة .

وقد وجدتني غير راض عن وجودها في علم البديع بعامة ، وفي وجوه التحسين المعنوي منه بخاصة ، ورأيت أنها أسلوب بياني ، مجاز لغوى علاقته المشابهة ، فإن كان ذلك فيها ، وإلا فهى بالمعنى اللغوى لها محسن لفظى .

ومن أنها أسلوب بياني أقول :

تردد الكلمة التي تتحقق بها المشكلة بين أن تكون استعارة تصريحية أو مكتنية .

تصريحيه : بأن نشبه الخياطة بالطيخ فى أن كلامهما لازم للإنسان ومن حاجاته الضرورية ثم نحذف المشبه ، ونصرح بالمشبه به فى مكانه على سبيل الاستعارة التصريحية .

وبأن نشبه اختيار الجار بينائه ، وإخفاء رؤية هايل العيد بسرقة العيد .

ومكتنية : بأن نشبه الثياب بالطعام ، ثم نحذف المشبه به بعد استبقاء شيء من لوازمه نكتى عنه به ونضيفه إلى المشبه المذكور فى الكلام .

وبأن نشبه الجار بالمنزل فى الإيناس به ومصاحبه ثم نحذف المشبه به بعد أن نأخذ شيئاً من خواصه ونقسنه إلى المشبه المذكور فى الكلام .

وبأن نشبه العيد بأموال اليتامي فى أن كلامهما يمكن أن يستر وينكر ، ثم نحذف أموال اليتامي بعد أن نأخذ شيئاً مما يمكن أن يقع لها وهو سرقتها ونحكم به على المشبه المذكور فى الكلام .

وهكذا وهكذا ...

ولما كان التعبير فى المشكلة مجازاً لغوىًّا علاقته المشابهة ، فإن مكانه الطبيعي فى الدرس البلاغى علم البيان لا علم البديع .

وحا هو ذا محمد الجرجانى يختم كلامه عن المشكلة بقوله : « والباب كله استعارة ،

لقصد المشاكلة لا للمبالغة ، ولذلك ليست من مسائل علم البيان » (١) .

ونقول للجرجاني : أصبت وأخطأت وتناقضت .

أصبت في أن باب المشاكلة كله استعارة .

وأخطأت في إخراجها من علم البيان .

وتناقضت في الكلام بأنها استعارة ، وبأنها ليست من مسائل علم البيان ولا يشفع لك أن القصد هنا المشاكلة لا المبالغة ، فالكلام - بعيداً عن قصد المتكلم - مجاز لغوي علاقته المشابهة ، ومتي كان كذلك فهو استعارة والاستعارة من علم البيان .

وعبارة (بعيداً عن قصد المتكلم) مقصودة لي ، ففي البلاغة كما في النقد يجب أن نحصر اهتمامنا على الكلام ، ولا شأن لنا بقصد المتكلم وننيته ، فلو فتحنا هذا الباب لدافع كل إنسان عن نفسه .

وقال : إنما قصدت كذا ، وإن نيتى كانت كذا ، ولقد أفتى قدامة في شبيه لما نحن فيه بقوله : « وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظة تقييم شعره ، فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له ما يتوجه أنه أراده ، ويترك ما صرخ به ، ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ » (٢) .

* * *

ولإذا كان البلاغيون قد عدلوا بالمشكلة عن علم البيان إلى علم البديع ، فإنها مع التسامح ، ولقصد التماثل الذي لحظه الجرجاني تكون من محسناته اللغوية لا المعنوية ، لأن معناها الاصطلاحي هو ذكر الشئ بلفظ غيره والشئ المذكور بلفظ غيره في الأمثلة التي مثناها بها لها هو (خياله الثياب ، واختيار الجار ، وجحد الشهادة ببرؤية هلال شوال ، وصنع المعروف ، وتطهير الإيمان) عدل عن هذه الألفاظ إلى ألفاظ أخرى حل محلها ، لنكته بديعية لفظية هي المائة أو هي المشكلة .

والألفاظ الأخرى على الترتيب هي (طبع الثياب ، بناء الجار ، سرقة العيد ، غرس الجميل ، صبغة الله) .

(١) الإشارات ص ٢٦٨ .

(٢) نقد الشعر ص ٢٠٦ .

المسألة إذن أن الفاظاً حل محل الفاظ .. لماذا ؟

لتشاكل الألفاظ الألفاظ لا لتشاكل المعانى المعانى .

ونتيجة لذلك فإنه يمكن أن تنسجم بإدخال المشكلة في وجوب التحسين اللغوى أما المعنى فلا .

وهأنذا قد خلعتها من هناك وزرعتها هنا فى حقلها ، حقل التحسين اللغوى .

* * *

وعن سر بلاغتها فإنما هو الاسترخاء الذهنى والاقتصاد فى الجهد العقلى . أريد ما سمعت أو ما قرأت بدلاً من عناء البحث عن كلمة أخرى لتشاكل .

* * *

أما بعد : فقد ختم الفزويلى وجوب التحسين اللغوى بنقل عن عبد القاهر قال : « وأصل الحسن فى جميع ذلك أعني القسم اللغوى كما قال الشيخ عبد القاهر هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعنى ، فإن المعنى إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ، ولم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضاها فالحسن عنك مغيب (١)

ونمضي مع عبد القاهر فنجده يحذر وينذر بقوله :

« قاماً أن تصفع فى نفسك أنه لابد أن تجسس أو تسجع بالفظين مخصوصين فهذا الذى أنت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ وال الوقوع فى النم » (٢) .

ويضرب على الواقع نفسه بقوله : « وقد تجد فى كلام المتأخرین الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شفقة يأمور توجع إلى ماله اسم فى البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول لبيين » ، ويضيف إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عنده فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على

(١) الإيضاح ج ٦ ص ١١٧ .

(٢) أسرار البلاغة ص ١٠ .

المعنى وأفسده ، كمن ثقل المروض بأصناف الحلوي حتى ينالها من ذلك مكروره في نفسها»^(١) .
انتهى تشرط عبد القاهر وتحوطه ، وهما في مكانهما ، وإنهما لأحسن ما نختتم به .
رحمة الله ، والحمد لله .

عبد العزيز قلقيله

الرياض ٢٧/١٢/١٤٠٤ هـ / ٢٢/٩/١٩٨٤ م

(١) أسرار البلاغة ص ٦ .

مكتب المؤلف

- ١ - النقد الأدبي في العصر المملوكي الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م ط (١) ودار الفكر العربي بالقاهرة ط (٢) ١٩٩١
- ٢ - النقد الأدبي في المغرب العربي الأنجلو المصرية ١٩٧٣ م ط (١) والهيئة المصرية العامة للكتاب ط (٢) ١٩٨٨.
- ٣ - القاضي الجرجاني والنقد الأدبي (ط) (١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م
والأنجلو المصرية ط (٢).
- (أ) القاضي الجرجاني على بن عبد العزيز ١٩٧٤ م
- (ب) النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني ١٩٧٦ م .
والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ط (٣) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي .
- ٤ - مقالات في التربية واللغة والبلاغة والنقد الأنجلو المصرية ١٩٧٤ م
- ٥ - نقد النقد في التراث العربي الأنجلو المصرية ١٩٧٥ م
- ٦ - خط سير الأدب العربي الأنجلو المصرية ١٩٧٦ م ط (١) ودار الفكر العربي ١٩٩٠ م ط (٢)
- ٧ - لغويات الأنجلو المصرية ١٩٧٦ م ط (١) ودار الفكر العربي سنة ١٩٩٠ م ط (٢) .
- ٨ - من التراث الأدبي للمغرب العربي (ط) (١) عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩ م ط (٢) دار أممية للنشر والتوزيع بالرياض ١٩٨٥ م
- ٩ - دراسات في النقد الأدبي والبلاغة دار العلوم بالرياض ١٩٨٠ م ط (١) ودار الفكر العربي بالقاهرة ط (٢) ١٩٩٠ م
- ١٠ - أبيات المعانى فى شعر المتّجى الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٣ م
- ١١ - البلاط الأدبي للمعز بن باديس المجلس العلمي بجامعة الملك سعود بالرياض ١٩٨٣ م
- ١٢ - المقنع فى أن « هدى كامل المبرد » ليس « المترى » دار الرياض للنشر والتوزيع ١٩٨٤ م
- ١٣ - التجربة الشعرية عند ابن المقرب : مخصوصتها وبناؤها الفنى النادى الأدبي بالرياض . ١٩٨٦ م

- ١٤ - البلاغة الاصطلاحية دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٧ م ط (١) وسنة ١٩٩٠ م ط (٢).
- ١٥ - مساجلات الأنجلو المصرية ١٩٩٠ م
- ١٦ - معجم البلاغة العربية نقد ونقض دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩١
- ١٧ - مقالة الأدب المقارن، دار المعارف بمصر ١٩٩١

المصادر والمراجع

هرقية على حسب الحروف الهجائية لاسماء الكتاب

الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطى القاهرة سنة ١٣٦٨هـ .

أساس البلاغة . تأليف جار الله محمود بن عمر الزمخشري . وتحقيق عبد الرحيم محمود . القاهرة سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

أسرار البلاغة . تأليف عبد القاهر الجرجانى وتحقيق هـ . ريتور استانبول سنة ١٩٥٤ م . وطبعه محمد رشيد رضا بيروت سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الإشارات والتبيهات . تأليف محمد بن على بن محمد الجرجانى وتحقيق د. عبد القادر حسين . دار نهضة مصر للطباعة والنشر سنة ١٩٨٢م .

أنوار الربيع في أنواع البديع ج ١ . تأليف السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى . وتحقيق شاكر هادى شكر . الطبعة الأولى العراق سنة ١٢٨٨هـ / ١٩٦٨م .

الإيضاح في شرح مقامات الحريري . لأبن المظفر ناصر الطبرى . إيران ١٢٧٢هـ .

الإيضاح المختصر لتلخيص المفتاح . تأليف الخطيب القرزوي طبعة محمد على صبيح الثانية د.ت وشرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م / ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

البديع في نقد الشعر . تأليف أسامة بن منقذ ، وتحقيق الدكتورين : أحمد أحمد بدوى ، وحامد عبد المجيد . القاهرة سنة ١٢٨٠هـ / ١٩٦٠م .

البرهان في علوم القرآن . تأليف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الطبعة الأولى القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح . عبد المتعال الصعيدي . الطبعة الثانية ج ١ سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٢م ، ج ٢ سنة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م ، ج ٣ سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م .

بغية الوعاة . جلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة سنة

١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

البلاغة تطور وتاريخ . د. شوقي خسيف الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

البلاغة العربية . د. أحمد مطلوب طبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجمهورية العراقية سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

البلاغة الواضحة . على الجارم ، ومصطفى أمين . دار المعارف بمصر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . تأليف ابن أبي الإصبع ، وتحقيق د. حنفى محمد شرف القاهرة سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

التصوير البياني د. حنفى محمد شرف . الطبعة الثانية . مكتبة الشباب القاهرة ١٩٧٢م

التصوير البياني . د. محمد أبو موسى . الطبعة الثانية . القاهرة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

تقديم أبي بكر . تأليف تقى الدين بن حجة الحموى . المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ / ١٩٢٤م .

التخيص . تأليف جلال الدين القزوينى وتحقيق عبد الرحمن البرقوى الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م .

تهذيب السعد . تأليف سعد الدين التفاتازانى ، وتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م .

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور تأليف ضياء الدين ابن الأثير وتحقيق الدكتورين مصطفى جواد ، وجميل سعيد . بغداد سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

جوامد البلاغة . أحمد الهاشمى . الطبعة السادسة . دار الكتب العلمية . د.ت .

حدائق السحر في دقائق الشعر . تأليف رشيد الدين الوطواط وترجمة إبراهيم

الشواربي طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ م.

حلية اللب المصنون بشرح الجوهر المكتنون تأليف الشيخ أحمد الدمنهوري الطبعة الأولى
القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م.

خاص الخاص للثعالبي بيروت ١٩٦٦ م.

الخصائص . لابن جنى جـ ١ طبعة مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م.

خط سير الأدب العربي د. عبد العزيز قلقلية . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧ م
ط (١) . ودار الفكر العربي سنة ١٩٩٠ م ط (٢) .

دراسات بلاغية ونقدية د. أحمد مطلوب . طبعة دار الحرية ، بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . طبعة السيد محمد رشيد رضا عن دار المعرفة
بيروت سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . وطبعه ثانية تصحيح وشرح وتعليق أحمد مصطفى
المراugi . المكتبة المحمودية بالقاهرة د.ت.

دللات التراكيب دراسة بلاغية . د. محمد أبو موسى الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ
/ ١٩٧٩ م.

رسائل الجاحظ . تحقي عبد السلام هارون ط (١) مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩ م.

سر الفصاحة . لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي شرح
وتصحيح عبد المعال الصعيدي - القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.

الشفاء في بديع الافتقاء . تأليف شمس الدين النواجي . تحقيق ومراجعة د. محمد
أبوناجي الطبعة الأولى . بيروت سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م.

شرح عقود الجمان في علم المعانى والبيان . جلال الدين السيوطي ، وبها منه شرح
الشيخ أحمد الدمنهوري المسمى (حلية اللب المصنون بشرح الجوهر المكتنون) و (الجوهر
المكتنون) هذا تأليف السيد / عبد الرحمن الأخضرى .

الصحيح البديعى . د. أحمد موسى . الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.

المصنوعتين الكتابة والمشعر . قافية . ابن هشام المiskari وتحقيقه على البيهaci وتحقيقه ابن
الفضل إبراهيم . الطبعة الأولى سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز تأليف يحيى ابن حمزة العلمي
القاهرة سنة ١٢٣٢هـ / ١٩١٤ م.

عرس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . بهاء الدين السبكي ، القاهرة ١٩٣٧ م.

علم البديع د. عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٧٤ م.

علم البيان . د. بدوى طبانة . الأنجلو المصرية سنة ١٢٨٦هـ / ١٩٦٧ م.

علم البيان د. عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٤ م.

علوم البلاغة . أحمد مصطفى المراغي . الطبعة الأولى دار القلم بيروت . ١٩٨٠ م وطبعة
دار البارز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة ١٣٠٢هـ / ١٩٨٢ م.

علم المعانى . د. درويش الجندي . الطبعة الثانية سنة ١٢٧١هـ / ١٩٦٢ م القاهرة .

علم المعانى . د. عبد العزيز عتيق . طبعة دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٧٤ م.

العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده . تأليف ابن رشيق القيرواني وتحقيق محمد
محبى الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٢٧٤هـ / ١٩٥٥ م.

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال . لأبي عبيد البكري بتحقيق د. إحسان عباس وعبد
المجيد عابدين بيروت سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م.

فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور . د. رجاء عيد . منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٩ م.

فن الاستعارة د. أحمد عبد الستار الصاوي . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة
١٩٧٩ م.

قبض الريح . إبراهيم عبد القادر المازني . المطبعة العصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م.

الاستقامة لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم ط (١) سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م الرياض.

الكامل للفرد . نشر مكتبة المعارف . بيروت . د. ت.

كتاب البديع . لعبد الله بن المعتز . نشر وتعليق أغناطيوس كراتشقو فسكي لندن سنة
١٩٣٥ م.

- كتاب المصباح في علم المعانى والبيان والبدع تأليف بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك . القاهرة سنة ١٣٤١هـ .
- ال Kashaf . جار الله الزمخشري . الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .
- كلمات في الأدب . أنور المعاوى . طبعة أولى القاهرة .
- لسان العرب . لابن منظور . بيروت سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
- لغويات د. عبده عبد العزيز قلقيلية . الأنجلو المصرية سن ١٩٧٧م . ط (١) ، ودار الفكر العربي سنة ١٩٩٠م ط (٢) .
- مجموع الأدب في فنون العرب للشيخ ناصيف الياجي الطبعة الثالثة عشرة بيروت ١٩٤٨م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف : ضياء الدين بن الأثير وتحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد . القاهرة سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
- المختصر لسعد الدين التفتازاني على شرح تأخيص المفتاح للقزويني الطبعة الأولى ج (١) سنة ١٣٤٠هـ / وج (٢) سنة ١٣٤١هـ ، ج (٣) سنة ١٣٤٢هـ القاهرة .
- مع البلاغة العربية في تاريخها د. محمد على سلطان . القسم الأول الطبعة الأولى . دمشق ١٩٧٩ .
- معجم الأدباء لياقوت الحموي طبعة مر غليوث . القاهرة ١٩٢٢ .
- معجم البلاغة العربية - د. بدوى طباعة ط (٢) دار العلوم بالرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على السكاكي الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .
- مقالات في التربية واللغة والبلاغة والنقد . د. عبده عبد العزيز قلقيلية مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤م .
- منهاج البلاغة وسراج الأدباء تأليف حازم القرطاچنى وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦م .
- المنهاج الواضح . حامد عونى الطبعة الثانية . القاهرة سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي الأولى بالقاهرة جـ (١)
سنة ١٢٤٠ ، جـ (٢) سنة ١٢٤١ جـ (٣) سنة ١٢٤٢ هـ .

نحو بلاغة عربية جديدة للدكتورين محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف . دار
غريب للطباعة بالقاهرة سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

نظريّة إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني عن كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل
الإعجاز) تأليف : محمد حنيف فقيهي طبعة الشتآن الدينية بدولة قطر . الطبعة الأولى سنة
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

النقد الأدبي في العصر المملوكي د. عبد الله عبد العزيز قليلة . الأنجلو المصرية ١٩٧٢ م .
نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
نهاية الأرب في فنون الأدب للنميري جـ (٧) الطبعة الأولى القاهرة . سنة ١٢٤٧ هـ /
١٩٢٩ م .

نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر الرانى . القاهرة ١٢١٧ هـ .



المحتويات المكتسبة

صفحة	صفحة
٤٩	مقدمة الطبعة الثالثة
٥٠	تقديم
٥٢	البلاغة : علومها وبعض أعلامها
٥٥	أوجه الحاجة إلى دراسة البلاغة
٦٠	الفصاحة والبلاغة
٦٢	الفصاحة : فصاحة الكلمة
٦٤	فصاحة الكلام
٦٥	فصاحة المتكلم
٦٧	البلاغة بلاغة الكلام بلاغة المتكلم .
	علم البيان
٧٤	التشبيه
٧٦	أركان التشبيه وطرفاه
٧٩	أدلة التشبيه
٨١	أنساق التشبيه
٨١	باعتبار الأداة
٨٢	أنساق التشبيه باعتبار
٨٢	وجه الشبه
٨٣	التشبيه غير التمثيلي
٨٤	والتشبيه التمثيلي
٨٤	التشبيه التحقيقي والتشبيه
٨٤	التخييلي وتشبيه التضاد
٨٥	التشبيه المفصل والتشبيه الجمل
٨٦	صور التشبيه

صفحة		صفحة	
	الخبر الجارى على مقتضى ظاهر حال المخاطب	٨٣	(٧) الكلية
١٢٩	الخبر الجارى على خلاف ظاهر حال المخاطب	٨٤	(٨) الجزئية
١٣١	ألوات توكيد الخبر	٨٤	(٩) البدليلية
١٣٤	اسمية الجملة	٨٥	(١٠) المبدلية
١٣٥	إن	٨٦	(١١) اعتبار ما كان
١٣٥	أما الشرطية	٨٦	(١٢) اعتبار ما سيكون
١٣٥	لام الابتداء	٨٧	(١٣) الآلية
١٣٥	السين	٩١	(١٤) المجاورة
١٣٥	القسم	١٠٠	المجاز المرسل المركب
١٣٦	قد التي تقييد التحقيق	١٠٢	الكتابية
١٣٦	نونا التوكيد	١٠٢	الكتابية عن صفة
١٣٦	ضمير الفصل (ف)	١٠٦	الكتابية عن موصوف
١٣٦	حروف التنبيه		الكتابية عن نسبة الصفة
١٣٧	الحروف الزائدة	١٠٩	إلى الموصوف
١٣٨	أسلوب القصر.	١١١	نقاش مع الدكتور شوقي ضيف
١٣٩	أغراض الخبر	١١٢	نقاش مع السكاكي
١٣٩	الفرضان الحقيقيان	١١٢	التعریض
١٤٠	الأغراض البلاغية	١١٤	لماذا الكتابية؟
١٤٦	الإسناد الإنساني	١٢٣-١٢١	علم المعانى
١٤٦	مدخل	١٢٤	الإسناد الخبرى
١٤٦	الإنشاء	١٢٤	مدخل
١٤٧	الإنشاء الطلبي	١٢٦	الجملة الخبرية
١٤٧	والإنشاء غير الطلبي	١٢٨	أضرب الخبر

صفحة		صفحة	
١٨٧	طريق الإسناد	١٤٧	أنواع الإنشاء الطلبي
١٨٨	أحوال الطرفين	١٥٠	الأمر :
١٨٩	الذكر :	١٥١	صيغة الأمر
١٩١	ذكر المستند إليه	١٥٢	الأمر الحقيقى
١٩٢	ذكر المستند	١٥٢	الأمر البلاغى
١٩٤	الحذف :	١٥٧	النهى
١٩٤	حذف المستند إليه المبتدأ	١٥٧	صيغة النهى
١٩٧	حذف المستند إليه الفاعل	١٥٧	النهى الحقيقى
١٩٩	حذف المستند الخبر	١٥٧	النهى البلاغى
٢٠١	حذف المستند الفعل	١٦٠	الاستفهام :
٢٠٢	التقديم والتأخير :	١٦١	أدوات الاستفهام
٢٠٢	مدخل	١٦٧	الاستفهام الحقيقى
٢٠٣	التقدير	١٦٧	الاستفهام البلاغى
٢٠٣	تقدير المستند إليه	١٧٦	المعنى :
٢٠٧	تقدير المستند		أدوات المعنى
٢٠٩	التأخير :	١٧٨	المعنى الحقيقى
٢٠٩	تأخير المستند إليه	١٨٠	المعنى البلاغى
٢١٠	تأخير المستند	١٨٠	الترجى :
٢١٠	التعريف والتوكير	١٨٠	أدوات الترجى
٢١٠	التعريف :	١٨٠	الترجى الحقيقى
٢١٤	تعريف المستند إليه بالمسؤولية	١٨١	الترجى البلاغى
٢١٨	تعريف المستند إليه بالإشارة	١٨١	النداء :
٢٢١	تعريف المستند إليه بإدامة التعريف (أى)	١٨١	أدوات النداء
٢٢٣	تعريف المستند إليه بالإضافة	١٨٥	النداء الحقيقى
			النداء البلاغى
			تنوير

صفحة		صفحة	
٢٤٧	والقصر الادعائي	٢٢٤	تعريف المستند
٢٤٧	قصر الصفة على الموصوف	٢٢٦	التنكير :
٢٤٩	وقصر الموصوف على الصفة	٢٢٦	تنكير المستند إليه
٢٤٩	قصر الأفراد	٢٢٨	تنكير المستند
٢٤٩	قصر القلب	٢٢٩	أحوال متعلقات الفعل
٢٥١	قصر التعين	٢٢٩	من العلل البلاغية لحذف
٢٥١	الوصل والفصل	٢٢٩	مفعول الفعل المتعدى
٢٥٢	تعريف الوصل والفصل	٢٣٣	تقديم متعلقات الفعل
٢٦٠	مواضع الفصل	٢٣٥	وما في معناه عليه
٢٦٢	مواضع الوصل	٢٣٩	تقديم بعض متعلقات الفعل
٢٦٣	محسنات الوصل	٢٣٩	على بعض
٢٦٣	الإيجاز والإطناب والمساواة	٢٣٩	القصر :
٢٦٣	متعارف الأساطير هو المقياس	٢٣٩	تعريف القصر
٢٦٣	في الإيجاز والإطناب والمساواة	٢٣٩	أدوات القصر
٢٦٤	المعنى هو المقياس	٢٤٠	العطف بأدوات مخصوصة هي:
٢٦٥	المساواة	٢٤٠	لا - لكن - بل
٢٧١	الإيجاز	٢٤٠	النفي والاستثناء
٢٧٤	زيادة الأنفاظ على المعانى	٢٤١	إنما
٢٧٥	الإطناب	٢٤٣	تقديم ما حقه التأخير
٢٧٨	التوشيع	٢٤٣	طرق القصر بين
٢٨١	تحقيق التشبيه	٢٤٢	الاتفاق والاختلاف
٢٨٥	التمكيل ضربان	٢٤٦	أقسام القصر
٢٨٨	مقاييس آخر للإيجاز والإطناب	٢٤٧	القصر الحقيقى
٢٨٩	علم البدىع	٢٤٧	والقصر الإضافي
٢٨٩	المحسنات اللغوية والمعنوية	٢٤٧	القصر الحقيقى

صفحة		صفحة	
٣٣٤	العكس	٢٩٠	الطباق
٢٢٤	الأطراد	٢٩٢	التبييج
٣٣٦	الحسنات اللفظية - الجناس	٢٩٥	المقابلة
٢٢٦	الجناس التام	٢٩٩	بلاغة الطباق والمقابلة
٣٤١	الجناس غير التام	٢٩٩	الإرصاد أو التقسيم
٣٥٤	السجع	٣٠٠	الإرصاد
٢٥٥	السجع في النثر	٣٠٠	المشكلة
٣٥٦	المرصع	٣٠١	النورية
٣٥٦	المتواني	٣٠٦	حسن التعليل
٣٥٧	المطرف	٣٠٧	الوصف المعلل
٣٥٧	السجع في الشعر	٣١٢	تأكيد المدح بما يشبه النم
٣٥٨	التشطير	٣١٥	تأكيد النم بما يشبه المدح .
٣٥٩	التصريح	٣١٧	الالتفات
٣٦٢	السجع من حيث الطول والقصر	٣٢٢	أسلوب الحكيم والقول بالوجوب
٣٦٢	أحسن السجع	٣٢٥	المذهب الكلامي
٣٦٣	شروط جودة السجع	٣٢٦	تجاهل العارف
٣٦٣	الموازنة والمائنة	٣٢٨	التجريد
٣٦٤	لزوم مالا يلزم	٣٣٠	إضاعة
٣٦٧	التشريع	٣٣٠	الهزل الذي يراد به الجد
٣٦٩	رد الصدر على العجز	٣٣١	التقريع
٢٧٢	المشكلة	٣٣١	الاستبعاد
٢٧٧	عبد القاهر والحسنات اللفظية	٣٢٢	الجمع
٣٧٩	كتب المؤلف	٣٢٢	التفريق
٣٨١	المصادر والمراجعة	٣٢٢	التقسيم
٣٨٧	الفهرس	٣٣٣	الجمع مع التفريق
		٣٣٣	المزاجة

دار الاعتماد للطباعة



General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



